التجسد
ورحلة روح الإنسان

obeikandl.com

فهرسه أثناء النشر
الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية المصرية
كمال، حسام
التجسد ورحلة روح الإنسان/ حسام كمال
تدمك 978-977-6456-56-3
الروح ـ فلسفة ـ التجسد ـ تحضير الأرواح
24×17
رقم الإيداع 2015/7024
الطبعة الأولى 2015

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الأدبية والفكرية محفوظة ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنفيذ الكتاب كاملًا أو مجزءًا أو تسجيله على شرائط أو أجزمة إسطوانات كمبيوترية أو برمجته على إسطوانات ضوئية إلا بموافقة من الناشر خطيًا.

Exclusive Rights The Author No Partofthis publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the consent in writing from the publisher.

دار الجوهرة للنشر والتوزيع

٩٣ شارع مصطفى النحاس ـ الدور التاسع ـ مدينة نصر ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

الهاتف: ٠٠٢٠٢ ٢٦٧٠٩٢١٥

فاكس: ٠٠٢٠٢ ٢٦٧١٨٢٨١

Dar.al-jawhrah.al-mutakdma@live.com

www.daraljawharh.com

obeikandl.com

التجسد
ورحلة روح الإنسان

دكتور
حسام كمال

obeikandl.com

obeikandl.com

المحتويات

مقدمة ٩

الفصل الأول

نشأة معتقد التجسد وتطوره التاريخى كفلسفة إنسانية وموقف الديانات منه

التجسد عبر الحضارات ١٩

الفراعنة ومعتقد التجسد ٢٠

التجسد فى الحضارة الإغريقية ٢١

التجسد فى المسيحية المبكرة ٢٤

تطور مفهوم التجسد فى المسيحية والغرب عمومًا ٤٣

موقف كبار الفلاسفة والمفكرين الغربيين فى العصر الحديث
من معتقد التجسد ٤٤

التجسد فى الإسلام ٤٧

اعتقاد الدروز بالتناسخ ٥٠

أدلة الدروز على التناسخ ٥١

موقف الكندى من «العودة للتجسد» ٥٤

موقف السهروردى من التجسد ٥٥

موقف ابن الخطيب من التجسد ٥٧

موقف الدكتور مصطفى محمود حديثًا عن التجسد ٥٨

رفض ابن سينا لفكرة التناسخ ٥٩

الفصل الثانى

obeikandl.com

تعريفات ومفاهيم وأبحاث حول التجسد والتقمص والتناسخ

تعريف التقمص، والفرق بين التقمص والتناسخ ٦٧
تفسيرات التقمص (التجسد المختلفة) ٦٩
العلامات التسعة المتعارف عليها لمعتقد التجسد أو التقمص. ٧١
الشغف ٧٤
عادات لا يمكن التحكم بها ٧٤
الآم لا تفسير لها ٧٥
وحمات ٧٥
أبحاث د. ستيفنسون حول التقمص والتناسخ ٧٥
مشكلة العلم مع التجسد والماورائيات عمومًا ٧٩
السمعة السيئة للماورائيات ومدعى إمتلاك القدرات الخارقة ٨٠
أمثلة لبعض القصص الشهيرة عن حالات التقمص ٨٨
قضية الدكتور «ارثر جيردهام» والسيدة «سميث» ٨٩
قضية «مارتا لورينز» ٩٠
قضية الطفل «رافى شنكار» ٩١
قصة الإنكليزية «جينى كوكيل Jenny Cockell» ٩١
قصة الطفل الهندى «كاسبر» ٩٦
ملاحظات مبدئية على نتائج حالات التجسد ٩٧
تعليقات دكتور ستيفينسون على نتائج تحقيقاته ١٠٠
التميز بين العودة للتجسد والإستحواذ ١٠٤

الفصل الثالث

التحقيق العلمى الحديث لموضوع التجسد

الذاكرة الإسترجاعية ١١٢
الأسباب التى تدفعنا إلى إعتبار هذه العملية بمثابة دليل موثوق ١١٢
آراء الأطباء والعلماء فى المرحلة الحديثة عن التجسد ١١٣
أبحاث بيتر رامستر ١١٥

عودة الذاكرة بشكل عفوى ١١٨
قضية الدكتور «أرثر جيردهام» والسيدة «سميث» ١٢٠
الدكتور «إيان ستيفينسون» وأبحاثه ١٢٢
قضية «مارتا لورينز» ١٢٣
قضية عماد الأعور ١٢٤
العودة للتجسد بين الباراسيكولوجى والسيكوترونات ١٢٥
الأبحاث العلمية الخاصة بدراسة الصلة بين العودة
للتجسد وظواهر التجسدات ١٢٧
النتائج الهامة التى توصل إليها الباحثون فى مجال التجسد ١٢٨
نتائج أبحاث «كارل موللر Karl Muller» ١٢٨
نظرية وجود موطن الذاكرة بالجسد الأثيرى للروح ١٣٢
عن تغيير الجنس بعد العودة للتجسد ١٣٥
أهمية التحليل النفسى وأبحاثه العلمية فى دراسة العودة للتجسد ١٣٧
أقوال الآن كاردك عن التجسد ١٤٢
الحوار الأول بين كاردك ولفيف من الأرواح الراقية ١٤٤
تعليقات كاردك على هذه الإجابات ١٤٥
الحوار الثانى بين «الآن كاردك» ومجموعة الأرواح المستنيرة ١٤٦
موقف علم النفس الحديث من ظاهرة التجسد ١٥٠
وأخيرًا: هل أثبت العلم أن التقمص والتجسد الروحى حقيقة؟ ١٥٢

الفصل الرابع
العلاقة بين تطور الحياة والعودة للتجسد

التطور والتكوين الروحى للإنسان ١٥٧
الطبيعة الدوارة لكل ظواهر الوجود ١٦١
الديناميكية الروحية ١٦٥

obeikandl.com

الفصل الخامس

مرحلة ما بعد الموت وماذا يحدث للروح قبل التجسد؟

دراسات الباراسيكولوجى الحديثة ١٧٧
فى مجال ما وراء الروح بعد الموت ١٧٧
نظرية السبعة أجساد الإنسانية ١٧٧
الجسد الفيزيائى ١٧٨
الجسد الأثيرى ١٧٨
الجسد الفلكى ١٧٩
الجسد الذهنى ١٨٠
المستوى الفلكى ومجالاته المطابقة لأجساد الإنسان الشفافة ١٨١
ماذا يحدث لحظة الموت تبعًا للتحليل الباراسيكولوجى ١٨٢
مرحلة خروج الجسد الأثيرى من الجسد الفيزيائى ١٨٥
مرحلة خروج الجسد الفلكى من الجسد الأثيرى ١٨٨
مرحلة الجسد الذهنى بعد الخروج من الجسد الفلكى ١٩٢
مرحلة الغلاف الأخير للروح والوصول إلى الموطن النهائى لها ١٩٣

الفصل السادس

الموت نهاية أم بداية

الموت نهاية أم بداية؟ ٢٠٤
نظرية العودة إلى التجسد يمكن إثباتها علمياً ٢٠٦
الموت والحياة ودور التجسد ٢١٢
خاتمة ٢١٧

obeikandl.com

مقدمة

هل فكرت يومًا بأنك عشت قبل هذه الحياة، وإن حياتك هى الإستمرارية لحياة سبقت، وهذه الإستمرارية متمثلة فى الروح التى تنتقل من جسد إلى آخر عبر الأجيال المتعاقبة، إن هذه العملية تدعى التجسد أو التقمص. والتجسد ليس بدعة جديدة بل هو معتقد قديم تدرج عبر الحضارات بأشكال مختلفة وتسميات متعددة فلاقت العديد من الأهتمام والدراسة العملية، وهناك العديد من المفكرين والباحثن والعلماء إعتقدوا به. ومازالت هذه العقيدة قيد الدراسة.

رغم تعدد الدراسات والأبحاث حول هذا الموضوع إلا أنه ليس معلوم لدى الكل، فهناك العديد من الناس لم يسمعوا به ولا يعرفوا معناه. وهناك فئات من الناس وبعض الطوائف الدينية يعتقدون بشكل قطعى بصحة هذه الظاهرة. ولهذه الأسباب قمت بالبحث والدراسة المستفيضة فى هذا الموضوع، وقمت بإستطلاع اراء العديد من الناس الذين تعرضوا لهذه التجربة فى جميع انحاء العالم، وقررت الكتابة البحثية فى هذه الظاهرة، واستكمالًا لرحلة بحثى العلمية والفلسفية فى غياهب الروح الإنسانية العظيمة، والتى بدأت بها سلسلة من المؤلفات، بدأ من كتابى (الروح، اسرار وحقائق)، وهذا هو كتابى الثانى فى هذا المجال، آملًا أن نستكمل معًا رحلة بحث من سبقونا من الباحثين والكتاب العظام الذين حاولوا أن يصلوا إلى مدى حقيقة هذه الظاهرة والإعتقاد، والتى سوف أبين رأيى كباحث ومفكر فيها من خلال كتابى هذا بإذن الله.

إن الكثيرين فى عالمنا هذا وعلى مر التاريخ حتى وقتنا الحاضر يعتقدون

أن العودة إلى التجسد هو حقيقة الوجود، وإنها مرتبطة بقانون العدل الإلهى، وأن ذلك الدستور عدله عدل، وإنه يتحتم على الإنسان التجسد فى أمكنة معينة من الأرض بغاية الإرتقاء بوعيه الإنسانى، ثم ينتقل بعدها إلى عالم الما وراء للراحة والتعلم. إنهم يشبهون عملية العودة إلى التجسد بقطرة الماء (التى تمثل الروح) بعدما غادرت محيطها عبر عملية التبخر مشكلة سحبًا فى الفضاء كى تعود إلى الأرض مع المطر الذى يهطل على قمم الجبال متجهة إلى محيطها عبر الجداول والأنهار إلى أن تعى القطرة جميع قطرات المحيط...

هكذا الإنسان فى معتقد التجسد، هو شبيه بقطرة الماء، يغادر المحيط الكونى قاطعًا المسافات، ويتجسد على الأرض، عله يفتح لا وعيه من خلال ذلك العود المتواصل إلى الأرض، والتى هى فى النهاية حاضنة الوعى البشرى.

لقد ورد فى كتاب الأستاذ «قيس جوش» (التقمص أهو حقيقة أم خيال) إن كلمة تقمص مشتقة من لبس القميص، وتقمصت الروح بمعنى إنتقلت من جسد إلى آخر. أما التناسخ فهو إنتقال النفس الناطقة من بدن إلى آخر بعد الموت، من غير تخلل زمان. والتناسخ عقيدة شاعت بين الشعوب القديمة مؤداها أن روح الميت تنتقل إلى موجود أعلى أو أدنى لتنعم أو تعذب جزاء على سلوك صاحبها الذى مات. ومعنى ذلك عندهم أن نفسًا واحدة تتناسخها أبدان مختلفة إنسانية كانت، أو حيوانية، أو نباتية.

وقد فرق الباحثون فى هذا المجال بين العودة إلى التجسد والتقمص، فالأولى تشير إلى أن الإنسان يرتدى جسدًا جديدًا لدى عودته مجددًا إلى الأرض، فيما الثانية تشير إلى حالات أربع من التجسد: نسخ ـ مسخ ـ فسخ ـ رسخ. بمعنى أن العودة إلى الأرض قد يكون فى شكل إنسان، أو حيوان، أو نبات، أو جماد، أربعة دوائر من الخلق. النسخ مرتبط بتوالد الإنسان مجددًا بين البشر، والمسخ يشير إلى التوالد ضمن فصيلة حيوانية معينة. إن الآية القرآنية الكريمة الواردة فى سورة المائدة ـ الآية ٦٠، ذكرت: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

أما الرسخ فيشير إلى العودة فى شكل نباتى، فيما الفسخ يتبلور فى العودة بشكل جماد معين.. جاء فى العهد القديم، تكوين ١٩ :٢٦ إن امرأة لوط صارت عمود ملح. فهل هذا يمكن إعتباره فسخ؟؟. إن حالات التقمص الأربعة لا تنطبق على الإنسان كما سوف نرى لاحقًا إلا فى حالة النسخ، وما لجينات الوراثة إلا أكبر دليل على ذلك ـ كونها تقوم بنسخ خبراتها السابقة من جيل إلى جيل عبر مكونات وعى الإنسان الخفية، والتى إصطلح على تسميتها بالأجسام الباطنة، فالإنسان يعود إنسان فى أغلب الأحيان، إلا إذا تدرك وعيه إلى الحضيض...

إن بعض العلماء والباحثين فى مجال «التجسد» توصلوا مؤخرًا أن الذبذبات المخزونة فى الوعى الباطنى والأجسام الباطنية هى التى تفرض شكل الجسد اثناء تكوينه، وذلك حسبما تحمله من دورات حياتية سابقة. أما المكان الذى تحفظ فيه تلك الذبذبات، فهو يعرف طبيًا باسم "ARN" وبالتالى تأتى من خلال تلك العملية الجينات الوراثية، أو "ADN" كحصيلة أو معلومات تلك الذبذبات، بل هى تجسيد لتلك الذبذبات فى الجسد المادى.

إن المعتقدين بالتجسد يؤمنون بأن حياتنا السابقة التى عشناها خلال فترة وجودنا السابقة على الأرض، تنعكس نتائجها على تصرفاتنا وأفعالنا وحتى على شكل جسدنا المادى الذى هو إنعكاس لها، عادة الشكل القبيح يعكس صفات المرء السيئة، وعكسه صحيح، حينما يكون الشكل متناسقًا «جميلًا» يعكس الجمال الداخلى، إشراقة الوعى فى الكيان. «فكل إناء ينضح بما فيه»، إلا إذا شرد الإنسان عن الدرب القويم وتاه فى الملذات الأرضية، أو أتى هذا الجمال لتحسين نسل معين.. وهذا ينفى وجود عامل الصدفة والموهبة والحظ كما يدعى البعض.

تقول آيات القرآن الكريم فى سورة البقرة ـ سورة ـ آية ٢٨ والتى جاء فيها ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أما صورة مريم فتختم الحديث عن النبى يحيى (يوحنا المعمدان) بالقول: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ ـ (الآية ١٥). وهى

الآية نفسها التى تورد سورة مريم فيما بعد على لسان السيد المسيح قائلًا عن نفسه: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ ـ (الآية ٣٣).

وأوريجاينس عبقرى المسيحية الأولى (فى موسوعة المعرفة المسيحية أباء الكنيسة ـ عدد ٣) ذكر مايلى: «لا يمكن للروح البشرية أن تبلغ الطهارة الأصلية من خلال مرور واحد إلى العالم المادى، إذ أن هناك بعض الأرواح تتابع سقوطها بإستمرار، فى حين يتمكن البعض الآخر من الصعود الجزئى، مما يحتم عليها معاودة التجسد فى عوالم وأزمنة متعددة ومتتالية، إلى أن تبلغ وحدتها الأصلية».

ذكر أبو الفلسفة سقراط (فى سلسلة عباقرة خالدون، تأليف محمد كامل حسن المحامى): «الموت ليس نهاية وجود الإنسان فى هذا الكون العظيم، إنه نهاية هذا الجسد الفانى، ولكن روحى ستعيش مع غيرها من الأرواح الطاهرة فى كنف الإله الواحد الذى يبعث الأرواح إلى الأرض». أما فيثاغورث أبو الرياضيات فى القرن السادس ق.م كان يؤمن أيضًا بتناسخ الأرواح وإنتقالها من جسد إلى جسد آخر. وموسوعة أبعاد تخطى المعرفة (ما وراء الخط الأحمر للمحامى موسى برنس، المجلد الخامس) ورد فيها على لسان العالم "Stevenson": (إن نطق الطفل بكلمات أجنبية كما حدث فى بعض حالات العودة إلى التجسد.. تفترض الإلمام السابق بهذه الكلمات..). أما عالم النفس «كارل يونج» فقد ذكر: (بأننا خلقنا متساويين، لكننا لم نولد متساوين) ألا يشير ذلك إلى العودة إلى التجسد جراء الإختلاف فى الخبرات المكتسبة سابقًا فى ماضى وجود الإنسان على الأرض!! علمًا بأن هناك العديد من أطباء علم النفس يستخدمون التنويم المغناطيسى فى معالجة مرضاهم، فيعيدونهم إلى دورة حياتية سابقة حيث نشأ فيها المريض النفسى كى تتم عملية شفاءهم.

يقول المدافعون عن معتقد التجسد أنه عبر دورات التجسد المتتالية على الأرض، يبحث كل من الرجل والمرأة عن نصفه الأفضل من أجل إكمال مسيرة الحب والزواج فى وحدة مكتملة على درب الوعى الذى سنته الحياة. وفى كل دورة حياتية على الأرض، يلتقى الرجل بالمرأة التى يعتقدها نصفه الأفضل،

فيكتسب منها ميزات وخصائص وخبرات جديدة. لكن روحه التائقة إلى وعى الحقيقة تتابع عمرًا بعد عمر، وجيلًا بعد جيل، تتابع سعيها من أجل إيجاد توأم روحها الذى إنفصلت عنه فى البدء، النصف الذى يكملها، الذى تكتمل به. والسعى نفسه يكون طريق المرأة. وهذا السعى لن يتوقف إلا متى التقت الروح بنصفها الأصيل وإكتملت وإياه، أى متى عاد الإنسان كاملًا واعيًا لكماله.

لذا يتجسد الإنسان على الأرض مرة تلو مرة، ليتكامل بوعيه وينمى مقدراته الباطنية، ليتحقق أنه كائن كبير فريد من نوعه، كل وعى كيانه الباطنى أكثر، كلما ترقى على معارج المعرفة مكتسبًا حكمة العمل والتفكير والتصرف، وليصحح ما إقترف من ذنوب وآثام بحق نفسه والآخرين، ثم ليعى أنه أخطاء حين لم يعط اللامادة حقها من الحياة ومن الوعى والتطور، مما حتم عليه العودة إلى حالة الإنسان الحجرى فى وعى ذاته.

يتجسد الإنسان ليدفع ثمن أفعالة الخاطئة وليتوب عنها، وليساعد أخيه الإنسان على النهوض بوعيه وليعلم بهدف وجوده فى هذه الحياة، بعدما أدرك معنى الآلم والسعادة، فتكشفت أمامه حقيقة الإزدواجية التى يحيا ضمنها. يتجسد الإنسان لينقذ الساقطين ويوقظ النائمين بإرشادهم إلى مغزى درب الباطن، حيث السعادة كل السعادة تكمن فى وعى المادة واللامادة على قدم المساواة فى كيانه، كما يتحول من طفل فى الوعى إلى راشد فيه.

فالأرض والحياة على سطحها تعتبر مدرسة للبشرية جمعاء، هى كالأم الحاضنة لأولادها، بين ربوعها يترعرع وينشأ الإنسان ويرتقى وعيًا، ومادام طفلًا فى وعى ذاته، فإليها يعود ليولد من جديد، وهذا ما يثبت أن التجسدات المتكررة للإنسان ليست إلا لتضييق رقعة لا وعيه وتوجيه مسلكه نحو الصواب. أما لماذا الإنسان لا يتذكر حيواته السابقة؟؟ فيقول أحد الحكماء المؤمن بالتجسد: إن كنت لا تذكر ما الذى فعلته منذ بضعة أسابيع، فهذا يدل على أن ذاكرتك عاجزة عن إحتواء الماضى القريب. فكيف تتوقع أن تحفظ الماضى البعيد؟ وكيف لك وأن تتذكر وجودًا مضى منذ مئة أو مئتى عام؟

حقيقة العودة إلى التجسد تتجلى لنا معالمها من خلال بعض المعلمين

الكبار والأنبياء والرسل مثل السيد المسيح الذى تجلى لتلاميذه بعد مماته، بوذا، وآيات القرآن الكريم الدالة على دورات الحياة المتكررة. إن معظم هؤلاء المعلمون والأنبياء قد حققوا هدف الوجود من خلال العودة إلى التجسد، أما أمثالنا من البشر، فعليهم المكوث فترة زمنية فى عوالم الأجساد الباطنية، ثم التجسد على الأرض مرارًا إلى أن نحقق التطور المنشود.

إن فهم جوهر عملية التجسد يعطى الإنسان مزاج عقلى جديد تمامًا. وفهم ذلك يسمح للإنسان أن يطابق ذاته مع الجسد الساكن فيه، بل أن ينظر إليه كما ينظر للملابس التى يرتديها والتى مع الوقت يخلعها ويستبدلها بأخرى جديدة أفضل وأكثر ملائمة له ولأهدافه وإحتياجاته. تجد هذه العملية تأكيدًا غير مباشر فى مشاعرنا وأحاسيسنا. وظاهرة الأطفال خارقى القدرات تأكيد لتلك العملية. كان بمقدور «موزارت Mozart» وهو فى الرابعة من عمره ليس فقط عزف مقطوعات موسيقية بل تأليفها أيضًا على سبيل المثال. وبالطبع لا يمكن شرح وتفسير مثل تلك الأمور وغيرها من خلال قوانين الوراثة المعروفة. ومن المنطقى أيضًا الإفتراض بأن للموهوبين ذوى المنشأ المتواضع من حيث القدرات جذور فى حياة سابقة حلت فيهم لاحقًا.

وختامًا، فإننى أعتقد أن الهدف من حياة الإنسان هو تكشف ونمو وتطور النفس روحيًا. نحن موجودين فى الأبدية وسنبقى فيها دائمًا بأرواحنا. والروح يمكن أن توجد خارج الجسد الفيزيائى وداخله كما سبق أن أوضحت فى كتابى السابق عن الروح، مع أن التجسد الجسمى العلوى المادى ضرورى فى المرحلة الراهنة لتطورنا. وبمقدار نمونا التطورى اللاحق فإن تجسدنا وتقمصنا سيصبح فى أجساد أكثر شفافية ودقة وأكثر تطورًا من أجسادنا الفيزيائية الحالية. والحياة ليست أكثر من كونها ظاهرة تشغل زمنيًا سبعين وحتى تسعين عامًا من الوجود، أى محددة لا عدد لها لحياة أشخاص كثر فى الماضى.

د. حسام كمال

القاهرة ٢٠١٥

الفصل الأول

نشأة معتقد التجسد وتطوره التاريخى كفلسفة إنسانية وموقف الديانات منه

obeikandl.com

obeikandl.com

التجسد عبر الحضارات

إن معتقد التجسد نشأ فى الفكر والعقيدة الإنسانية عامة منذ فجر التاريخ. فقد نشأت الديانات الشرقية بأقصى الشرق فى الهند والصين واليابان التى يدين معظم شعوبها بالبوذية أو الهندوسية أو البرهمية أو الكونفشيوسية، أو الزرادشتية، أو المانوية، على معتقد التجسد بصوره مختلفة. وقد ربط بعض الباحثين وعلماء التاريخ ذلك المعتقد ونشأته بحضارة الأطلنطس وهى تلك القارة الضخمة والتى سبق أن تحدثت عنها فى كتابى السابق عن الروح، وهى الجزيرة التى إختفت فى ظروف غامضة منذ عشرة الآف سنة قبل الميلاد تقريبًا.

وقد تنوع الإعتقاد بالتجسد فى المجتمعات الآسيوية، وأخذ صورًا ومذاهب متعددة وإختلط بالكثير من الخرافات التى إرتبطت بالكثير من الأساطير المحلية لشعوب هذه البلاد، وكم تحتوى هذه المعتقدات على غرائب ومفارقات لا يمكن أن أرجعها لأساس معتقد التجسد الذى نحن بصدد بحثه هنا، ولكن دعونا نبدأ بالبدايات الصحيحة المسجلة تاريخيًا بدون الدخول فى تاريخ الأساطير الشعبية المرتبطة بخصوصيات تلك المجتمعات ولنبدأ بتتبع تطور معتقد التجسد عند الفراعنة والإغريق.

الفراعنة ومعتقد التجسد

يذكر الأستاذ رؤوف عبيد الكاتب المتخصص فى علوم الروحانيات فى كتابه الهام عن التجسد أن هذا الإعتقاد وجد سبيله إلى معتقدات قدماء المصريين منذ

بدء الحضارة الفرعونية، فقد سجل أحد علماء الأثار المتخصص فى الحضارة الفرعونية (فونتان Fontane) نصًا فرعونيًا يرجع إلى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد عبارته كالآتى: «قبل الولادة عاش هذا الطفل وليس الموت نهايته. الحياة تجئ وتروح كالشمس عندما يبدأ نهارها من جديد».

كما تحوى ورقة بردى «أنانا Anana» التى ترجع إلى سنة ١٣٢٠ قبل الميلاد العبارة الآتية: «الإنسان يعود ثانية إلى الحياة عدة مرات، لكنه لا يذكر حيواته السابقة، إلا فى الحلم أحيانًا أو كفكرة مرتبطة بحادثة سابقة. ولا يمكنه أن يحدد زمان هذه الحادثة أو مكانها، لكنه يعلم فحسب إنها حادثة مألوفة عنده. وفى النهاية ستتكشف له كل حيواته المختلفة».

ويعتقد هيرودوت المؤرخ الإغريقى الذى عاش فى مصر فترة طويلة أن المصريين (فى عام ٤٥٠ قبل الميلاد) كانوا يتقبلون فكرة التجسدات للروح الإنسانية. ويذكر الأستاذ مصطفى الكيك فى كتابه «تناسخ الأرواح» ـ ١٩٧١: «وقدماء المصريين كما عرف عنهم دائمًا إنهم من أصحاب أقدم المعتقدات الدينية المتكاملة. فقد كانوا يؤمنون بأن ثمة حياة ثانية للإنسان فى عالم آخر، وإن الروح باقية إلى أن تعود إلى أجسادها عندما يحين الوقت الذى يستأنف فيه الميت حياته الثانية. وكان تقديرهم الزمنى للمدة الواقعة بين حدوث الموت والعودة إلى الحياة الثانية ثلاثة الآف عام تقريبًا.

وقد رأى المصرى القديم أن الروح لا تقضى هذه المدة الطويلة فى فراغ، ومال إلى الإعتقاد بأنها تستفيد من هذا الفراغ فى الإلمام بطائفة من المعلومات وألوان متعددة من المعرفة والخبرة التى تزخر بها مختلف ميادين الحياة فى عالم الحيوان بعد أن ألمت منها بما يختص به عالم الإنسان. ومن أجل ذلك تتجسد فى أجنة حيوانات الأرض والبحر والجو.

ولم يكن هذا التجسد على هذه الصورة مرتبطًا بحياتها الآدمية السابقة إرتباطًا جزائيًا، فلم يكن تجسدها فى أجنة الحيوانات العليا ثواب لها. أو فى أجنة حيوانات الدنيا عقاب لها، لأن جزاء الروح على ما أحسنت أو أساءت فى

العقيدة المصرية القديمة إنما يكون فى الحياة الثانية عندما يعود المتوفى إلى الحياة وبوابة الحساب أمام الآلهة لتقضى له أو عليه.

وبعد أن تستنفذ الروح أغراضها من رحلة المعرفة والعلم تعود إلى جسدها الآدمى لتحل فيه، وتستأنف به حياتها الثانية فى العالم الآخر، فإذا لم تجده كأن يكون قد تحلل واندثر، أو وجدته محنطًا ومحتفظًا بكيانه، ولكنه على حالته من الموات، فلم تستطع التلبس به إنصرفت عنه إلى جنين إنسان فحلت به لتستأنف به حياة أرضية جديدة.

ويعتقد الكثير من الباحثون أن الفراعنة كانوا من أوائل الشعوب الراقية التى آمنت بالتجسد، وبرهان ذلك عندهم كان فى طريقة دفن موتاهم. فالفراعنة دفنوا الأموات ووضعوا بجانبها كل إحتياجات المتوفى من المأكل والمشرب والأدوات الشخصية حتى إنهم وضعوا تماثيل لخدامهم، وكان فى إعتقادهم بأنه عند عودة الروح للمتوفى، سيجد الجميع بإنتظاره لخدمته. وكانوا يرسمون وجه الشخص المتوفى على التابوت بهدف تعرف الروح على جسدها لكى لا تلتصق بجسد آخر.

التجسد فى الحضارة الإغريقية

إنتقلت عقيدة التجسد إلى الإغريق عن طريق «فيريكيدس Ferikeydes» وتلميذه فيثاغورث الذى كان معاصرًا لبوذا معلم الهند ومؤسس الديانة البوذية. وقد وجد هذا الإعتقاد سبيله إلى الفلسفة الأغريقية وهى فى أوج إزدهارها، فلقى قبولًا واسعًا فيها. فمثلًا ممن إعتنق عقيدة العودة للتجسد فيثاغورث (٥٨٢ ـ ٧٠٦ قبل الميلاد). وقد عاش هذا الفيلسوف العالم عشرين عامًا من حياته فى مصر، وربما يكون قد إعتنق هذا المعتقد اثناء وجوده فى مصر، ولو أنه يقول أنه تجسد من قبل خمس مرات على الأرض وإنه كان يدعى فى تجسده السابق «أوفورباس»، وقد سار على نفس الدرب جميع الفيثاغوريين.

أما «سقراط» أبو الفلسفة الأغريقية (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق.م)، فقد قال عن التجسد:

«إذا كانت كل الأشياء التى من طبيعتها الحياة، أو تلك التى لها بعض صفات الحياة ينبغى أن تموت، وبعد أن تموت تظل باقية فى صورة الموت ولا تعود إلى الحياة مرة أخرى، فإن كل شىء سوف ينتهى إلى فناء، ولن يبقى شىء على قيد الحياة، فما هى النتيجة الأخرى التى يمكن أن تكون»؟؟

ثم تمسك «أفلاطون Plato» (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق.م) بهذا الإعتقاد ووجد فيه ضالته المنشودة لتفسير عدة أمور تتوأم مع فلسفته القائمة على أساس أن النفوس والأرواح الموجودة فى الأجساد قد وجدت قبل وجود الأجساد فى عالم أسماه «عالم المثل أو عالم الحقيقة». وإن هذه النفوس كانت تدرك هناك المعانى الكلية التى لا صلة لها بالمادة، ثم حلت فى أجسادها كى تدرك الجزئيات المحسوسة فى عالم المادة عن طريق الحسية التى يمتلكها الجسد. وذكر أفلاطون أيضًا أن صلة الحياة بالموت لشديدة الشبه بتلك العلاقة التى توجد بين اليقظة والنوم. فكما أن المرء ينتقل من اليقظة إلى النوم ومن النوم إلى اليقظة، كذلك ينتقل من الحياة إلى الموت ومن الموت إلى الحياة.. والإنتقال من أحد الضدين إلى الآخر أمر لا مفر منه، إذ لو كان الإنتقال فى إتجاه واحد فقط لإختل التوازن فى الطبيعة. ويترتب على ذلك كما يقول أن تظل نفوس الموتى حية فى مكان خاص حتى تكون منبعًا ومبدأ لكل حياة جديدة. ولو لم يكن هناك إنتقال من الموت إلى الحياة. لإنتهى كل ما فى الوجود إلى العدم كما هى الحال تمامًا لو إستقر المرء فى قومه إلى ما لا نهاية.

وكان مفهوم التناسخ عند الفلاسفة الإغريق كأفلاطون وفيثاغورس وأفلوطين يتضمن إحتمال تقمص أرواح الأدميين لأجساد حيوانات، وهو ما يعبر عنه بالتناسخ فى مفهومه العام الذى يتقبل جميع الإحتمالات، كما عرف ولايزال معروفًا حتى الآن فى الشرق الأقصى. ولكن هذا الجانب الآخير ثبت الآن بعد البحث العلمى والفلسفى المستفيض أنه يمثل الجانب الأسطورى من هذا الإعتقاد، وهو الجانب الذى يثير بطبيعة الحال إعتراضات ضخمة من الناحيتين الفلسفية والعلمية معًا، ولا أعرف أن هناك باحثًا روحيًا واحدًا أمكنه أن يدافع عنه أو أن يتبناه.

وقد ذكر أفلاطون أن الروح أعرق من الجسد، وأن الأرواح تعود للولادة من جديد بلا توقف فى هذه الحياة. وروح الفيلسوف الحق تترفع عن المتع والرغبات بقدر الإمكان، وبالتالى تبعد عن الآلام والمخاوف، لأنها كنتيجة لتكوينها للآراء بنفس طريقة تكوينها للأجساد، يتعذر عليها الدخول إلى الجسم مادامت أصبحت فى حالة نقية. أما عندما تغادر الجسد ملوثة بشهواته فإنها سرعان ما تسقط من جديد إلى جسد آخر، وهكذا يمتنع عليها الوصول إلى كل ما هو مقدس ونقى متناسق.

أما بالنسبة لتذكر الروح لماضيها، فقد قال أفلاطون أن ما نعلم فى الواقع إلا تذكر النفس حالاتها السابقة التى كانت عليها قبل الوجود البصرى، وما قد تشاهده فى تلك الحياة السابقة ويجعل حياتها الراهنة أشبة الأشياء بالولادة. والنفس تبرز ما كان فيها كامنًا وفى جوهرها باطنًا. وإذا كانت النفس قد عاشت حياة سابقة فلا يمكن لتلك الحياة السابقة ألا تترك أثرًا فى النفس عندما تتصل بالجسم. ومن هنا كانت فكرة التذكر مرتبطة أشد الارتباط بفكرة الوجود السابق. هذا ونظرية المعرفة عند أفلاطون تضطر إضطرارًا إلى القول بالتذكر. فكيف تتم المعرفة بمعنى العلم إن لم يكن هناك تذكر لمعارف سابقة أدركها الإنسان فى حياته السابقة.

فالإنسان تبعًا لنظرية أفلاطون لا يبحث عن شىء يجهله كل الجهل، وإنما يبحث عن شىء لديه عنه بعض المعرفة السابقة، وهذه المعرفة السابقة عبارة عن تذكر للصور التى رأيناها فى عالم سابق تذكرها بمناسبة هذه الأشياء الحسية التى تظهر أمامنا، فمن ناحية نظرية المعرفة أيضًا لابد من القول بالتذكر.

أما بالنسبة لأول يونانى تكلم عن التجسد والتناسخ، فقد كان «برسيديس» (حوالى ٥٥٠ ق.م) أول معلم معروف للتقمص فى اليونان. وكان يعلم التناسخ وخلود الروح التى تعلمها من الكتب المقدسة للفينيقيين ومن الكلدانيين والمصريين وقد كان معلمًا للفيلسوف فيثاغورس.

التجسد فى المسيحية المبكرة

يبدو واضحًا للعيان أن المعرفة بقانونى «الكرما Karma» والتقمص أو التجسد "Reincarnation". كانت بالتأكيد موجودة فى عهد المسيح بل وكانت جزءًا من مادة التفكير المسيحى القديمة. ففى إنجيل متى، الإصحاح ١٧ : ١٢: على لسان السيد المسيح: «ولكنى أقول لكم أن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا. كذلك ابن الإنسان أيضًا سوف يتألم منهم» السؤال هنا كيف جاء إيليا النبى وبأى صورة؟، وفى إنجيل متى ١٣ ـ ١٤ : ١٦ «لما جاء يسوع إلى قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلًا من يقول الناس انى أنا ابن الإنسان. فقالوا، قوم يوحنا المعمدان وآخرون إيليا وآخرون أرميا أو واحد من الأنبياء» إنجيل يوحنا ٣: ٣. عندما سأله نيقودومس «فأجاب يسوع وقال له الحق أقول لك إن لم يولد أحد ثانية فلا يقدر أن يعاين ملكوت الله». فى هذه الآية هناك نقاش، هل المقصود الولادة الثانية أى التقمص أم المقصود بالولادة الثانية هى المعمودية؟؟

والسؤال هنا كيف ضاع الإيمان بهذا المعتقد لاحقًا من اتباع المسيحية؟ إذا أردنا ـ تقديم إجابة عن هذا السؤال، علينا إذن البحث والتقصى فى تاريخ مفهوم التقمص والتجسد فى المسيحية المبكرة، وعلينا أن نكون على يقين من الحقيقة التالية والتى ذكرها الباحث الغربى «رونالد تسورر»، التى غالبًا ما يتم تناسيها إلى يومنا هذا: «لم تعرف المسيحية المبكرة، فى القرون الأولى التى تلت المسيح، تعاليم متينة تشبه، مثلا، تعاليم الكنيسة الكاثوليكية، التى تعتبر قاعدة راسخة للمسيحية فى أيامنا الحاضرة».

كانت المخطوطات الأصلية للعهد الجديد تمثل بالدرجة الأولى، أساس الإعتقاد المسيحى ولكنها لم تكن تتضمن عرضًا ممنهجًا منظمًا لتعاليم دينية أو فلسفية من أى نوع، بل إقتصرت على قصص متناثرة متفرقة، فيها قليل من الجهد لإظهارها فى سياق زمنى مرتب تاريخيًا. أو على حوارات قصيرة أو رسائل إلى جانب ذلك، وقد عدت كتابات آباء الكنيسة ووعاظها أساسية وحاسمة، وهى كتابات عالجت موضوعات مختلفة ولكنها لم تكن متطابقة فى جميع النقاط.

لم تكن «الكنيسة» وقتئذ كمصطلح، تفهم بإعتبارها تنظيمًا أو مؤسسة متماسكة، بل كمجموعة أو جماعة غير مترابطة، ممن كانوا يسعون إلى فهم الرسالة التبشيرية للمسيح وحوارييه والحياة. والحقيقة الهامة أيضًا، دونما شك، هى أن المسيحية الأولى لم يكن فيها فصل بين كنيسة يونانية وأخرى رومانية، إذ أن جميع معلمى الكنيسة الكبار الأوائل نشأوا من حلقة الثقافة اليونانية، فصبغوا التعاليم المسيحية الناشئة بالطابع الإغريقى.

كان تطور التعاليم الكنيسة فى القرون الأولى بعد المسيح، تحدده أساسًا النظريات اللاهوتية التى وصفها علماء الكنسية الأوائل فى مجامعهم الكنيسة الخاصة. ولكن كلما كانت المسيحية فى القرون اللاحقة تقترب فى تطورها من شكل الدين العالمى، القوى اقتصاديًا وسياسيًا كان الكثير من الأفكار الأساسية الأصلية يمحى ويضيع منها شيئًا فشيئًا، وغالبًا ما كانت الأفكار العالمية الشمولية هى التى تحل محلها، ولو تعمدنا التلطيف فى صياغة العبارة، من الواضح للعيان أن البحوث اللاهوتية العميقة ستصل بنا حتمًا إلى المسيحية المبكرة، لأن المسيحيين الأوائل كانوا أقرب إلى المسيح زمنيًا أيضًا.

ولا ينكر مفهوم التجسد أو التقمص فى المسيحية بدون ذكر أكثر شخصيات المسيحية المبكرة تفوقًا ونفوذًا، شخصية «أوريجينس» الإسكندرانى (١٨٥ ـ ٢٤٥م). كان «أوريجينس» من أوائل العلماء الكبار المتبحرين فى الكتاب المقدس الذين عرفتهم المسيحية، بل ومن أعظمهم إطلاقًا. لقد كان عالمًا إكتسب ثقة الوسط الثقافى الإغريقى فى ذلك الوقت وإحترامه، وكان إلى ذلك، الوحيد الذى عرض فى قالب أدبى، تعاليم المسيحية على شكل منظومة فلسفية مستقلة، وعمد، لكى يضع مقولاته على أسس مقدسة، إلى وضع نسخة نصية شاملة للعهد القديم. هى (الهكابلا Hexupla) ـ بحيث أمكن له أن يجعل مقولاته وعلومه تستشهد دومًا بها. كان يجيد اللغة العبرية (لغة النصوص الأصلية للعهد القديم)، إلى جانب اللغة اليونانية، وقد تعلم فوق ذلك الأرامية (وهى لغة المسيح الأم) حتى يتمكن من قراءة النصوص باللغة الأصلية التى تكلمها المسيح شخصيًا والتى دونت بها حياته وتعاليمه.

يمكن لأوريجينيس، دون مبالغة، أن يوصف بأنه عالم موسوعى على مستوى العالم. إنه الشاهد على المعرفة المسيحية الرفيعة ومعلمها البارز. ومازالت تركته الدينية تمثل حتى القرن الحادى والعشرين أكثر إستدلالات الكتاب المقدس تنوعًا وعمقًا. كان أوريجينيس رئيسًا لمدرسة اللاهوت الشهيرة فى الأسكندرية، التى كانت فيها أكبر مكتبة فى العالم القديم، ضمن مجموعة من المخطوطات هى الأكثر تنوعًا فى عالم تلك الأيام، ويجمع الكثير من المختصين على أن العديد من نصوص «الفيدا» الأصلية باللغة السنسكريتية كانت توجد فى تلك المكتبة، لأنه فى ذلك الوقت ساد تبادل ثقافى وفلسفى نشط بين علماء الحضارة الإغريقية والفارسية والهندية.

وفى عام ٣٨٩م، قدر لهذه المكتبة الفائقة الأهمية أن تحترق وتأكل النار محتوياتها، لأن مسيحيًا متعصبًا هو البطريرك «ثيوفيلوس» عمد إلى إشعال النار فيها، وهكذا قضى بسبب هذه الفعلة الشنعاء، على معارف ثمينة لا تعوض، مما جعل البحث التاريخى اليوم أصعب وأعقد. ومن المهم الملاحظة أنه ما من أحد بين العلماء الذين أتوا بعد أوريجنس، إستنادًا إلى تلك الحقيقة، كانت تتوفر ظروف البحث العلمى التى توفرت لأوريجينيس، ولا حتى لهؤلاء الذين حاولوا فى وقت متأخر دحض تعاليمه وتفنيدها.

وبعد هذه المقدمة التاريخية اللازمة لموضوعنا الأصلى وهو التجسد فى المسيحية، وبإختصار إطلع أوريجينيس على مجمل الوثائق الأصلية المتوفرة عن المسيحية، سواء منها مخطوطات اليهود والإنجيليين أو رسائل الحواريين، وكذلك على المخطوطات التى توصف اليوم بأنها «منحولة Apokrypha»، وكانت لديه، إلى ذلك، معرفة معمقة بالفلسفات اليونانية والفارسية، وبفلسفة الفيدا أيضًا.

قرأ أوريجينيس نتاج «فيثاغورس» و«أفلاطون» و«أفلوطين» و«أمونيق بسكاس» الإسكندرانى (١٧٥ ـ ٢٤٢م) مؤسس مذهب الأفلاطونية الجديدة. وهذه المعرفة الشاملة فى مجال اللاهوت التى إمتلكها هذا العلامة الفريد جعلت

«ديمتريوس»، أسقف الأسكندرية آنذاك، يبعثه فى رحلات تبشيرية، لاسيما حين كان الأمر يتعلق بالتصدى للخلافات فى الرأى بين رجال اللاهوت، وحتى أوكل إلى أوريجينيس، كما ذكرنا، رئاسة مدرسة التعليم المسيحى المزدهرة، وعهد إليه بمهمة التدريس الكنسى فيها. و«ديمتريوس» هذا هو الأسقف نفسه الذى كان أول من ساق الإتهامات ضد علوم أوريجينيس «الضلالية» فيما بعد، ولم يكن تصرفه هذا يستند إلا إلى دافع الأنانية والغرور المرضى والحسد. فعندما إحتفل الأساقفة فى فلسطين (قيصرية Caeserea)، التى كان أوريجينيس يتوقف فيها مطولًا لغاياته التعليمية والإرشادية، بتكريس أوريجينيس (شيخًا Presbter) لمعرفته الزاخرة وقربه من القلوب، وجد ديمتريوس فى ذلك تعديًا على حقوقه، وإنتهز فرصة غياب الرجل لنزع الإعتراف بمشيخيته وإبعاده، وكان هذا فى العام ٢٣١م.

وربما كانت قضية أوريجينيس هذه أول مثال فى تاريخ الكنيسة على النزاع بين أحد علماء الكنيسة المستقلين وبين شخصية السلطة الكنسية التى تظلله وتعلوه. وهو أول مثال فى النظام التراتبى الكنسى على كفاح من أجل الحقيقة يواجه قتالًا من أجل تثبيت السلطة، ولكن للأسف، لم يكن الصراع الوحيد ولا الأخير.. ففى القرون اللاحقة، كيلت الإتهامات بالهرطقة والإلحاد، مرارًا وتكرارًا، لتعاليم هذا الرجل الذى يعتبر من أعظم علماء المسيحية، وهو الرجل الذى ما عرف زمانه خبيرًا بلغ شأنه أو إرتقى إلى رتبته.

بعد وفاة أوريجينيس، قام بعض علماء اللاهوت بحمل أفكاره وتبنيها، بحيث عمت النزاعات اللاهوتية حول تعاليمه، وإنتشرت، مع تعصب لا يمكن تخيله حتى فى عصرنا الحالى.

لقد كتب أوريجينيس أكثر من ٢٠٠٠ مخطوطة، ضاع للأسف قسم كبير منها. أما ما وصلنا من أعماله فلم يكن باللغة الأصلية التى كتبت فيها، بل هى الترجمة اللاتينية. وقد تم العثور فى مصر منذ عقود قليلة فقط على بعض المخطوطات الأصلية التى كتبها أوريجينيس والتى ظهر، بعد المقارنة، أنها تحمل، فى كثير

من المواضع الهامة صلة عميقة بين المسيحية والأفلاطونية الجديدة. وهو ما إعتبرته الكنيسة تجاوزًا كبيرًا، ووصف فى كتابه الأهم (المبادئ De Principils) العلاقة بين الرب والبشر (النفوس) كالعلاقة بين الشمس والأشعة الصادرة عنها، وهى مقارنة توجد، كما ذكر هو نفسه فى تعاليم الفيدا الهندية، ويقول أيضًا أن المسيح، كإبن لله، يقف كوسيط على مسافة واحدة من الرب والبشر. وقد علم أوريجينيس أيضًا أن مجمل الخلق، سواء منه العالم الروحى غير الفانى أو العالم المادى الجسمانى المحدود الآجل، قد خلقه الله، وإنه ليس ثمة جوهر أو معنى لم يستمد وجوده من ذات الله.

وقد علم أوريجينيس أيضًا أن الفروق الفردية بين الجوهر السماوى والأرضى السفلى لا تنشأ إلا فى حال استبعاد الرب، وأن علة هذه الحال وسببها يجب عدم البحث عنها فى الخالق، لكن فى جوهر الحياة بالذات، لأن سبب الإختلاف والتنوع بين المخلوقات الفردية يعود إلى حركاتها الذاتية التى تكون تارة أكبر نشاط وحيوية، وتارة أخرى أكثر تثاقلًا، بحسب ما يتميز به من فضيلة أو أثم، ولا يعود إلى إختلاف المعاملة التى يعاملها بها مدبر العالم.

يقول أوريجينيس أيضًا أن المادة هى علة صنع الجسم والحواس، فى حين يقال أن النفس هى علة إختبار اللذة والألم، والنفس، إذ تستقر فى المادة، تتمتع بالخواص المولودة من الطبيعة، والتعلق بهذه الخواص هو علة ولادتها فى أرحام صالحة وأخرى طالحة، والروح العلى، حتى حين يسكن فى هذا الجسم، يظل على تعاليه عن الطبيعة المادة، ولقد قيل فيه إنه الشاهد، المرشد، ومختبر (اللذة والآلم)، الذات العليا.

وبحسب أوريجينيس، فإن من يحدد المكان الذى يوجد فيه المعنى وفقًا لحركته الخاصة هو الإرادة الذاتية الحرة التى هى أعظم هبة وهبها له الخالق والتى تتمكن النفس عبرها من الإختيار بين أن تكون فى ركاب الرب أو ضده. فقد كتب أوريجينيس: «لقد كفل الرب للعقلاء الذين خلقهم حركاتهم الحرة التى تحددها إراداتهم، والتى بواسطتها ينشأ الخير الخاص فى داخلهم لأنهم

يصلونه بإرداتهم الخاصة، فالخمول والسأم الذى يطرأ على عزيمته المحافظة على الخير، والإبتعاد عن الصلاح وإهماله، هى ما يدفع إلى الإبتعاد عن الخير».

وقد إتفق معه بعض علماء الكنيسة أيضًا فى أن جميع المخلوقات العاقلة اللاجسمية وغير المرئية، إذا اسقطت فى الإهمال، تنزلق تدريجيًا وتنحط إلى الدركات السفلى، وتتخذ أجسامًا، بحسب موضع الدرك الذى انحدرت إليه ونوعه. فهى تكون فى البداية من الآثير، ثم من الهواء، وعندما تقترب من الأرض تحيط نفسها بأجسام أكثف، إلى أن تصير مغلولة ومقيدة باللحم البشرى، ويغير المرء جسمه على الأغلب مثلمًا يغير مقره عند الإنحطاط من السماء إلى الأرض.

يتبين لنا من كل هذه المقولات، سواء عن أوريجينيس أو من غيره من رجال اللاهوت والفلاسفة ومعلمى الكنيسة الأوائل، مثل جوستينانوس الشهيد (١٠٠ ـ ١٦٥)، وتتيانوس (القرن الثانى)، وكليمنصوس الإسكندرانى (١٥٠ ـ ٢١٤)، وسينيسيوس القيرينى (٣٧٠ ـ ٤١٣)، والقس أوغسطينوس (٣٥٤ ـ ٤٣٠)، ونميسيوس أسقف حمص (٤٠٠ ـ ٤٥٠)، أنهم أثبتوا وجهة النظر القائلة بأن نفوس البشر موجودة حتى قبل أن يوجد العالم المادى. فى عبارة أخرى، كان جميع هؤلاء المعلمين الكنسيين مقتنعين بفكرة أصبحت مثارًا للنزاع الفكرى فيما بعد، ونقصد فكرة الوجود السابق للنفوس، وهى كما ذكرنا، شرطهم لمعتقد التقمص والتجسد. وقد أقرها الإنجيل فى الفترة التالية منه: قال الرب لى: «قبل أن أصورك فى البطن إخترتك، وقبل أن تخرج من الرحم كرستك، وجعلتك نبيًا للأمم». ـ إرميا ١ : ٤ ـ ٥).

وفى كتابه المبادئ، تبنى أوريجينيس تبنيًا مباشرًا مبدأيى الكارما والتقمص، فقد قال مثلًا: «إذا أراد المرء أن يعلم كيف تكون النفس البشرية مطواعة للخير، فى آن، ومطواعة للشر فى آن آخر، عليه أن يفتش عن السبب فى الحياة التى سبقت الحياة الحالية. كل واحد منا يسعى إلى الكمال عبر تعاقب حيواته. إننا

ملزمون أن نعيش على الدوام حيوات جديدة وأفضل من سابقتها، سواء على الأرض أو فى عوالم آخرى. إن إندماجنا فى الله الذى ينقينا من كل سوء يعنى نهاية تكرار ولادتنا.

ويكتب فى موضوع آخر: نتيجة الإنجذاب نحو الشر، تتجه بعض النفوس أجسامًا تكون فى بداية الأمر بشرية، وبعد انصرام فترة حياتها البشرية تستبدل، بسبب شهواتها الحيوانية بأجسامها القديمة أجسام حيوانية، وتبدأ إنطلاقها بالهبوط إلى المستوى التالى، ثم تبدأ من حالاتها هذه بالعروج والإرتقاء فى الدرجات نفسها التى هبطت منها، عائدة إلى منازلها السابقة.

وبحسب أوريجينيس، يكمن فى النهاية مغزى الحياة بأسرها وغايتها ضمن العالم المادى فى تصفية النفوس وتطهيرها عبر العديد من التقمصات، حتى تقوى كلها فى نهاية المطاف، عبر إتباعها وصايا المسيح ومحبتها وإندماجها فى الله، على العودة من جديد إلى الملأ الربانى الخالد، فيقول: «لأن الرب لا يوجه النفوس ملتفتًا فقط إلى هذه الخمسين أو الستين عامًا، التى تعيشها على الأرض، بل إلى خلودها الأبدى، ولأنه صنع المادة الروحية غير فانية ومن ذاته شخصيًا. وأن النفوس العاقلة غير مستبعدة من عملية المعالجة، وكأنها تقتصر فقط على حياتها الأرضية. هذه العودة إلى الله يجب ألا يتخيلها المرء وكأنها حادث فجائى، بل مرحلى متدرج، يتحقق عبر أزمنة لا تحصى وغير محدودة فى طولها، بحيث تستوعبها عملية التحسين واحدًا إثر آخر. بعضهم يتعجل ويسرع فى الإرتقاء إلى الأعلى، وبعضهم يتقدم مسافات قصيرة، وبعضهم الآخر يغوص من جديد إلى الأسفل. وهكذا توجد مراتب لا حصر لها من المرتقين الذين إنتقلوا من الخصام مع الله إلى المصالحة معه. وفى النهاية، يقف العدو الأخير المسمى بالموت، الذى ستعمه الإبادة كذلك، ولن يعود ذاك عدوًا».

إنه لمن المؤسف أن مجمل المؤلفات التى تضم علوم أوريجينيس لا تتوفر لدينا بالكامل، ولا حتى فى نصها الأصلى، بل يجب ترقيعها وترميمها من كتابات الآخرين ممن كانوا، إلى حد ما، أعداء للرجل. وعلى الرغم من ذلك،

فإن الشهود على معرفته بأساسيات معتقد التقمص والتجسد كثيرون، لدرجة أننا نعجب اليوم كيف جرى، إلى يومنا هذا، تقديمهم كعديمى الأهمية، أو كيف غض الطرف عنهم!

فنجد هناك مثالًا على لجؤ مؤسسة الكنيسة المسيحية على مر الزمان إلى إقتطاع مادة الفكر الأصلية فى المسيحية وإلى اجتزائها، لكى تقيم بدلًا منها عمارتها التعليمية الخاصة الضيقة الأفق التى خلقتها هى بنفسها. لقد اقتطعت مؤسسة الكنيسة من الدين المسيحى أجزاء من المعرفة الأساسية عن العلاقات التى أعطت معنى لتعاليم المسيح الإنسانية، ومن بعد، إستبدلت بالأجزاء المنتزعة من هذا الأساس المتين عقائد مؤسسية أخلت بالمفهوم الأصلى للعقيدة المسيحية.

وعند البحث الدقيق فى هذه الأمور، تتضح أمام علماء التاريخ الحاليين مشكلة معقدة، فإنهم دائمًا يضطرون إلى كشف النقاب عن الخلفيات السياسية لذلك الزمن الأول للديانة المسيحية قبل البحث فى الأساس العقائدى للديانة. وموضوع التجسد والتقمص هو أحد تلك العقائد الفانية بفعل العوامل والخلافات والسياسة التى أخفت هذه العقيدة من الديانة المسيحية.

فإذا أراد المرء اليوم أن يحدد فيما إذا كانت المسيحية الأولى تشتمل على علم التقمص والتجسد، عليه أن يكشف النقاب عن الخلفيات السياسية لذلك الزمن، وقد قلنا سابقًا أن المسيحية المبكرة فى عصر أوريجينيس لم تكن تعرف بعد عقائد راسخة، ولم يكن قد فهم بعد من مصطلح «الكنيسة» تلك المؤسسة الصلبة، وكان تطور تعاليم الكنيسة يتحدد أساسًا بنظريات عقيدية أقرتها المؤتمرات والمجامع الكنسية.

عندما أصبحت المسيحية فى القرن الرابع الميلادى الدين الرسمى للدولة الرومانية، بدأت أول العقائد تخرج أعناقها. ومعروف أن ظهور هذه العقائد الكنسية لم يكن يعتمد نظامًا داخليًا، فهى لم تصبح حقائق عقائدية صالحة فى شكل عام، ولكن كمبادئ لصد المعتقدات التى لا تتماشى مع مصالح

الكنيسة والتى تحتم إعلانها كعقائد مضللة. فقد بدأ رسميًا بعد مجمع «نيقية Nicea» فى العام ٣٢٥م (وهو أول مؤتمر كبير فى تاريخ المسيحية)، وحتى قبل هذا التاريخ على أغلب الظن، «التنقيح المعروف»، أى تعديل المواضع غير المرغوبة أو غير المفهومة فى العهد الجديد. وقد فوضت السلطات الكنيسة إلى المصححين الذين عينتهم لهذا الغرض تصحيح النصوص المدونة ضمن السياق والمفهوم الذى يعتقده صاحب السلطة صحيحًا. ومن المحتمل حينذاك أن يكون قد جرى حذف العديد من المواضع المتعلقة بالتقمص والتجسد من العهد الجديد، ولم تتوقف هذه العملية فى المجامع المسكونية الثلاثة اللاحقة ـ أى مجمع القسطنطينية (٣٨١م)، ومجمع لإفسس (٤٣١م)، ومجمع خلقيدونية (٤٥١) ـ بل على العكس، فقد عملوا فى وضع أكبر، على إبراز المسيح بإعتباره مخلص عصرنا الوحيد. وزينوا لكل مسيحى حقيقى إن تحرره من موت الجسم المادى يكون حصرًا على المسيح وكنيسته، وتمت بذلك طبعًا إزاحة علوم التقمص والتجسد بشكل ملحوظ، فهى ليست صالحة للمسيحى الحقيقى من وجهة النظر الكنيسة ولم تعد مرغوبة، حتى حذفت نهائيًا من بعد فى المجمع المسكونى الخامس فى القسطنطينية عام (٥٥٣).

ولو قرأ المرء فى تمعن تاريخ المجامع المسكونية وظهور العقائد المسيحية المختلفة، لتوصل إلى إستنتاج مفاده أن هذا التاريخ صاحبه الكثير من النزاعات المريرة حول العقيدة بالدور القياسى للكنيسة وبتأثيرها. وبما أن الأمر فى نهاية المطاف، لم يكن يعدو كونه قرارًا سياسيًا يدور حول المفهوم والرأى الذى ينبغى فرضه، فإن علينا أن نستنتج أن هذه العقائد قد ترسبت فيها، بالدرجة الأولى، المصالح الكنسية. أما التفسير اللاحق حول مساهمة الروح القدس فى صياغة هذه العقائد، أو أن الله قد أوحى بها من عنده، فهو صعب التصديق فى ضوء هذه الظروف ولا يتقبله عاقل. ولا نجد أمامنا فى هذا المجال إلا أن نلاحظ بإنتباه عملية الإزاحة التى تعرضت لها علوم التقمص والتجسد والتى سوف ألخصها فيما يأتى.

نتيجة للكثير من الأسباب، التى جزء منها سياسى سلطوى والجزء الآخر

إنتفاعى بشرى، نشب الكثير من المجادلات اللاهوتية حول تعاليم أوريجينيس بعد موته، وعلى الأخص فى مجال الدينونة أو «علم الأشياء الأخروية». وبما أن أوريجينيس إعترف به فى كل مكان كشخص مميز فى الكنيسة القديمة، فإن المعرقة عن التقمص إرتبطت بإسمه أكثر فأكثر.

أخذت النزاعات والدسائس الكنسية الداخلية فيما يخص أوريجينيس تحتد فى القرون اللاحقة، وغدت الحاجة الملحة إلى إتخاذ قرار فيصل فى هذا الموضوع. وقد وقع فى منتصف القرن السادس حدث خطير، كانت عاقبتة إزاحة علم التقمص واستبعاده من المسيحية الرسمية المؤسساتية. ففى عام ٥٤٣م، جرى التداعى بضغط من القيصر الرومانى «جوستنيانوس الأول» (٥٢٧ ـ ٥٦٥) إلى عقد إجتماع للكنائس الشرقية، كان هدفه المعلن القضاء دفعة واحدة على جميع الفروق اللاهوتية المستمرة منذ ٣٠٠ عام وذات الصلة بتعاليم أوريجينيس. وقد فرض المجمع هذه التعاليم، دون أى إعتبار لموقف «فيجيليوس Vigilius» بابا الكنيسة الرومانية آنذاك، بتسعة محرمات، كان أولها الحرمان الحاسم المتعلق بفكرة التقمص وأسبقية وجود النفس، وقد نص على مايلى: لو أن أحدهم قال أو عبر عن أن النفس تسبق الوجود، باعتبارها جوهرًا خفيفًا أو قوى مقدسة أدركها السأم، ومن أجل معاقبتها انزلت إلى الأرض داخل أجسام تسجنها، فهو ملعون. وفوق ذلك لعنت الحرمانات التسعة هؤلاء الذين لا يعتقدون بالعقاب الأبدى الأليم المعد للجن وللبشر الذين لا رب لهم. وكانت جميع تلك الحرمانات مدفوعة بإيحاء من القيصر «جوستنيانوس»، الذى إعتبر نفسه السيد المطلق على الكنيسة، ومن زوجته صاحبة الدسائس «ثيودورا».

وحول هذا القيصر المريب، كتب المؤرخ «أوستروغوسكى» ما يلى فى فصل «تاريخ الدولة البيزنطية» من كتاب «المرجع فى علم القدماء (١٩٦٣)»: «بقى جوستنيانوس كمسيحى رومانى أيضًا، وكانت فكرة إستقلالية الوسط الدينى غريبة عنه تمامًا، فعامل الآباء والبطارقة بإعتبارهم عبيده. وكما أدار شئون الدولة، أدار أيضًا بالطريقة نفسها الحياة الكنسية، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة من القانون الكنسى إلا وتدخل فيها شخصيًا».

وعبر عن ذلك فى وضوح أكثر كل من «التنر و شتويبر» فى كتاب «الباترولوجيا»: «حياة أباء الكنيسة وكتابتهم وعلومهم (١٩٦٦)»: «حاول جوستنيانوس، عبر التسييس الإرهابى للاهوت، تكفير الرومانيين فى الماضى والحاضر، وكانت لديه طموحات لتلميع صورته ككاتب لاهوتى». وقد كتب «هرمان باور» فى عام ١٩٨٢ فى كتاب «تأثير روما الشرقية»: كان الأمر فى نظر جوستنيانوس أقل صعوبة، لأن البابا «فيجيليوس» المستقر فى روما أمل فى معونة القيصر العسكرية لمواجهة خطر القوط من الشرق. وكان، إلى جانب ذلك، دمية فى يد «ثيودورا»، زوجة القيصر، التى يعود إليها الفضل فى تسلمه منصب البابوية فى العام ٥٣٧م.

كانت شخصية القيصر وحالة الحرب العامة فى شرق الإمبراطورية الرومانية والخطر المحيق من جراء مواجهة جبهة دينية سياسية فى الداخل تتألف من مجموعات رجال الدين والرهبان فى فلسطين من أتباع أوريجينيس هى الأسباب التى قدمت المبرر والدافع السياسى لإستبعاد معتقد التقمص والتجسد من اللاهوت المسيحى. أما الدافع الآخر، فقد تمثل فى «ثيودورا» زوجة «جوستنيانوس» الطموحة والمحبة للسيطرة، التى كانت، بحسب ما قاله المؤرخ «بروكوبيوس» ابنة سائس دببة فى مسرح بيزنطة المكشوف، وبدأت كمحظية طريق صعودها إلى السيطرة على الإمبراطورية، وأمرت فيما بعد، بصفتها الإمبراطورة «الطاهرة العفيفة» بإساءة معاملة ٥٠٠ من بنات الهوى رفيقاتها فى الصنعة وتعذيبهم لكى تقطع صلتها تمامًا بماضيها المشين. وبما إنها، وفقًا، لقوانين «كرما» التى تبناها أورجينيس فى كتابه «المبادى» «وضد كلسيوم Contra Celsium»، سوف تكفر عن أفعالها المشينة فى حياتها اللاحقة. فقد سعت فى بساطة لدى القيصر إلى إبطال أية علوم عن العودة إلى الحياة، ولابد أنها كانت مقتنعة تمام الإقتناع بفاعلية هذا الإبطال، لو تم من خلال «قرار إلهى».

ما هى الدوافع المريبة التى تقف خلف حقيقة لعن تعاليم أوريجينيس فى مجمع الكنائس الشرقية فى القسطنطينية فى عام ٥٤٣م؟ لأن الحرمانات الرسمية مهرتها ووثقتها، بتأثير ضغط مستمر من القيصر، وبتوقيعات البطارقة

الحاضرين، وفى النهاية توقيع البابا نفسه، الذى استقدم كرهًا إلى القسطنطينية فى العام ٤٥٥م لهذه الغاية. وبهذه التوقيعات استطاعت الكنيسة، لأسباب دنيوية محضة، أن تضع أوريجينيس، أهم علماء اللاهوت فى المسيحية القديمة وأبرزهم، على نسق واحد مع الهراطقة والمضللين!

ولابد لنا أن نقبل بالتأكيد أن عواقب ذلك كانت تطهير وثائق الكنيسة، أكان ذلك استبعادًا أو تحريف، من كل ما يتعارض مع المبادئ العقيدية الكنسية، وعلى البحث التاريخى المعاصر أن يستدل على المواضع التى جرى إغفالها أو أسقاطها علنًا.

بعد عشر سنوات، أى فى عام ٥٥٣م، أدينت من جديد تعاليم أوريجينيس فى التقمص والتجسد وأسبقية النفس فى المؤتمر المسكونى الخامس فى القسطنطينية، وخرجت فى نهاية المجمع حرمانات تماثل فى محتواها الحرمانات القديمة، وبذلك أعلن رسميًا أن علم التقمص علم وثنى مضلٰل، جرى استبعاده شرعيًا. ومنذ ذلك التاريخ، حظر أشد الحظر على كل مسيحى مؤمن، مخلص للكنيسة، أن يعتقد بالتقمص. وهذا بطبيعة الحال، ما يؤمن به علميًا، إلى يومنا هذا، جميع مؤرخى الكنيسة والقسم الأعظم من المسيحية العالمية.

لقد سقط علم التقمص فى المسيحية القديمة فى العام ٥٥٣م ضحية غلطة وضحية العاقبة، لأن اللعن الوهمى لعلم التقمص يعود فقط، كما ذكرت آنفا، إلى رغبة سلطوية فردية موجهة شخصيًا من الإمبراطور البيزنطى. والأكثر إثارة فى هذا الموضوع أن ثمة أجزاء مهمة من وثائق المجمع المتعلقة بقضية أوريجينيس قد ضاعت، إما مصادفة وإما زورت لاحقًا لأية أسباب كانت، أو أنه لم يجر تداولها مطلقًا ـ وهو ما يرجحه المؤرخون ـ فى جلسات المجتمع الرسمية الثمانى المخصصة لموضوعات أوريجينيس، لأن الجلسات إهتمت فقط، كما يذكر بروتوكول المجمع بقصة «جمعية الرهبان الثلاثية»، أو العلماء الثلاثة الذين وصفهم جوستنيانوس بالملحدين، وأصدر قبل أربع سنوات مرسومًا ضدهم.

وعلى الرغم من أنه لم يتم التطرق إلى سيرة أوريجينيس علنًا، إلا أننا نجد اللعن التالى فى البند الحادى عشر من المجمع: «ملعون كل من لا يلعن جميع كتابات وتصنيفات أوريجينيس الملحدة وجميع الهراطقة الآخرين المغضوب عليهم من الكنيسة الرسولية والكاثوليكية المقدسة». ومن المعتقد أن يكون هذا اللعن الغريب قد قدمه جوستنيانوس قبل إفتتاح مؤتمر البطارقة الذين إحتاج لوجودهم للحصول على توقيعاتهم فقط. ومن المهم أيضًا أن البابا فيجيليوس لم يشارك فى أية جلسة من الجلسات على الرغم من أنه مثير للجدل لهذا السبب، لم يتصدر البابا المجمع كما هو مألوف، بل قام بترأس المجمع بطريرق القسطنطينية «أقطيضيوس»، الخادم المخلص للقيصر جوستنيانوس. واللافت أيضًا أنه لم يسمح سوى لبعض أساقفة البلدان الغربية بالحضور من أصل ١٦٥ أسقف حضروا المجمع، بينما رفض الأساقفة الآخرون أن يشاركوا فى ظل تلك الظروف. وكان هذا يعنى أن مجمع القسطنطينية كان، علميًا، اجتماعيًا، شخصيًا خاصًا بالقيصر جوستنيانوس، قام به مع الموالين له، وقد تحدوا فى ذلك إحتجاج البابا وأساقفة الكنيسة الرومانية بتحريم علم الوجود المسبق للنفس وإقصائه، وبذلك سحبت من العلم المسيحى القديم قاعدته التى نشأ عليها. وبسبب حقيقة رفض البابا فيجيليوس المشاركة فى المجمع، فإن بعض العلماء الكاثوليك المتفتحين بدؤوا من جديد يشكون فيما إذا كانت للمجمع نفسه وقراراته أصلًا صلاحية التطبيق على الكاثوليك، أو بكلمات أخرى، فيما لو كانت تعاليم التقمص لا تزال، كما كانت سابقًا، جزءًا من مادة التفكير المسيحى.

إختتم المجمع الذى إستغرق ٤ أسابيع أعماله، ولكن البابا فيجيلوس لم يضع توقيعه إلا بعدها بشهور بعد تعرضه لضغوط لا هوادة فيها من القيصر، ولخشيته من القتل أو الإغتيال أو من تعيين أحد معارضيه فى منصبه، وذلك دون أن تكون لديه معلومات مسبقة عما ضد أوريجينيوس. لقد كتب رودلف باسيان فى كتابه «الولادة من جديد: حياة أم حيوات؟» فى الصفحة ٢٢٣ منه: «مجمل القول أن القضية كانت مشبوهة إلى أبعد الدرجات، لا أثر للمشروعية فيها. وننصح لمن يريد أن يطلع بإختصار على الطريقة التى كانت تحسم بها

الخلافات العقائدية فى المجامع المسكونية الخمسة الأولى بالرجوع إلى مقال روبرت كيل بعنوان «روح قدس خاص». فقد طلب كيل من الكنائس، لو أرادت أن تستعيد مصداقيتها من جديد، أن تنأى بنفسها عن هذه المجامع المسكونية وعن قرارتها التى إتخذت تحت عباءة الرعب والدسائس. لم تراجع الكنيسة هذا الحرمان المشبوه من القيصر بعد ٣٠٠ عامًا على وفاة أوريجينيس، ولم تعد النظرية فيه، بل على العكس، فقد ترسخ تدريجيًا فى فكر الكنيسة الإقتناع بأن اللعن جزء من مقررات المجمع الملزمة لها، على الرغم من كل الأقوال المتناقضة ابان هذه القرون المنصرمة. وتتبقى حقيقة أن هذا التحريم الظالم لمعتقد التقمص والتجسد ـ لو فحصنا الأمر بدقة أكثر ـ ليس أكثر من غلطة تاريخية لا تملك أيه صلاحية مسكونية، ولو عبرنا عن الفكرة تعبيرًا مغايرًا لأمكن لنا القول، ليس أمام المسيحيين أى مانع رسمى يحظر عليهم الإعتقاد بالتقمص. التقمص ليس غريبًا عن المسيحية، فكيف به عن الكنيسة؟ لكن علوم التقمص أدينت مجددًا، بأقصى درجة من الحدة والتشنج، فى مؤتمر ليون (١٢٧٤م)، وفى مؤتمر فلورنسا (١٤٣٩م)، كما لوحق أتباع هذه العلوم، بلا كلل ودون رحمة، وغالبًا ما تم إعدامهم. وليس أدل على ذلك من مأساة العلامة الإيطالى والراهب الدومنكانى «جيوردانو برونو» (١٥٤٨ ـ ١٦٠٠)، الذى قدم إلى محكمة التفتيش الكنسية فى العام ١٥٩٢م بسبب معتقداته الفلسفية الخاصة حول إرتحال النفوس، فحكم عليه فى النهاية بالموت حرقًا بعد فترة طويلة قضاها فى الاعتقال، وأحرق علنًا فى عام ١٦٠٠ فوق كومة ضخمة من الحطب فى روما. وعن أسباب هذه الممارسات، قالوا: أن فكرة التقمص تتناقض مع مختلف العقائد المسيحية عن الحياة الأخروية، كقيامة الجسد مثلًا، أو تتناقض مع المبادئ المسيحية، لأن الفصل بين شقاء الإنسان وسعادته يكون فى هذا العمر الأرضى الوحيد الذى نعيشه والذى تنتقل النفس بعده مباشرة إلى النعيم الأبدى أو إلى الجحيم الأبدى. وهى، إلى ذلك، تتضمن الأراء التى أدانتها الكنيسة مثل «إستقلال النفس عن الجسد»، أو أسبقيه النفس على الجسد. Anima Separuta.

وقد شرح الدكتور رؤوف عبيد فى كتابه القيم «فى العودة للتجسد» سر هذه المقاومة الضخمة من رجال الاعتقاد المسيحى لمعتقد التجسد وأقتبس منه هنا: «ومع كل الإعتبارات الواضحة لماذا إذا وجدت عقيدة العودة للتجسد كل هذه المقاومة الضخمة من السواد الأعظم من رجال الإعتقاد، أو بالأدق من «أرباب المذاهب؟» لا ريب أن هذه المقاومة لا ترجع إلى قرار مجمع القسطنطينية فقط، الذى طالما أهدرت قرارات صريحة له فى أمور كثيرة. بل ترجع بالأكثر إلى إعتبارات معينة يمكن أن يسلم بها بسهولة كل عارف لطبائع بنى البشر، ومقدر لحقيقة نوازعهم ومن هذه الإعتبارات مايلى:

أولًا: أن إنكار هذه العقيدة يكفل «أرباب المذاهب» المزيد من الهيمنة على قلوب البشر، لأن التلويح بالنار الأبدية قد تنتظرهم بعد الموت مباشرة مختلف تمامًا فى وقعه على النفوس عن التلويح بمجرد التطور نحو ما هو أسمى وأفضل عن طريق إحتمال العودة المتكررة للتجسد. ففى الحالة الأولى من السهل التلويح بالغفران الذى بمقدورهم أن يمنحوه للمؤمنين، أما فى الحالة الثانية فإنه إن كان ثمة غفران فهو منحة التطور الطبيعى لصاحبه لا منحه من أحد البشر. وما قصة صكوك الغفران التى كانت تباع فى القرون الوسطى عدًا ونقدًا بعيدة عن الأذهان . وقد كانت هذه القصة وراء الثورة العارمة التى أعلنها مارتن لوثر، وتمثل الصكوك إنحرافًا جليًا باسم الإعتقاد. وأخشى أن يكون هذا الإنحراف لا يزال قائمًا ـ ولو على وجه ما ـ وإن إختلفت الأشكال وذلك فى انحاء كثيرة من الأرض.

ثانيًا: إن التسليم بهذه العقيدة يفتح الباب واسعًا لتدخل مفاهيم العلم والفلسفة. ولا ريب أن آفاق رجل الاعتقاد خصوصًا فى العصور الأولى والوسطى ما كانت لتتسع للسماح بمثل هذا التدخل الذى قد يتهدد أيضًا قوة سلطانه الشخصى على النفوس، هذا السلطان الذى يحرص عليه رجل الإعتقاد كل الحرص بطبيعة الحال بوصفه حقًا له

خالصًا، لا يصح أن ينازعه فيه منازع من فلسفة أو من علم، حتى ولو كانت الفلسفة صادقة والعلم ثابتًا.

ولا ريب أن الحصار الدينى، أو بالأدق أن الحصار بإسم الدين كان قد بلغ ذروته فى أوروبا فى تلك العصور. وعندما يقوم الإنفعال الدينى بفرض حصاره على العقل فإنه يكون من المحال على العقل أن يبحث فى روية فى طبيعة الإنسان أو فى حقيقة قدره ومصيره، أو فى حقيقة النواميس الطبيعية التى تهيمن على سير ركب الحياة... وتكون كل محاولة فى هذا الشأن مطبوعة بروح الإنفعال لا بمنطق العقل، وشتان بين هذين الأسلوبين اللذان يمثل أولهما أسلوب الغلو والإرتجال، ويمثل ثانيهما أسلوب التأنى والإعتدال. وبمقدار ما يحاول أولهما الإرتباط بالنصوص بمقدار ما يفلح فى تشويه الحقائق، وذريعته الوحيدة هى أنه أكثر ارتباطًا بالنصوص مع أنه قد يكون فى واقع الأمر على النقيض منها تمامًا.

ثالثًا: أن عقيدة العودة للتجسد شأنها ـ شأن سائر موضوعات الروح ـ إذا نظرنا إليها من الناحيتين العلمية والفلسفية وجدنا إنها عميقة المعانى بعيدة الأطراف تتطلب الإلمام بنواح كثيرة من فلسفات ومن علوم شتى. وعقيدة هذا شأنها من المستحيل أن تتسع آفاق كل إنسان لدراستها فى كافة جوانبها، ثم لهضمها وتمثيلها، والإفادة مما ترتبه من نتائج فلسفية وعلمية مفرطة فى خطورتها.

رابعًا: إن التمسك بصحة جميع المفاهيم المتوارثة هى السمة المميزة لأرباب المذاهب فى كثير من الأمور، ولرجال العلم أيضًا. فإن من خصائصهم مقاومة كل كشف جديد مهما كانت عناصره واضحة وثابته. وهذا التشبث بالقديم تعلو درجته كلما علت درجة الكشف الجديد فى عمق المفهوم وخطورة النتائج.

إذن ـ فلم يكن اذن قرار «مجمع القسطنطينية» بكل ما لابسه من مقدمات

معروفة استفرضتها مسبقًا، وما شمله من مضمون واه، هو العقبه الوحيدة والحقيقية فى وجه تقبل الإعتقاد بالعودة للتجسد فى الغرب بمقدار ما كان هو هذه الإعتبارات التى أسلفناها. كما لم تكن العقبة ـ من باب أولى ـ هى نصوص الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، بما فيه من دلالات واضحة ـ وفى كثير من الأحيان حاسمة ـ إلى جانب صحة هذا الإعتقاد، لا إلى جانب بطلانه كما زعموا خطأ. والدليل على ذلك أنه إذا كان السواد الأعظم من رجال الإعتقاد قد وقف فى الغرب فى وجه إنتشار هذا الإعتقاد بلا بحث ولا دراسة ـ كما هى الحال فى كثير من الحالات ـ فإن هناك عددًا ممن يعدون فى الذروة بين آباء الكنيسة الأولى، وواضعى أسسها اللاهوتيه، أو الخلقية، أو الفلسفية، وممن عرف عنهم التفكير المنطقى المترابط والفهم الصحيح لأمور الإعتقاد، وقد إعتنقوا هذه العقيدة ودافعوا عنها. ولعل مما شجعهم على ذلك أيضًا أنه بحسب بعض تعاليم الإعتقاد حتى الحرفى تمضى حقبة طويلة جدًا بين الفترة التى تلى الموت مباشرة والحساب الأخير الذى يحدد بحسب هذه التعاليم المصير النهائى للروح بين الجنة، أو النار، أو المطهر. وإلى أن يحل وقت الحساب الأخير من الجائز بحسب هذه التعاليم نفسها أن يحدث تغير فى تطور الروح.

إذن ماذا تصنع الروح خلال تلك الحقبة الطويلة التى ينبغى أن تمضى؟ من الجائز أن يقال إنها تكون عرضة للتجسد المتكرر من جديد على الأرض حتى تحصل على المزيد من التطور. وتعطى أكثر من فرصة للتطهر من خطاياها إلى أن يحل موعد حسابها الأخير. وليست هذه العقيدة الأخيرة هى بالضبط عقيدة علم الروح الحديث، لكن يمكن بلا أدنى ريب التوفيق بين العقيدتين فى ضوء الحقائق العلمية الحديثة خصوصًا إذا تركنا جانب أسلوب التشبث بالفهم القديم لمجرد قدمه، ولرسوخه فى الأذهان وفى الوجدان وتركنا معه أسلوب التشبث بالصور الحرفية أو الرمزية للثواب والعقاب.

وعلى أية حال، لقد وجدت عقيدة العودة للتجسد الأرضى ـ بالمفهوم المحدد المستقل تمامًا عن مفهوم «التناسخ» أو «تقمص أرواح الحيوانات

والنباتات» ـ من يتبناها بين عدد من صفوة المفكرين الدينيين فى الغرب. ولم يدر بخلدهم مطلقًا أنهم بموقفهم هذا قد خالفوا أصول عقائدهم الدينية. كما لم يدر ذلك بخلد أحد من شراحهم، أو أتباعهم.

تطور مفهوم التجسد فى المسيحية والغرب عمومًا

موقف آباء الكنيسة الأوائل

إن عددًا من أبرز آباء الكنيسة اللاتينية وفلاسفتها قد إتجه ـ رغم عمل المقاومة الضاربة ـ إلى إعتناق مبدأ العودة للتجسد، ونذكر منهم بوجه خاص وبالترتيب التاريخى:

ـ الأسقف سينوسيوس: الذى كان أسقف لأبروشية البطالسة ببلاد اليونان، وكان فيلسوفًا، وخطيبًا، وشاعرًا رائعًا (٣٧٠ وتوفى حوالى ٤١٣م).

ـ سان جيروم: وهو من أبرز فلاسفة الكنيسة الغربية وهو الذى ترجم الأناجيل إلى اللغة اللاتينية، وله مؤلفات عديدة فى الدين، والتاريخ الدينى والآداب (٣٣١ وتوفى حوالى ٤٢٠م).

ـ سانت أوغسطين: وهو أبرز فلاسفة الكنيسة اللاتيني قاطبة (٣٥٤ ـ ٤٣٠م) وكان أسقف لأبروشية هيبون وينسب إليه صياغة العقيدة المسيحية فى صيغة فقه بمؤلفاته العديدة التى منها «مدينه الله» و«الاعترافات»: «ألم أولد فى جسد آخر، أو فى مكان آخر قبل دخولى فى رحم أمى؟»، وإذا تساءل سانت أوريجين: «ألم يكن طبعًا للسبب أو للمبرر فقط أن كل روح إنما تدخل فى جسد لأسباب مؤكدة وغامضة، ويكون دخولها هذا طبعًا لاستحقاقها وأفعالها السابقة؟» كما يميط القديس جيروم اللثام عن ذلك بقوله: «إن عقيدة تعدد الحيوات كانت تدرس كسر من أسرار الدين الخفية يعرفه الإنسان عن طريق الوحى وحده، ولا يستطيع مع ذلك أن يفهمه فهمًا كاملًا».

موقف كبار الفلاسفة والمفكرين الغربيين فى العصر الحديث من معتقد التجسد

ذكر الأستاذ نبيه القاضى فى كتابه «التقمص» أن كثير من الفلاسفة والعلماء الغربيين أمنوا بالتقمص وهم:

- جيوردانو برونو ١٥٤٨ ـ ١٦٠٠ Giordano Bruno: كاهن وفيلسوف وكان يتفق مع من يقول، إن الروح لا توجد بدون جسد. عمل أستاذًا فى أوكسفورد، معلمًا حول خلود الروح والتقمص. وحكم عليه عام ١٦٠٠ بالحرق فى البندقية بتهمة الهرطقة.

- هليوت ١٦١٨ ـ ١٦٩٩ F.M.V Helmont: عالم وفيلسوف بلجيكى، نشر كتابًا فى بريطانيا عام ١٦٨٤ بعنوان: مائتا سؤال مقترح بخصوص عقيدة الروح الإنسانية، حكم علية بالسجن فى روما، عام ١٦٦٢ لتعليمه التقمص ومذهب الحلول.

- اسبينوزا ١٦٣٢ ـ ١٦٧٧ B. Spinoza: فيلسوف ومفكر دينى هولندى، أجاب على السؤال، لماذا لا نتذكر حيواتنا السابقة قائلًا: ليس من المستحيل أن نتذكر أننا كنا عائشين قبل التجسد ـ أكد دور العقل والأخلاق وما وراء الطبيعة. إتهمه الكثيرون بالإلحاد.

- لايبنز ١٦٤٦ ـ ١٧١٦ Leibniz: وهو فيلسوف ورياضى ألمانى، إعتقد أن كل الأرواح قد وجدت بشكل دائم فى جسد منظم، وإن إستمرارية الحياة للإنسان، لن ترى بعد ذلك منقطعة بالموت بل بالمنام.

- سويدنبورج ١٦٨٨ ـ ١٧٧٢ E. Swedenborg: وهو عالم سويدى، كان من أعلام اللاهوت، وخبيرًا فى المعادن والمناجم، ولمع فى علم النفس والعقل والروح، ومن مؤلفاته الروحية: أسرار السماء، الجنة والنار، الحكمة الملائكية للحب الإلهى، علاقة الروح بالجسد، المذكرات الروحية واليوميات الروحية، وكتبه كلها كتبها باللاتينية.

ـ بنيامين فرانكلين ١٧٠٦ ـ ١٧٩٠ B. Franklin: وهو عالم ومخترع وكاتب سياسى، كتب بشكل ملائم بالرغم من كل العراقيل فى الحياة الإنسانية، لا يمنع من إصدار نسخة ثانية من الشخص نفسه، على أمل أن يصحح الأخطاء الموجودة فى الأولى.

ـ عمانوئيل كانت ١٧٢٤ ـ ١٨٠٤ E. Kant: فيلسوف ألمانى، له كتابان: نقد العقل النظرى، ونقد الحكم العقلى، وذهب فيهما إلى القول، بأننا لا ندرك ماهية الأشياء بل ظواهرها الحسية فى المكان والزمان. كان يعتقد أن الأرواح موجودة من قبل، وإنها تذهب إلى كواكب أخرى بعد وفاتها، لتتقمص هناك. إستنتج من القانون الأدبى وجود الله والحرية وخلود الروح.

ـ فان هارد ١٧٤٤ ـ ١٨٠٣ Van Herder I.G: كان يعتقد أن الرجال العظام والنادرين، لا يمكن أن يكونوا قد وصلوا إلى هذه المكانة فى جيل واحد، وإن ذكريات الحيوات السابقة عند البعض منهم، تعنى أن يميزوا بالواقع منظرًا أكثر شمولية من الآخرين وأن الأطفال يقترحون أفكارًا ما كان لها أن تأتى إلا بعد تحضير طويل.

ـ شوبنهاور ١٧٨٨ ـ ١٨٦٠ A. Shopenhauer: فيلسوف ألمانى، إهتم كثيرًا بدراسات الفلسفة الهندوسية والبوذية والعرفان الباطنى. أمن بفكرة التطور من خلال التقمص فى أجساد جديدة أفضل من السابقة. كان أحد الرواد بين الكتاب الغربيين فى قبوله لفكرة التقمص الجماعى.

ـ جيته ١٧٤٩ ـ ١٨٣٢ Geothe: فيلسوف ألمانى، قال فى هذا المضمار: أننى متأكد أنى قد كنت هنا من قبل، كما أنا الآن، الآف المرات، وأمل أن أعود الآف مرات أخرى.

ـ هيل ١٧٨٠ ـ ١٨٢٦ J.P.Hebel: شاعر وكاهن ألمانى قال: قد عشنا من قبل والحكمة هى ثمرة التجربة، كونى إجتزت عددًا من الرحلات، محافظًا على أناى من خلال مجموعة حالات وأشكال.

ـ تايلور ١٧٥٨ ـ ١٨٣٥ T.Taylor: قال إن الروح تمر بمراحل تصاعدية لاهوتية، وبمنفى قياسًا لمصدرها الروحى.

ـ فوريه ١٧٧٢ ـ ١٨٣٧ F.Fourior: مؤسس الإشتراكية، من الذين ينظرون إلى التقمص بتفاؤل، ويعتقد أن كل واحد منا تنتظره حيوات كثيرة، بعضها فى هذا العالم، والأخرى فى كوكب أكثر سموًا، وجسد أكثر لطافة، وحواس أكثر رهافة.

ـ بلزاك ١٧٩٩ ـ ١٨٥٠ H.de.Balzac: روائى فرنسى، كان مقتنعًا بالتقمص، وإن الناس يعيشون بدخول الروح، ثم تتبع حيوات أخرى، حيث يجب أن نعيشها لنصل إلى مكان النور.

ـ فيكتور هوجو ١٨٠٢ ـ ١٨٨٥ V.Hugo: روائى فرنسى، قال كل مرة نموت فيها، نربح حياة أخرى، أن الأرواح تعبر من كرة إلى أخرى، دون أن تفقد شخصيتها، تظهر أكثر وأكثر سطوعًا. كان يقول: «عندما انزل إلى القبر، أستطيع القول، لقد أكملت أيام عملى، ولكن لا أستطيع القول، لقد انتهت حياتى. إن عملى اليومى سيبدأ من جديد فى الصباح التالى».

ـ كير كيجارد ١٨١٣ ـ ١٨٥٥ S.Kierkegaard: فيلسوف ومفكر دينى دانماركى، عبر عن فكرته كالتالى: سأله النبى لمن تكتب؟ أجابه الصوت: للأموات الذين أحببتهم فى القدم. هل سيقرأوننى؟ أجاب النبى: نعم لأنهم سيعودون لاحقًا.

ـ تولستوى ١٨٢٨ ـ ١٩١٠ L.Tolstoi: قال أن احلام حياتنا الحاضرة، هى البيئة التى فيها شكلنا انطباعاتنا وأفكارنا وشعورنا من حياة سابقة، وحياتنا ليست إلا أحلامًا لحياة أكثر واقعية، وهكذا لا نهائية، إلى أن نصل إلى النهاية إلى الحقيقة، حياة الله. وغيرهم كثيرين لا يتسع المقام هنا لإستعراض أفكارهم المرتبطة بإيمانهم بمبدأ التجسد والتقمص.

• مفهوم الروح فى الإسلام

عندما بعث النبى ﷺ فى قومه وأعلن النبوة ذهب بعضهم إلى اليهود يسألونهم فى أمر يمتحنون به هذا النبى فطلبوا منهم أن يسألوه فى أمر لم يخبر به أى نبى من قبله وهو الروح. فلما سئل الرسول فى ذلك أمهلهم حتى يأتيه فإذا بالقرآن يرد عليهم: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥). والمعنى العلمى لهذه الآية أن الروح أمر يصعب على البشر أن يفهموه لأنه أكبر من علمهم وعقولهم ومهما أوتى الإنسان من العلم لن يفهم حقيقية الروح، وهذا هو السر فى هذا الرد المقتضب حتى لا يقع الناس فى البلبلة والظنون وينشغلوا عن الدعوة الجديدة بأمور فلسفية. وقد ذهب المفسرون بعد ذلك إلى شتى التفاسير، فمنهم من قالوا: إن هذا الرد معناه نهى المسلمين عن الدراسة والعلم بهذه القضية، بينما ذهب الأكثرية بأنها لم تنص على القول: (قل الروح من علم ربى) بل نصت: (من أمر ربى)، والفارق بينهما كبير وواضح ومن هنا فلم يتوقف علماء المسلمين عن الكتابة والدراسة فى هذا الموضوع، من ذلك كتاب (الروح لأبن سينا) وكتاب (الروح لأبن القيم) وعشرات الكتب على مر العصور.

• إنتقال الروح عند العرب

إعتقد العرب الجاهليون برجعة الإنسان إلى العالم الأرضى بعد الموت، وقالوا أن الميت يرجع إلى هذه الدنيا مرة أخرى، ويكون حيًا، كما كان يوجد عند العرب القصص والروايات التى تؤكد أن العرب الجاهليين إعتقدوا بالمسخ من ذلك ما قاله بعض أهل الأخبار عن «اللات» من إنه كان رجلًا يلت السويق عند صخرة بالطائف فلما مات قال لهم «عمر بن لحى» أنه لم يمت ولكنه دخل الصخرة ثم أمرهم بعبادتها وبنى بيت عليها يسمى «اللات». وما رواه العرب أيضًا عن إساف ونائلة أنهما كانا رجلًا وإمرأة عملًا عملًا قبيحًا فى الكعبة فمسخًا حجرين. كما آمن العرب بالتناسخ على مختلف أشكاله وكان أثر التناسخ كبيرًا على بعض الفرق الإسلامية، فقد قال أحمد بن خابط وأبو مسلم الخراسانى

بالتناسخ، كما إعتقد القرامطة ومحمد بن زكريا الرازى، وكانوا يعتقدون أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخرى وإن لم تكن من نوع الأجساد التى فارقت. وتعتبر «الجناحية» من الفرق الأوائل التى آمنت بالتناسخ ويظهر فى ابحاث بعض المؤرخين أن هذه الفرقة قد إعتقدت بالنسخ والمسخ. وممن أيد قضية «التناسخ» من المسلمين القرامطة فى العراق والشام واليمن. ومنهم أيضًا «عبد الكريم بن ابى العوجاء» المتوفى عام ٧٧٢م والتابعين له. ويعتبر «أحمد بن خابط» المتوفى عام ٨٤٦م زعيم هؤلاء التناسخيين وكان يقول ان الله تعالى خلق الخلق فى أبدان صحيحة وعقول سليمة فى دار نعيم ليست هى الدنيا، وخلق فيها معرفته والعلم به وأسبغ عليهم فى هذه الدار نعمه. فمن أطاعه فى كل ما أمر به من التكليف أخره، ومن عصاه أخرجه منها إلى النار وهى دار العذاب الدائم. أما من أطاعه فى بعض ما أمر به وعصاه فى البعض الآخر فإنه يخرجه إلى الدنيا ويلبسه فيها بعض هذه الأجسام التى هى قوالب كثيفة للروح ويبتليه بالشدة والآلم لبعض عصيانه، أو الراحة والمتعة لبعض طاعته عن طريق التجسد فى صور مختلفة من صور الناس والحيوانات على إختلاف أنواعها، وبالقدر الذى كانت عليه معصيته فى دار النعيم الأولى، فمن كانت معاصيه أقل وطاعته أكثر كانت صورته فى الدنيا أحسن، ومن كانت طاعته أقل ومعاصيه أكثر صار قالبه فى الدنيا أقبح. ولا تزال الروح فى هذه الدنيا تتنقل فى قوالب وصور مختلفة ما دامت الطاعة مشوبة بالذنوب.

وكان عبد الله بن سبأ يردد القول برجعة النبى محمد ﷺ استنادًا منه إلى الآية الكريمة رقم ٨٥ من سورة القصص ونصها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾. ويقول الباحث الدكتور حسن إبراهيم حسن أن مذهب «تناسخ الأرواح» (وهو خروج الروح من الجسد وحلولها فى جسد آخر) نشأ فى الإسلام من فكرة الرجعة هذه. وقد تعرض المفسر المعروف «محمد محمد عبداللطيف» لهذا الموضوع بمناسبة شرحة للآيتين الكريمتين ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الواقعة: ٦٠ ـ ٦١).

يقول ابن الخطيب: «وما نحن بمسبوقين» أى بعاجزين على أن نبدل أمثالكم، أى نخلق غيركم من جنسكم بعد مهلككم. وننشئكم أى نشأة أخرى. «فيما لا تعلمون» أى خلق شئنًا وأية نشأة أردنا. ثم يقول: يؤخذ من هذه الآية أن الإنسان قد يخلق بعد موته فى خلق ادنأ من خلقته، وأحط من طبيعته تأديبًا له وتعذيبًا، كما أنه يجوز أن يخلق فى خلق أعلى من خلقه وأشرف من جنسه تعظيمًا له وتكريمًا. وهذا القول يعارضه الأكثرون تحرزًا من القول بتناسخ الأرواح.

ومن الواضح إن ابن الخطيب يشير إلى معارضة الأكثرين للقول بتناسخ الأرواح، بمفهوم إحتمال عودة روح الإنسان فى جسد حيوان بين إحتمالاتها الأخرى. فإذا نفينا هذا المفهوم، وعلى النفى أجمع باحثين الدراسات الروحانية كلهم، فلا يتبقى سوى إحتمال عودة الإنسان للتجسد فى صورة إنسان جديد، وهذا مفهوم مختلف عن ذلك تمامًا، ويلئم تمامًا مع صريح نص هذه الآية، وغيرها من الآيات الكريمة التى أوردناها فيما سبق.

اعتقاد الدروز بالتناسخ

يعتقد الدروز بالتناسخ أو التقمص كما يسمونه، ومعناه عندهم إنتقال النفس من جسم بشرى إلى جسم بشرى آخر. والجسم قميص للروح التى لا تموت أبدًا بل تتقمص أجسامًا أخرى فى كل نقلة، فنفس الموحد تنتقل إلى موحد ونفس المشرك إلى مشرك. ومن هنا زعموا أن عدد سكان العالم غير قابل للزيادة ولا النقصان منذ بدء الخليقة، ويبقى على هذه الحال إلى الأبد فهم لا يزيدون ولا ينقصون وكل من مات إنتقلت روحه إلى جسد جديد دائمًا. ولا يؤمن بيوم القيامة، فلا حساب ولا جزاء ولا ثواب ولا عقاب فى الحياة الآخرة، وإنما يتم ذلك كله فى الدنيا عن طريق التقمص وما تلاقيه الروح فى تقمصها من النعيم أو عقاب، إلا إنهم ينتظرون يومًا يجئ الحاكم فى صورة ناسوتية مرة أخرى، ويدين له كل أهل الأديان بالتوحيد والطاعة كما يزعمون، يخرج من بلاد مصر أو من بلاد الصين من سد الصين العظيم، وحولة قوم يأجوج ومأجوج، القوم الكرام أو المؤمنين بالحاكم كما يسمونهم. ومفهوم التناسخ عند الدروز هو

الإعتقاد بأن الأجساد تبلى وتبقى الأرواح لتنتقل من جسد إلى آخر فى سلسلة طويلة لا نهائية. ويؤمن الدروز بأن الإنسان عندما يموت فإن روحه تخرج منه وتحل فى جسد مولود جديد، وإن كان الإنسان صالحًا فروحه تنتقل إلى جسد إنسان صالح، وإن كان فاسدًا فإن روحه تنتقل إلى جسد إنسان فاسد وإن ظل على فساده فى الجسد الجديد تنتقل روحه إلى جسد حيوان أو حشرة (قريب من معتقد التناسخ عند الهندوس).

يؤمن الدروز أيضًا بأن الروح تنتقل من الجسد الميت إلى الجسد المولود فى ذات اللحظة بسرعة البصر، وإن روح الذكر الميت تحل فى روح الذكر المولود، وكذلك روح الأنثى الميتة تحل فى جسد الأنثى المولودة.. وهذا ما يعرف بعقيدة التقمص عند الدروز وملخصها كما يقولون: أن الجسد مجرد قميص للروح، أو عربة تمتطيها الروح طيلة حياة الإنسان المقدرة له من الخالق، وإنه فى حالة عدم صلاحية هذا الجسد لبقاء الروح فيه سواء بالشيخوخة أو المرض أو القتل، تخرج الروح، ويتحلل الجسد إلى عناصره المكون منها وإن الروح تحل فورًا فى جسد طفل آخر ساعة الولادة ليعاود حياة أخرى، وإنه قد تبقى الآف السنين تتقلب من جسد إلى جسد حتى تنضج روحيًا وتصبح خيرة تمامًا، وهنا لا تعود إلى الأرض بل تلتحق بالأرواح الطيبة فى الأعالى...

أدلة الدروز على التناسخ

- النفوس عددها محدد منذ بدء الخليقة تتناسخ حتى تكفى ملايين الأجساد.
- من الحكمة أن تظل الروح فى الأرض فترة طويلة جدًا حتى يتم إختبارها لأن عمر الإنسان (من ٦٠ ـ ٧٠ سنة) لا يكفى للإختبار.
- الذى يولد أعمى أو أعرج أو أبرص أو مختل عقليًا إنما هو روح خبيثة ظالمة حلت فى هذه الأجساد كعقاب من الله وإلا نسب الظلم لله.
- قصص عن أطفال ورجال وسيدات حكوا حكايات عن حياتهم السابقة فى مدن أخرى.

• الأحلام واللحظات التى تمر بالإنسان ويشعر أنه عاشها من قبل.

أدلة بعض العلماء وفقهاء المسلمين من آيات القرآن الكريم على التجسد والتناسخ:

• استنادهم إلى مسخ بنى إسرائيل.. يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ٦٥ ـ ٦٦).

• ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (المائدة ٦٠ ـ).

• ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ (الأعراف ـ ١٦٦).

• يستندون لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ (الفجر ٢٧ ـ ٣٠)، فزعموا أن ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ أى بمعنى تنقلى فى عبادى..

• ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة ـ ٢٨).

• ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (غافر ـ ١١). وأيما كان من شأن اختلاف المفسرين حول مفهوم الموت الأول، وهل هو النطفة قبل بث الروح فيها أو هو الإنسان بعد موته والإختلاف حول مفهوم الحياة الأولى وهل هى حياة البرزخ بعد الموت أو حياة الدنيا بعد القدم، فإن الآية الكريمة تحتاج إلى تفسير محايد لمعانيها العميقة.

• ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ (الحج ـ ٦٦).

• ويستدلون بحادثة غرير التى يعتقدون إنه من خلالها يمكن الإستدلال بها على تناسخ الأرواح.. يقول تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة ـ ٢٥٩).

• ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (الروم ـ ١٩).

• الآيات الخاصة بخلق الإنسان والتى يقولون أنها تشير بصراحة لوجود حيوات سابقة للإنسان على حياته الأرضية: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ (سورة مريم ـ ٦٧).

• يقولون أن آيات القرآن الكريم تفيد وجود خلق أكثر من مرة للإنسان مما يؤكد ويساند هذا الرأي وذلك من مثل النص الشريف ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (سورة فصلت ـ ٢١). فذكر القرآن الكريم للخلق أول مرة، إنما يفيد وجود أكثر من خلق وهذا الخلق الآخر المقصود غير قيام الإنسان يوم القيامة كما يؤكدون، إذ أن القرآن الكريم لم يطلق على قيام القيامة بالخلق إنما أطلق عليه البعث فى مثل النص الشريف ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (سورة المؤمنين ـ ١٦).

• ﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (سورة يونس ٣٤).

• ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (سورة طه ـ ٥٥).

- ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة الروم ـ ١١).
- ﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة التوبة ـ ١٠٥).
- ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الواقعة ـ ٦٠، ٦١).
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ (سورة الإنفطار ـ ٦، ٨).
- فلا غرابة بعد كل هذه الآيات الواضحة أن نجد عددًا من أبرز فلاسفة الإسلام والعرب الأوائل ـ شأنهم شأن فلاسفة المسيحية الأوائل ـ لم يفتهم الحديث عن موضوع «وجود سبقى» للروح قبل أن تولد على الأرض وهو إعتقاد يمثل عنصرًا رئيسيًا فى اعتقاد «العودة للتجسد» ومنهم مثلًا يعقوب بن إسحق بن محمد ابن قيس الكندى.

موقف الكندى من «العودة للتجسد»

هو يعقوب بن إسحق بن محمد ابن قيس الكندى، ولد فى أواخر القرن الثانى من الهجرة، وكان يحمل فى حياته لقب «فيلسوف العرب».

ويذهب الكندى إلى «أن نفس الإنسان جوهر بسيط غير فان، هبط من عالم العقل إلى عالم الحس، ولكنه مزود بذكريات من حياته السابقة. وهو لا يقرر له قرار فى هذا العالم، لأن له حاجات شتى تحول دونها الحوائل الكثيرة فيكون ذلك مثار شعور أليم.. ولا ديمومة إلا فى عالم العقل، فإذا أردنا أن تقر أعيننا بتحقيق ما نصبوا إليه، وألا يسلب منا ما هو حبيب إلى نفوسنا وجب علينا أن نقبل على نعيم العقل الدائم، وعلى تقوى الله، وأن نعكف على طلب العلم وعلى صالح الأعمال».

والأمر الهام هنا كما يقول دكتور رؤوف عبيد فى كتابه عن التجسد أن

الكندى يتحدث عن «هبوط الإنسان من عالم العقل إلى عالم الحس، وإنه مزود بذكريات من حياته السابق». وهذه هى نظرية العودة للميلاد كما فهمها بعض فلاسفة اليونان ثم العرب بعد ذلك.

موقف السهروردى من التجسد

هو شهاب الدين السهروردى الذى كان شيخ الشيوخ فى بغداد (٤٩١ ـ ٥٦٤ ه) وكان من أئمة المتصوفين، ذكر فى كتبه عن التجسد كما ورد فى كتاب الدكتور محمد غلاب أستاذ الفلسفة بجامعة الأزهر (أصول الفلسفة الإشراقية عن شهاب الدين السهروردى) كما يلى:

«عرض السهروردى عن التجسد فى جميع كتبه إلا أنه كان قلقًا مترددًا فى تقرير موقف ثابت له. فهو يعرض للتناسخ عند أصحاب المذاهب المختلفة، ويذكر أن التناسخ على أنواع: من إنسان إلى حيوان أو من إنسان إلى بدن إنسان آخر، أو من بدن فرس إلى بدن فرس آخر وهذا «التناسخ» فى دائرة النوع الواحد يبدو أنه أوثق إلتئامًا من غيره مع بعض المدارس العلمية الحديثة، وما عداه تنكره جميع المدارس. ثم يذكر أن الشرقيين من حكماء الفرس والهند والصين واليونان كانوا على هذا الرأى، ولكن أرسطو عارض قضية «التناسخ» وهاجمها مهاجمة عنيفة فى نقده لأفلاطون والفيثاغورثية. وجاء الإسلاميون فأقرها كثرة منهم، ودللوا على دعواهم بآيات قرآنية كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾.

ثم يصل السهروردى بعد عرض الأراء المختلفة فى هذا الشأن إلى القول بأنهم متفقون فى ضرورة خلاص النفوس الطاهرة من ظلمات البدن. ثم يقول السهروردى أيضًا: «وطريق خلاص النفوس وتطهرها من آثار الجسد يتعلق بهذه المراتب تعلقًا أساسيًا، إذ أن هؤلاء الكاملين الذين مارسوا الحكمتين العملية والعلمية يصلون إلى عالم الأنوار المجردة، أما هؤلاء المتوسطون فى مرتبة

الكمال فإنهم ينتمون إلى عالم المثل المعلقة وهى قسمان: ظلمانية للأشقياء ومستنيرة للسعداء، وفى المثل المعلقة تبقى نفوس الذين حق عليهم العذاب والذين كتب عليهم نسخ أبدانهم (لاحظ أن الحديث هو عن نسخ الأبدان لا الأرواح) هذا إن صحت قضية التناسخ».

وللقوى الإنسانية عند شهاب الدين السهروردى ثلاث درجات:

أعلاها الروح، وهى متجهة إلى عالم اللامحسوس، ودنياها النفس وهى متجهة إلى عالم المحسوس، وبينهما القلب وهو صالح للإتجاهين: الأعلى والأدنى، فقبل أن يتم نوره يكون إتجاهه موزعًا بين القوتين العليا والدنيا، لكنه عندما تتم إنارته يتجه بكليته إلى الروح فيتصل بالعالم الروحانى، وفى هذه الحالة تنجذب النفس إلى القلب، وعلامة اتجاه النفس إلى القلب هى إحساسها بالهدوء.

ومن مقولات السهروردى المعروفة: «إن من فضائل الصوفية أن يكون الإنسان رحيمًا، وأن يصفح ويحسن إلى من أساء إليه»، وقوله: «لو أحب الناس بعضهم بعضًا وقد رأوا ما فى الإحسان من خير لاستغنوا عن العدالة، إذ أن العدالة أدنى مرتبة من الرحمة، ولا تستعمل الأولى إلا عند غيبة الثانية، وإن من ينفذ أوامر الرحمة أسمى ممن ينفذ أوامر القانون، لأن اطاعة القانون خارجية، أما اطاعة الرحمة فهى داخلية».

موقف ابن الخطيب من التجسد

لقد تعرض المفسر المعروف «محمد محمد عبداللطيف بن الخطيب» لموضوع التجسد بمناسبة شرحه للآيتين الكريمتين ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الواقعة ـ ٦٠، ٦١).

يقول ابن الخطيب: «وما نحن بمسبوقين» أى بعاجزين على أن نبدل أمثالكم، أى نخلق غيركم من جنسكم بعد مهكللم، وننشئكم أى نشأة أخرى. «فيما لا تعلمون» أى خلق شئنا، وأية نشأة أردنا.

ثم يقول: يؤخذ من هذه الآية أن الإنسان قد يخلق بعد موته فى خلق ادنأ من خلقته، وأحط من طبيعته تأديبًا له وتعذيبًا، كما أنه يجوز أن يخلق فى خلق أعلى من خلقه وأشرف من جنسه تعظيمًا له وتكريمًا. وهذا القول يعارضه الأكثرون تحرزًا من القول بتناسخ الأرواح. (من كتاب أوضح التفاسير ـ لابن الخطيب) وواضح أن ابن الخطيب يشير إلى معارضة الأكثرين للقول بتناسخ الأرواح بمفهوم إحتمال عودة روح الإنسان فى جسد حيوان بين إحتمالاتها الأخرى. فإذا نفينا هذا المفهوم، وقد نفاه معظم الباحثين فى شئون الروح، فلا يتبقى سوى إحتمال عودة الإنسان للتجسد فى صورة إنسان جديد، وهذا مفهوم مختلف عن ذلك تمامًا، ويلتئم تمامًا مع صريح نص هذه الآية، وغيرها من الآيات الكريمة التى أوردناها فيما سبق. كما يلتئم مع إحتمال عودة الإنسان ـ نفسه ـ فى مستوى أعلى وأدنى اجتماعيًا من مستواه السابق، طبقًا لسلوكه، ولاستحقاقه، ولدواعى تطوره وإرتقائه، وكل ذلك يدخل فى قدرة الله تعالى التى لا يحدها قيد ولا حد إذا ما أرادت أن تبدل «أمثالكم وتنشئكم فيما لا تعلمون».

موقف الدكتور مصطفى محمود حديثًا عن التجسد

يكتب المفكر والفيلسوف الكبير المعروف الدكتور مصطفى محمود أكثر من مقال له فى موضوع التجسد. فى أحداها بعنوان «هل كان لنا وجود قبل أن نولد؟» يقول: «يلازمنى إحساس منذ بدأت أعى وأدرك وجودى أننى كنت موجودًا دائمًا، وأنى حقيقة، ولست أمرًا طرأ بالميلاد. إننى كنت هنا أو هناك فى مكان أو لا مكان لست أدرى. إنما هو احساس دائم ومؤكد بالحضور لا أعلم كنهه ومصدره.. وكل ما يحدث أمامى الآن هو مرور شريط متتابع لأحداث متتالية لماضى وحاضر.

وهو شريط يمر أمامى ولكنى فى الأعماق خارج عن هذا الشريط واقف على عتبة حضور مستمر وآنية مطلقة لا تعرف زمنًا.. ويؤيد هذا الإحساس الداخلى حقائق الدين التى تقول بأنى أحاسب وأعاقب وأموت وأنا أتنقل إلى حياة برزخية، ثم بعث، ثم إلى خلود فى نعيم أو خلود فى شقاء..

وبعد أن يسوق الدكتور مصطفى محمود الكثير من الأسانيد الدينية، يقول: ثم لماذا يقول المجرمون يوم إنكشاف الحقائق ساعة البعث وساعة الحساب. ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (غافر ـ ١١)، متى كانت هاتان الموتتان ونحن لا نعلم ولا نرى إلا ميتة واحدة؟؟..

تلك حياة ممتدة اذن.. ووجود ممتد.. له فصول.. فصل بعد فصل وخلق بعد خلق.. لم ننقطع عن الحضور لحظة منذ الأزل، وإنما ظللنا فى إنتقال من حال إلى حال.. ولم يكن أمرًا أبدًا عدمًا معدومًا. الهذا يحدث دائمًا أن نحب أحد دون مقدمات، أو ننفر منه دون مقدمات.. أيكون هذا الشوق لمعرفة سابقة ولقاء سابق قبل الميلاد فى ذلك الغيب الأول.. أهى ذكرى باهتة لتلك النفوس تعارفت وتنافرت وتحابت وتناكرت منذ الأزل.

رفض ابن سينا لفكرة التناسخ

يعد ابن سينا من أكثر فلاسفة الإنسان إهتمامًا بالنفس. فقد صنف لها عدة رسائل وأتى على ذكرها فى كتاب الشفاء والإشارات والنجاة وأدلى ببراهين على وجودها كبرهان الإستمرار والبرهان الطبيعى (السيكولوجى)، وبرهان الرجل الطائر (المعلق فى الفضاء) الذى اعتبره ابن رشيد محض تخيلات. إلا أن مفهوم النفس غير واضح تمامًا عند ابن سينا (ماهية النفس؟ ومن أين جاءت؟ وما علاقتها بالبدن؟ وما مصيرها؟) فهو يرى بأن «المراد بالنفس هو ما يشير إليه كل أحد بقوله: (أنا). ويرى بأن الأنا مغايرة لجملة أجزاء البدن. يبدو مما وصلنا أن مفهوم النفس السينوى أقرب إلى المادية منه إلى الروحانية. لابد أن يكون اشتغاله بالسياسة وصحبته للأمراء قد أثر تأثيرًا كبيرًا على فكره، فغلب عليه الفكر المادى، لاشتغاله أيضًا بالطب (حقل عمله هو الجسم المادى الجرمى)، وقد غلب اشتغاله بالسياسة على اشتغاله بالطب. وقد رأى الغزالى بأن فلسفة ابن سينا مليئة بالإلحاد وبأن تصوفه ليس إلا ستر لهذا الإلحاد، وفى هذا إشارة إلى ماديته. فكان ابن سينا يرد على من يتهمه بالكفر والزندقة بقوله:

«إن تكفير مثلى ليس بالأمر الهين، ولا يوجد إيمان أقوى من إيمانى، أنا وحيد دهرى وأكون كافرآ؟؟ إذن لا يوجد فى العالم كله مسلم واحد».

يشير ابن سينا فى قصائده إلى أن النفس العاقلة هبطت من أعلى إلى أدنى، من أعلى، من عالم الروح إلى عالم المادة. ولكن ابن سينا لم يكن يؤمن بوجود النفس قبل البدن. وعليه فإنه كان يقصد بهبوط النفس هو إتصالها بالبدن. ويشير أن النفس دخلت الجسم كارهة وتخرج منه كارهة لإنها ألفته وأنست به. ويتساءل ابن سينا فى إحدى قصائده لماذا هبطت النفس من أعلى إلى حضيض المادة. فإذا كان الهدف هو الحصول على معرفة من أجل الكمال، فلماذا تغادر الجسد قبل بلوغ المعرفة وقبل سد ثغرات جهلها.

أما بالنسبة للتجسد والتناسخ، فيميل ابن سينا إلى نفى التناسخ إذ يرى بأن الزمان قطع على النفس طريقها نحو الكمال فغابت من حيث طلعت قبل أن ترفع ثغراتها. ويقول أيضًا: «أن كل بدن يستحق حدوث مزاجه مع حدوث نفس له وليس بدن يستحقه وبدن لا يستحقه، إذ اشخاص الأنواع لا تختلف فى الأمور التى بها تقوم. فإذا افرضنا أن نفسًا تناسختها أبدان، وكل بدن فإنه بذاته يستحق نفسًا تحدث له تتعلق به، فيكون البدن الواحد فيه نفسان معًا. ثم العلاقة بين النفس والبدن ليست هى على سبيل الإنطباع فيه، كما قلنا، بل علاقة الإشتغال به حتى تشعر النفس بذلك البدن، وينفعل البدن عن تلك النفس. وكل حيوان فإنه يستشعر نفسه نفسًا واحدًا، هى المصرفة والمدبرة للبدن الذى له. فإن كان هناك نفس أخرى لا يشعر الحيوان بها ولا هى بنفسها ولا تشتغل بالبدن فليست لها علاقة مع البدن، لأن العلاقة لم تكن إلا بهذا النحو، فلا يكون تناسخ بوجه من الوجوه».

إن أحد براهين ابن سينا على وجود النفس هو برهان الإستمرارية، أى إستمرارية وعى الإنسان بذاته خلال حياته، حتى وإن تغير بدنه. يقول فى رسالة فى معرفة قوى النفس الناطقة: «تأمل أيها العاقل فى إنك اليوم فى نفسك هو الذى كان موجودًا فى جميع عمرك، حتى إنك تتذكر كثيرًا مما جرى من

أحوالك، فأنت إذن ثابت مستمر لا شك فى ذلك. وبدنك وأجزاؤه ليس ثابتًا مستمرًا. فتعلم نفسك إنك فى مدة عشرين سنة لم يبق شىء من أجزاء بدنك، وأنت تعلم بقاء ذاتك فى هذه المدة، بل فى جميع عمرك، فذاتك مغايرة لهذا البدن وأجزائه الظاهرة والباطنة».

فالإنسان، بحسب هذا البرهان، يعى بأنه هو اليوم نفسه البارحة. وهذا البرهان إذا سحبناه وطبقناه على النفس العليا (الروح) فإنه يعد برهانا على العودة للتجسد. فقياسًا على هذا البرهان، يمكن القول، لإيضاح فكرة التقمص عند المؤمنين بها، بأن النفس العليا تعى إستمراريتها فى أكثر من تجسد مثلما تعى النفس الدنيا إستمراريتها فى أكثر من يوم وسنة فى التجسد الواحد. ويرى ابن سينا بأن النفس جوهر قائم بذاته مستقل عن البدن ومذهبه فى الإنسان «إثنينى»، أى أن الإنسان مركب من جسد ونفس كل منهما يؤثر فى الآخر. وقال بحدوث النفس، أى تحدث بحدوث الجسد. وقال أيضًا بخلودها لأنها ذات روحانية غير مركبة وكونها صورة للجسد لا يعنى إنها تفسد بفساده. وقسم النفس إلى: النفس النباتية (التى تقوم بوظيفة النمو والتوالد والتغذية وهى موجودة فى النبات والحيوان والإنسان) ـ والنفس الحيوانية (والتى تدرك الجزئيات وتتحرك بالإرادة وهى موجودة فى الحيوان والإنسان) ـ والنفس الإنسانية (الناطقة التى تدرك الكليات وتمارس وظيفتها بالإختيار الفكرى).

كما يرى ابن سينا بأن النفس حادثة وخالدة، وفى هذا تناقض، فكل ماله بداية له نهاية. فهو يقول بأن الوجود صفة ذاتية للنفس، فمن غير الممكن أن يكون الفناء صفة ذاتية لها أيضًا، لأنه من غير الممكن أن تشتمل على أمرين متناقضين. ولكن كونها حادثة يعنى إنها لم تكن موجودة مسبقًا، ويعنى أيضًا أن الوجود ليس صفة ذاتية لها. ولهذا، ينتقد ابن رشيد بشدة ابن سينا لقوله بحدوث النفس حدوثًا حقيقيًا مع قوله ببقائها.

ويعتبر ابن سينا علم النفس جزءًا من العلم الطبيعى ويرى أن النفس والجسم عنصران لجوهر واحد متحدان إتحادًا جوهريًا. كمادة الصورة والهيولى والعلاقة

بينهما تفاعل، فهما وجهان لعملة واحدة فى نظره. وبهذا، فالنفس، عنده تقابل إلى حد ما الشخصية الفانية (بإستثناء الجسم المادى). وقد برر ابن سينا رفضه للتقمص والتناسخ بإنه يخالف صريح الإسلام من أن كل نفس بما كسبت رهينة وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى. ولكن حقيقة أن ابن سينا خالف الإسلام فى كثير من الأراء أهمها قوله بأزلية المادة وخالفه أيضًا فى سلوكه الشخصى. فضلًا عن أن التقمص لا يخالف الآيتين السابقتين بل يؤكدهما. لكن ربما كان رفض ابن سينا للتقمص يعود إلى عدة أسباب منها:

- تأثرة بعقيدة الإسماعيلية التى سارت على خطى المسيحية كما سبق أن أوضحت فى الغائها للتقمص.
- تأثره بالمادية.
- عدم توفر الإمكانية والوقت والرغبة لديه للتعمق فى عقيدة التقمص الموجودة فى العقائد الأخرى.
- نظرًا لقضائه معظم وقته فى صحبة الملوك والأمراء.

إن تعريف التناسخ بأنه إنتقال النفس من جسد إلى جسد آخر تعريف عام جدًا وغامض جدًا ينقصه الكثير من الدقة. وإذا أخذنا بهذا التعريف التبسيطى للتناسخ فلابد أن نوافق ابن سينا فى رفضه للتناسخ. وحتى كلمة «نفس» كلمة غامضة ولها حقل دلالى واسع جدًا. فإذا إفترضنا أن النفس هى كل ما ليس بجسد مادى (جرمى) فإن هناك عناصر فى النفس تحدث مع اتصالها بالجسد وتتحلل بعد تحلله وهناك «عناصر» أخرى ترحل لتبحث عن تجسد جديد.

والذاكرة هى من «العناصر» التى لا تنتقل مع الروح الفردية إلى التجسد التالى وإنما تتلاشى بعد تلاشى الجسم المادى. إن ما يرحل إلى التجسد التالى هو محصلة الأعمال أو الرصيد الكارمى أو الدين غير الموفى. وما لدين إلا طريقة لسداد الدين. ولذلك ينسى الإنسان تفاصيل تجسداته السابقة، كما لمح القرآن الكريم إلى ذلك: «ولقد عهدنا إلى آدم (الإنسان العاقل) من قبل (فى الماضى)

فنسى ولم نجد له غرمًا». مع أن الله قد أبقى فى حياة الإنسان الجديدة علامات من حياته الماضية مؤكدًا القرآن ذلك: «ولقد تركناها آية فهل من مذكر؟!» ـ «وفى أنفسكم ألا تبصرون؟!» أى أن علامات الحياة السابقة وبقاياها مترسبة فى أنفسنا على شكل طباع وصفات وظروف أفلا نرى ببصيرتنا؟! ثم يقول القرآن: «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون؟! وقالوا: ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون. «وإذا أردنا صياغة الآيتين الآخيرتين بصورة صوفية أخرى تقول: «هل نظرت أيها الإنسان نظرة منتبه متذكر معتبر إلى الإنسان الذى يجعل مستوى وعيه على المستوى النجمى الإنفعالى الأهوائى بدلًا من أن ينقل وعيه المستوى الأعمق الروحى، فيتلقى أوامره من شهواته وهواه، إن ذلك الإنسان الذى هبط بوعيه إلى درك الشهوات بدلًا من أن يرتقى به إلى مرتبة الروح لا يهديه الروح حتى لو كان عنده علم، لأنه لم يتخذ الروح دليله، فتعطل الشهوات مقدراته النفسية من سمع (إنتباه) وعقل (وعى) وتشكل أمام بصيرته (عينه الثالثة) حجابًا يمنعه من الرؤية الحقيقية، وعندئذ لا يعود لذلك الإنسان التائه من أحد يدله على طريق الخلاص، لأنه لا هادى إلا الروح. أيها الجنس البشرى، لماذا لا تتذكرون هذه الأمور؟ نسيتم الروح هاديًا لإنكم اتخذتم الشهوات عائقًا. ولكن الذين يتخذون الشهوات إلها يجيبون: «ليس لنا من حياة غير حياتنا الدنيا فلا يوجد عود للتجسد»، ذلك لأنهم نسوا أن لهم روحًا فردية خالدة تتجسد ونسوا القانون الكونى الإلهى ولم يدركوا سوى نفسهم الدنيا أو أنيتهم الشخصية الفانية، إنهم إذا متوهمون».

فلننظر فى أنفسنا لعلنا نتذكر.

obeikandl.com

الفصل الثانى

تعريفات ومفاهيم وأبحاث
حول التجسد والتقمص والتناسخ

obeikandl.com

obeikandl.com

«من قال أننى انتهيت؟ من قال أن هنالك فناء؟ لا ريب فى أننى توفيت عشرة الآف مرة من قبل... اسمعك تهمسين أيتها السماء، أيتها النجوم... ويا حشائش القبور.. أعى ذلك بغموض لا يدرك... فكيف أثبت أنا هذه الحقيقة بوضوح؟» كتب هذه الكلمات كاتب غير معروف، وقد تبدو كشعر فلسفى من شعر فلاسفة القدماء، ولكن بالعودة لهذه السطور والتمعن فيها وفهمها مع وضع فكرة التقمص فى الذهن، فإننا نجد الكاتب مؤمن بما يسمى التقمص أو إنتقال الروح من جسد إلى جسد بعد فناء الجسد الأول، بمعنى أن الإنسان لا يموت بل روحه تخرج وتنتقل! ذلك واضح وظاهر فى السطور السابقة بوضوح. أما الكاتب الشهير «والت وايتمان» فقد كتب شعرًا يشبه السابق، ويتعلق بقوة بظاهرة التقمص من خلال كلماته: «ماذا تظنين حدث للذين مضوا، الشبان منهم والكهول؟ إنهم احياء، فى مكان ما.. كل ذرة فى الوجود تصرخ: ما نسميه الموت، باطل!! وغير موجود.. وإذا ما وجد، فإنه يقود إلى حياة جديدة.

ما هو التقمص وماذا يعنى؟ وما الفرق بينه وبين التناسخ؟ وهل هو عقيدة يؤمن بها شريحة من الناس؟ دعونا نجيب عن كل هذه التساؤلات فى هذا الفصل مع سرد بعض المفاهيم المرتبطة بالتقمص والتناسخ والقصص الشهيرة التى رويت عن هذه الظواهر مع بعض الأبحاث العلمية المرتبطة بها.

تعريف التقمص، والفرق بين التقمص والتناسخ

التقمص عند البعض هو إنتقال الروح من جسد إلى آخر، ويمكن تعريفه بأنه: عودة المبدأ الروحى من الإنسان إلى غلاف لحمى جديد، وهذا الغلاف

يتخذ بالنسبة للإنسان دائمًا جسدًا بشريًا، ولا يمكن القول فى التقمص بإنتقال الروح إلا من جسد إنسانى إلى آخر من نفس النوع والمادة، إذ لا يسمح بتعاقب الروح إلا فى إطار الجسم البشرى. وهناك أيضًا ما يعرف بالتناسخ، فالتناسخ يعنى أن الروح جوهر خالد وأن خلودها يستمر فى حيوات لا عد لها فى سياق حياة واحدة أبدية تنقلب فى الأجسام ما دامت بحاجة لذلك.

إن التناسخ هو إنتقال النفس الناطقة من بدن إلى بدن آخر من غير تخلل زمان بين تعلقها بالأول وتعلقها بالثانى، والتناسخ عقيدة شاعت بين الهنود وغيرهم من الأمم القديمة، مؤداها: أن روح الميت تنتقل إلى وجود أعلى أو أدنى لتنعم أو تعذب جزاء على سلوك صاحبها الذى مات، وهذا يعنى أن نفس واحدة تتناسخها أبدان مختلفة إنسانية كانت أو حيوانية أو نباتية أو حتى جمادات، ويعتقد بأن الغرض من هذا التناسخ إمتحان النفس حتى تكتسب بذلك ما ينقصها من الكمال وتصبح مجردة من التعلق بالأجسام.

إن مفهوم التناسخ لم يكن واحدًا عند جميع المعتقدين به، فهم يفرقون بين النسخ والمسخ والرسخ والفسخ. فالنسخ هو إنتقال الروح من جسم إنسانى إلى آخر (التقمص)، والمسخ هو الإنتقال من جسم إنسانى إلى بدن حيوانى، والفسخ هو إنتقال إلى نبات، أما الرسخ فهو الإنتقال إلى جسم معدنى أو جماد. من هنا فإن التقمص والتناسخ يختلفان فى سير وسبب وغاية هذه الحركة، فالمادة الوسيطة التى تنتقل منها وإليها الروح فى التناسخ تختلف عن تلك التى تنتقل بالإرتقاء من مكون جمادى إلى نباتى فحيوانى فإنسانى، وأما التقمص فلا يمكن القول بإنتقال الروح إلا من جسد مادى إنسانى إلى آخر من نفس النوع والمادة.

وسوف أركز فى كتابى هذا عن التقمص أو التجسد الإنسانى، وفى بحث تفسيرات هذه الظاهرة إعتمادًا على دراسة الباحث الثيوصوفى «جان لويس سيمونس» فى كتابه شهادات وبراهين على التقمص.

تفسيرات التقمص (التجسد المختلفة)

• التفسير البديهى

والذى ينتقل إليه العقل المتشكك للإنسان بديهيًا وهو أن «النطاق» إستعادة ذكريات الطفولة المنسية إلى السطح فى ظروف وأحداث معينة، مما يوحى للإنسان بأنه عاش حياة سابقة، ولكن هذه الذكرة فى الحقيقة ليست سوى الماضى الكامن للإنسان نفسه.

• التفسير النفسى

ويتعلق بطرح الشخصية الحقيقية لشخصية وهمية فى الحلم نتيجة الضغط النفسى الذى يعانيه الإنسان نفسه، مما يوحى له وهما بأنه شخصية مختلفة فى حياة ماضية.

• التفسير العلمى

بحسب العالم الفيزيائى الفرنسى «جان شارون» فإن هناك ذاكرة كونية، هى عبارة عن سلسلة متواصلة من الأحداث والترابطات بين أفراد البشرية قاطبة، وهى نوع من اللاوعى الجمعى، فقد يحصل أحيانًا أن شخصًا ما لديه حساسية مرهفة يتلقى عن غير وعى منه الإسقاطات النفسية والفكرية لإنسان مات منذ زمن بعيد عن طريق النور الكوكبى المحيط بكوكب الأرض (حيث يعتبر هذا النور هو المستودع لكل أحداث كوكبنا بما فيها أحداث حياة جميع من وطئ هذه الأرض منذ بدء الخليقة) وهذه الإسقاطات توحى بأنها ذكريات للشخص نفسه الذى يعتقد أنه كان شخصًا آخر فى زمن ماض.

• التفسير الباراسيكولوجى

وهو ما يعرف باسم «الإدراك الحسى الفائق» وهى قدرة الإنسان بواسطة احاسيسه المرهفة الفوق طبيعية، على إلتقاط أحداث تاريخية حقيقية جرت لأشخاص عاشوا على كوكب الأرض فى أزمنة تاريخية مختلفة وبالتالى إعتقاده إنها أحداث تخصه هو بالذات وعاشها فى حياة سابقة. ومن المعروف

علميًا إستحالة اندثار أية ذرات أو أصوات أو أشعة فى الكون مهما امتد الزمان بها. فإن أى فكرة تخطر فى الذهن ينتج عنها إهتزازات تبقى إلى الأبد محيطة بكوكب الأرض، بالتالى فإن الإنسان الذى يتمتع بقدرة إحساس فى أحلامه والإيمان «يقينًا» إنها تخصه هو بالذات.

• التفسير التخاطرى

وهو إلتقاط أفكار اشخاص معينين واعتناقها، وكأنها أحداث ماضية لحياة سابقة ويدخل ضمن هذه الأمور أيضًا قدرة الاستبصار والتنويم المغناطيسى، حيث يدعى الشخص تحت تأثير التنويم المغناطيسى بأنه كان شخصًا آخر فى حياة سابقة، لكن الأمر يختلف تمامًا عما يحصل فى الواقع إذ أن الشخص المنوم فى هذه الحالة يتلقى لا واعيًا أفكار الوسيط أو أحد المحيطين به، ويقوم الذهن بالتالى بتأليف قصة فى بعض الأحيان وهمية تستند إلى بعض المعطيات الحقيقية التى تسبب توهم التقمص.

• التفسير الروحانى

رائد الباحثين الروحانيين فى هذا المجال هو «الان كاردك» الذى يدعى إمكانية إجراء إتصالات روحية مع الموتى، لكن هذه النظرية مستحيلة ـ إلا فى حالة إستثنائية جدًا ـ لأن الإتصال الروحى للوسيط مع الميت سيسبب قراءته (لاواعيًا) أحداث حياة هذا الميت، وبالتالى اسقاط هذه الأحداث عليه وانتحاله شخصيته، وكأنها ذكريات لحياة ماضية توحى بأنها دليل على التقمص.

• التفسير الثيوصوفى

تعتبر السيدة فلامنسكى مؤسسة الجمعية الثيوصوفية الدولية الأدعاء بأن شخصًا ما تقمص أو تجسد لنابليون مثلًا ادعاء باطل، لسبب وجيه جدًا، ألا وهو أن المدة التى تمتد بين الموت والتقمص، أو العودة للتجسد من جديد، طويلة جدًا بالنسبة للإنسان العادة، إذ تتراوح بين ١٠٠٠ ـ ١٥٠٠٠ عام تقريبًا ـ و٣٠٠٠ عام عند بعض الشعوب ـ وفى حالتنا هذه فإن موت نابليون لم يمر عليه زمن كاف لكى يدعى أحدهم بأنه كان نابليون فى حياته السابقة وقد عاد

للتقمص من جديد. (الثيوصوفية: علوم تتضمن العلوم والفلسفة والدين كانت نشرت عن طريق هيلينا بلافنسكى).

• **القرين**

من المعروف أن الدين الإسلامى أكد وجود القرين ووصفه على أنه نوع من الجنى يلازم حياة الشخص ويبقى بعد مماته (حيث إن عمر الجن أطول من عمر الإنس)، فقد يحدث (والله أعلم) أن يقوم قرين الشخص المتوفى بالتلبس على شخص آخر حى بما يدعى بظاهرة «المس الشيطانى» حيث يقوم القرين بنقل ذكريات الشخص الأول إلى الشخص الثانى، خصوصًا إذا كان الشخص صغيرًا فى السن وفى مرحلة ما قبل البلوغ وذلك أن الأطفال يمتلكون شفافية أكبر تجاه المؤثرات الخارجية ولديهم جاهزية أعلى لتلقيها، وهذا ما نراه فى غالبة حالات التقمص.

العلامات التسعة المتعارف عليها لمعتقد التجسد أو التقمص

لقد أجمع الباحثون فى مجال التجسد على أن هناك علامات تدل على التجسد وعلى وجود حيوات سابقة للإنسان، وهى موجودة فى جوانب معقدة تؤلف شخصيتنا الحالية من الناحية الجسدية والعاطفية والذهنية وسوف أذكر لكم بعضها:

• **ديجافو Deja Vu**

معظمنا إختبر إحساسًا غريبًا عن حالة ديجافو، هو إحساس مذهل عن حادثة تجرى أمامنا فى هذه اللحظة وكانت قد حدثت بالظبط من قبل هذا. لقد قسم عالم النفس (آرثر فنكهاوس) هذه الظاهرة إلى ٣ أشكال وهى:

• ديجافيسو: حادثة سبق إختبارها أو عيشت مسبقًا.

• ديجاسنتى: حادثة سبق الإحساس بها ولكن أظهرها أمر ما مثل سماع صوت أو موسيقى أو شم رائحة... إلخ.

• ديجافيزيت: مكان مألوف نشعر أننا زرناه مسبقًا.

وبينما يصر العلماء والأخصائيون النفسيون على أن هناك تفسيرات عصبية لهذه الظاهرة، فإن الآخرين يتساءلون فيما إذا كانت تلك الأحاسيس الغريبة هى ذكريات غير واضحة أو عائمة من حياة ماضية. على سبيل المثال، عندما تدخل منزلًا أو مبنى أو بلدة لم يسبق لك أن زرتها، وتجد مع ذلك تفاصيل المكان مألوفة لك، وحتى أنك تعلم ما فى الغرفة التالية والغرفة التى تقع أعلاها عندئذ سيغمرك شعور بأنك كنت هنا، فهل كان ذلك فى حياة ماضية؟..

• **ذكريات غريبة**

يتحدث (ستيفن واجنز) باحث الما ورائيات فى شبكة (أباوت About) عن ذكريات تعتقد ابنته إنها حصلت لها فى طفولتها رغم أنه يعلم يقينا إنها لم تحدث مطلقًا لها: هل هو خيال الطفولة الخصب؟ أو سوء إدراك أو ترجمة لأحداث حصلت معها؟ أم إنه حلم فسرته على أنه واقع فى ذهنها؟ أم هى تتذكر شيئًا حدث لها قبل ولادتها فى هذه الحياة؟ فى الواقع ذاكرة الإنسان معرضة للوقوع فى الخطأ والتضارب. وأنا متأكد أن العديد منا لديه ذكريات عن اشياء تؤكد عائلاتهم إنها لم تحدث مطلقًا، ويبقى السؤال هل يمكن أن تكون الذاكرة المتضاربة منقولة عن حياة ماضية؟..

• **أحلام وكوابيس**

يرى البعض أن الأحلام والكوابيس المتكررة تعنى ذكريات من الحياة الماضية وقد يختبر بعض الأشخاص ذلك النوع من الأحلام المتكررة ويرى فى حلمه أماكن لم يزرها فى حياته الراهنة وتفاصيلها واضحة ومتكررة.

• **المخاوف والرهاب (فوبيا)**

من أين أتت مخاوفك وأشكال الرهاب التى تشعر بها؟ كالخوف من أشياء كالعناكب أو الأفاعى أو الخوف من المرتفعات التى يبدو إنها مخاوف كامنة فى نفسية الإنسان كجزء من غريزة البقاء المتطورة فينا. ويعانى العديد من الناس من

أشكال الفوبيا التى لا تبدو منطقية على الإطلاق، كالخوف من الماء والطيور والأرقام والمرايا والنباتات وحتى من ألوان معينة.. واللائحة تطول، وإناس يعانون من كافة أشكال الفوبيا الشاذة. ورغم أن عدة سنوات من جلسات العلاج النفسى قد تنفع فى إيجاد سبب هذه المخاوف الشاذة فإن أولئك الذين يؤمنون بالحياة الماضية يتساءلون فيما إذا كانت تلك المخاوف قد نقلت إليهم من حياة سابقة. فمثلًا هل يشير الخوف من الماء إلى موت سابق نتيجة الغرق؟ وهل يعنى الخوف من لون معين بأن الشخص لقى حتفه دهسًا بسيارة من نفس اللون؟

• الإنجذاب الشديد إلى ثقافة أجنبية

يحتمل أن تعرف شخصًا قد ولد وترعرع فى بلدك إلا إنه يكن حبًا كبيرًا لبلد آخر، إذ يستحوذ عليه إهتمام كبير بثقافة هذا البلد الآخر، ويحدث أن تعرف أيضًا شخص لا يفكر إلا فى أن يلبس أو يمثل طريقة ما أشتهر بها زمان أو حقبة ما. وفى كل بلد على وجة الأرض تجد بعض الناس يحاولون تقليد ثقافة ما سواء أكانت قديمة أم حديثة من غير أن نجد سببًا منطقيًا لتعلقهم بها، وربما يكمن السبب أنهم عاشوا فى زمن ثقافة سابقة تشبهها قبل ١٠٠ سنة أو حتى ١٠٠٠ سنة!

الشغف

من الجيد أن يكون لدى الإنسان شغف فى أمر يبدع فيه طالمًا أنه لا يصبح مستحوذ عليه، شغف يمكن أن ينصب على المطالعة والفنون وإقتناء الأغراض القديمة من الآثار والموضة والإهتمام بالحديقة والمسرح والسيارات والقطارات والطائرات والماورائيات أو أى شغف متعددًا منها مثلًا. وقد يكون الإهتمام الشديد بموضوع بحد ذاته طبيعيًا بالكامل، لكن المؤمنين بالحياة الماضية قد يرون فى بعض الحالات صلة مع حياتهم الماضية.

عادات لا يمكن التحكم بها

تعد العادات الغير متحكم بها أو التى تتملك المرء جانبًا مظلمًا من أشكال

الإدمان أو الشغف. فهى تهيمن على حياة الناس وتهمشهم فى المجتمع، ويندرج الوسواس القهرى ضمن هذه الفئة. فمثلًا: رجل عليه أن يطفئ النور ويشعله مرارًا عشر مرات مثلًا قبل أن يغادر الغرفة، أو إمرأة تجمع الصحف وتضعها فى حزمة بطول ٦ أقدام فى منزلها فقط لأنها لا تستطيع تحمل فكرة التخلص منها. كل منا لديه عادة سيئة واحدة على الأقل، بدءًا من عادة قضم الأظافر إلى نشر الإشاعات والتسويف، لكن الحالات الأكثر تطرفًا تشمل الإدمان على كل شىء مثل مشاهدة التليفزيون إلى المسكرات والمخدرات. ومرة أخرى، هناك تفسيرات نفسية لهذه السلوكيات الغير منضبطة أو المتحكم بها، إلا أن المؤمنين بتناسخ الأرواح يرون أن هذه السلوكيات متجذرة فى الحيوات الماضية.

الآم لا تفسير لها

هل أصابتك الآم لم يستطع الأطباء معرفة سببها أو إيجاد تفسير طبى لها؟ ربما يعتبرونك مصابًا بوسواس الآلآم متوهمًا أياها، لكن المؤمنين بمعتقد الحياة الماضية سيرون فيها دليلًا على حياة ماضية. فالآلآم والتشنجات والإلتهابات الغامضة وغيرها قد تكون إنعكاسات عن أشكال المعاناة التى تعرضت لها فى وجودك السابق.

وحمات

توصف الوحمات عادة كدليل على تناسخ الأرواح. ففى حالة مذهلة زعم صبى هندى أنه يتذكر حياة رجل اسمه (ماهارام) الذى قتل بطلق نارى من على مسافة قريبة. ولدى هذا الصبى صف من الوحمات فى مركز صدره تشبه التعرض لرشة من الطلقات. وفى الواقع جرى التحقق من هذه القصة، وبالفعل كان هناك رجل اسمه (ماهارام) كان قد قتل برشات من الطلقات أصابت صدره. وأشار تقرير الطب الشرعى أن أماكن جراح الصدر تتطابق مباشرة مع أماكن الوحمات على صدر الصبى. وفى حالات مشابهة تعتبر التشوهات والعلامات الجسدية الفارقة الأخرى أدلة على حياة ماضية.

أبحاث د. ستيفنسون حول التقمص والتناسخ

ولد «آيان ستيفنسون Ian Stevenson» فى كندا عام ١٩١٨م، درس الطب وتخرج الأول على دفعته، بعدها توجه نحو علم النفس فتخصص فيه وبرع حتى عين رئيسًا لقسم علم النفس فى جامعة فيرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية. أسس وترأس (قسم الدراسات المتعلقة بالذات Peronalities Studies). توفى ستيفينسون عام ٢٠٠٧. فى عام ١٩٦٤ هجر ستيفينسون دراساته فى علم النفس ليتفرغ كليًا للبحث فى تناسخ الأرواح وظواهر فارقة أخرى، فأمضى أربعين عامًا من حياته فى توثيق علمى شاق لشهادات الأطفال الذين تحدثوا عن عيشهم لحياة سابقة، وسافر فى سبيل ذلك بشكل مكثف فى شتى أصقاع العالم من الهند شرقًا ومرورًا بتركيًا ولبنان وأفريقيا وإنتهاء بألاسكا غربًا. كان سفره كثيرًا لدرجة أنه بين عامى ١٩٦٦ و ١٩٧١م كان يقطع أكثر من ٥٥ ألف ميل فى العام. كانت حصيلة هذه الأربعين عامًا هى توثيق أكثر من ٣٠٠٠ حالة، معظمها ما تزال قابعة فى ملفات دون أن تدرس بسبب نقص فى المال وفى الباحثين. كانت غالبية الحالات التى وثقها ستيفينسون هى من ثقافات فيها إعتقاد بتناسخ الأرواح، وهو أمر اعتبره المشككون فادحًا فى مصداقية هذه الشهادات، إلا أن ستيفينسون رد على ذلك بقوله بأنه فى هذه الثقافات يتم التعامل بجدية أكبر مع أهل الأطفال الذين يتحدثون عن حيوات سابقة، ولذلك يقوم أهل الطفل بالتحقق من إدعاءات أقوال الطفل، فى حين أن الحالات المماثلة فى الغرب يتم إعتبارها من قبل أهل الطفل على إنها مجرد تخيلات (Fantasies).

يقول ستيفينسون بأنه أحيانًا يتلقى رسائل تقول: "ليتنى كنت أعرف بأمرك حين كان ابننا تومى يخبرنا وهو فى الثالثة من عمره بأنه كان طيارًا، فكنا نأمره بأن يتوقف عن الكذب. الآن هو لا يتذكر شيئًا. وكان هذا النقد حافزًا لستيفينسون لينشر كتابًا عن أربعين حالة لأطفال فى أوروبا حيث لا يوجد أى إعتقاد بتناسخ الأرواح. وقد نشرت ابحاث ستيفينسون عن التناسخ فى مجلات علمية مرموقة من بينها المجلة الأمريكية لعلم النفس، وقد شهد ثلاثة من المعلقين العلميين فى هذه المجلات لستيفينسون بأنه اتبع المنهجية العلمية بصرامة فى دراسته،

ومن أحدث هذه الشهادات الثلاثة شهادة (جانيس هوبكنز Janice Hopkins) فى المجلة البريطانية الطبية British Medical Journal عام ٢٠٠٧م.

وفى عام ١٩٧٧م خصصت مجلة الأمراض العصبية والعقلية (The Journal of Nervous and Mental disease) معظم إحدى إصداراتها كان بعمل ستيفينسون البحثى، وفى إفتتاحية هذا الإصدار شرح الطبيب النفسى (يوجين برودى Eugane Brody) السبب وراء نشر بحث قد يعتبر غير علمى بالقول: «المصداقية العلمية والشخصية للمؤلفين. صحة منهجية البحث والتطابق بين طرق إستنتاجهم وبين معايير التفكير المنطقى. وتحدثت المجلة الأمريكية لعلم النفس (American Journal of Psychiatry) عام ٢٠٠٥م واصفة إحدى كتب ستيفينسون بأنها «مثال مهم على التطبيق وبروتوكول شاق يمحص الحقائق عن الخيال».

ولقد إخترت هذا العالم الفذ كنموذج مثالى لدراسة هذه الظاهرة المدهشة ونقلها من خلال كتابى هذا من عالم القصص والأساطير الخرافية إلى عالم التوثيق العلمى، فهو ليس مجرد صحفى أو هاو مهتم بالماورائيات، بل بروفيسور فى علم النفس، ترأس دوريات علمية مرموقة وألف كتابين فى علم النفس. أنه رجل موثوق به فى نزاهته وفى أهليته العلمية للقيام بمثل هذه الدراسة التى أعرضها فى كتابى هذا وفقًا للضوابط والمنهجية العلمية التى ألتزم بها أنا شخصيًا كباحث فى المجال الطبى.

لذلك قال «هيربرت ريبلى» الرئيس السابق لقسم علم النفس فى جامعة واشنطن فى سياتل: «نحن محظوظون لكون شخص بهذه الإمكانية والنزاهة العالية قد تولى البحث والتنقيب فى هذا المجال المثير للجدل. وبالفعل ظهرت ثمرة هذه النزاهة والأهلية العلمية فى كتبه التى ضم فيها شهادات لأطفال تذكروا حيوات سابقة، موثقة بشكل مفصل وعلمى مثير للأعجاب، وعرض فى كتبه إستنتاجاته وتحليلاته لهذه الشهادات، فكان ستيفينسون صارمًا و دقيقًا فى تطبيقه للمنهجية العلمية فى بحثه، وحياديًا لدرجة تدعو للعجب، فمن خلال عنوان أبرز كتبه وهو «عشرون حالة توحى بالتجسد Twenty Cases Suggestive

of reincarnation»، نلاحظ أنه قال «توحى» ولم يقل «تثبت»، لأنه كرجل علم نزيه التزم بما تمليه منهجية البحث العلمى من أن «البرهان» أو «الدليل الحاسم» له ضوابط وشروط صارمة، فرأى ستيفينسون أن هذه الشروط الصارمة لم تتحقق فى حالات الأطفال التى درسها، لذلك قال عنها بأنها حالات تشير إلى إمكانية حدوث التجسد، لا تبرهن على ذلك، فالأدلة التى لديه هى كما يقول «تسمح، ولا تلزم بالإعتقاد بالتجسد».

وهكذا فإن النتيجة التى وصل إليها ستيفينسون هى أن الحالات التى وثقها لا تثبت التجسد بل تسمح للإعتقاد بإمكانية حدوثه على إعتبار أنه أفضل تفسير للحالات. إلا أن الكثيرين ممن قرأوا أعمال ستيفينسون قد يصلون إلى حكم أقوى من الذى وصل إليه ستيفينسون نظرًا لقوة الأدلة وكثرتها، ومن بين هؤلاء استاذ الفلسفة فى جامعة جورجيا «روبرت الميدر Robert Almeder» صاحب المؤلفات الكثيرة فى الإبستمولوجى وفلسفة العلم، حيث قال: «بدأت أقرأ الكتاب وقلت لابد أن يكون هذا خاطئًا، وكلما قرأت أكثر أدركت أن ما كتبه مهم، وأنه بحث جيد مبنى على الملاحظة والإختبار وأنتج إستفهامًا علميًا، ولم أجد تفسيرًا بديلًا مناسبًا للبيانات بقدر القول بأن بعض الناس يتجسدون. البعض قال ربما ليس من غير المعقول أن تعتقد بأن البعض يتجسد، ستيفينسون قال ذلك أيضًا لأن التجسد هو أفضل تفسير للبيانات الواردة بهذا الكتاب، وأقول بأنه من غير المنطقى ألا تعتقد بالتجسد. البعض قال بأن ادعائى هذا متطرف، ما عنيته كان ببساطة هو إن كان لديك برهان قوى جدًا لا تقدر على دحضه، فإن عدم القبول بهذا البرهان يكون تصرف غير عقلانى».

إلا أن هذا الفيلسوف هو بين قلة قليلة من المجتمع العلمى قبلت بالنتيجة التى توصل إليها ستيفينسون، فغالبية المجتمع العلمى تجاهل عمل ستيفينسون على الرغم من قوة الأدلة. فبالنسبة للمجتمع العلمى فإن التجسد، مثله مثل الظواهر الماورائية الأخرى، يقع فى حيز الخرافات والأكاذيب والنصب والإحتيال، جنبًا إلى جنب مع قراءة الكف والسحر والشعوذة والبيوت المسكونة والتلبس وقصص الأشباح وغيرها، لذلك يترفع العلماء عن الإعتقاد بأمور ما ورائية

خارقة، ويتركون هذه الأمور للعامة والبساط والجهال، وحتى لو إعتقد عالم ما بظاهرة ما ورائية فإنه سيفكر مئة مرة قبل أن يعلن عن ذلك على الملأ لما فى ذلك من مخاطرة بسمعته ورصيده العلمى، ففى المجتمع العلمى كلما كنت ماديًا أكثر كلما إرتفع رصيدك، أما إذا ظهر منك ميل للقبول بظاهرة خارقة ما فإن هذا يحط من شأنك وقدرك كثيرًا.

مشكلة العلم مع التجسد والماورائيات عمومًا

المادية

المادية هى دين العلم اليوم، وقد ساهمت نظرية التطور بشكل كبير فى ترسيخها، فالإنسان ليس سوى مواد كيميائية تجمعت وتنظمت بهذا الشكل المعقد الذى عليه الإنسان اليوم بفضل تطور بطئ وطويل دام مئات الملايين من السنين، فكل شىء يتعلق بالإنسان هو مادى بلا روح. كذلك غرزت الدراسات المتعلقة بالدماغ الإعتقاد بأن الوعى ينتج عن الدماغ، فعرفنا فى الدماغ مراكز للمهمات المتعددة وللعواطف واللغة وغيرها، ورأينا كيف تفعل بعض المواد الكيميائية فعلها فى الدماغ فتؤثر فى شخصية الفرد، فالعلم يتساءل بوضوح: أين الروح إذا؟

هـذه الماديـة الراسخـة والمتجـذرة فى المجتمـع العلمى تؤدى إلى عدم الإهتمام بدراسة مثل دراسة ستيفينسون تخالف كل ما هم عليه من مسلمات.

السمعة السيئة للماورائيات ومدعى إمتلاك القدرات الخارقة

إكتسب عالم الماورائيات سمعة سيئة لكثرة ما فيه من حالات كذب وخداع ونصب وإستغلال، بحيث أصبحت بعض هذه الخوارق أساسًا لتجارة تدر أرباحًا خيالية، فنجد فى الغرب أشخاصًا يتقاضون أجرًا مقابل أن يجعلك تتواصل مع عزيز ميت لك، أو مقابل أن يقرأ كفك ويخبرك بما سيحدث لك،

وتجد لدينا فى عالمنا الإسلامى والعربى البائس تجارة رابحة ومزدهرة إسمها الرقية وفك السحر وطرد الجان المتلبس بالإنسان وغيرها من تجارات رابحة تدر الأموال الطائلة على أصحابها. إن العدد الكبير من حالات الإستغلال المبنية على الإيمان بالماورائيات أو ادعاء القدرات الخارقة جعلت من ادعياء الخوارق فى نظر العلماء فى محل إتهام حتى تثبت براءتهم، وجعلت من يصدق شخصًا ادعى قدرة خارقة شخصًا «درويشًا» تم خداعة وإستغفاله. وبالتالى حين يسمع العلمى التقليدى أن طفلًا تذكر حياة سابقة وتم التأكد من صحة معلوماته من الشخصية السابقة، فإن أول ما يفترضه هو أن الأمر عبارة عن إحتيال قادة الأبوان عبر إقناع طفلهم بأنه كان شخصًا آخر، وزودوا طفلهم بمعلومات عن شخصية حقيقية ميتة، وفى النهاية يصير لدينا طفل قادر على تقديم رواية مدهشة فيشتهر أمره ويحقق الوالدان مصلحة ما من وراء ذلك.

إنه هذا المزيج القاتل من مخالفة الماورائيات للمادية السائدة لدى العلماء، والسمعة السيئة التى إكتسبتها هذه الماورائيات، هذا المزيج هو الذى يجعل العالم يأنف الإلتفات إلى الماورائيات، ويرى الإهتمام بها أو تبنيها قدمًا فى مكانته العلمية ونزولًا منه إلى مستوى البسطاء والجهال والدراويش الذين تكثر بينهم قصص الخوارق والجن والأشباح، وقد يقال عنه من قبل زملاءه العلماء بأنه درويش وقع ضحية إحتيال، لذلك فإن العالم لا يكترث فقط بالماورائيات بل يخشاها أيضًا، ونتيجة لذلك لا يكترث المجتمع العلمى بالدراسات المتعلقة بالماورائيات، ومن بينها دراسة ستيفينسون.

وهذا فى الحقيقة هو ما أزعجه ستيفينسون، فستيفينسون قال بأن ما أزعجة ليس تجاهل الناس لنظرياته، بل ما أزعجه هو أن قلة قليلة فقط كلفت نفسها عناء الإطلاع على أدلته التى بذل جهدًا كبيرًا فى تجميعها. فالغالبية من العلماء لم تكلف نفسها عناء الإطلاع على بحثه لأنه خارج نطاق إهتماماتهم تمامًا. وهكذا نصل للإجابة على هذا السؤال: إذا كان ما قدمه ستيفينسون يعتبر دليلًا علميًا على إمكانية التجسد، فلماذا إذا لا نجد أى قبول فى المجتمع العلمى للنتائج التى توصل إليها هذا العالم الجليل؟ الجواب: لأن غالبية المجتمع العلمى لم

يطلع اصلًا على هذه الدراسة، ومن إطلع عليها لم يمتلك الشجاعة ليقبل ما تتضمنه الدراسة من نتائج تتصادم مع المادية، نتستطيع أن نلحظ غياب هذه الشجاعة فى مواقف بعض من اطلع على دراسة ستيفينسون، مثل ما قاله الطبيب النفسى «هارولد ليف» فى مجلة الأمراض العصبية والعقلية: «إما أن ستيفينسون يرتكب خطأ هائلًا، أو أنه سيصبح معروفًا بجاليليو القرن العشرين».

ومثله قول المفكر المادى المعاصر «سام هاريس» عن هذا الموضوع: «إما إنه وقع ضحية خدعة محكمة، أو أن هناك شيئًا مثيرًا للإهتمام يحدث». نلاحظ فى هذين التصريحين حالة التردد التى منشؤها قوة أدلة ستيفينسون من جهة ومصادمتها للمسلمات المادية السائدة من جهة أخرى، فينتج مثل هذا التصريح من هاريس الذى ترك الأمور المعلقة دون حسم، فإما أن ستيفينسون مخدوع أو أن ما يقوله صحيح. ومثله موقف عالم الفلك المادى المعروف وصاحب المؤلفات العلمية المبسطة للعوام «كارل ساجان»، الذى رأى أن الدراسة لم تقدم إثباتًا على التجسد، ولكن ساجان فى كتاب له عن تفنيد الماورائيات قال «أن هناك ثلاث ظواهر تحتاج لمزيد من الدراسة وقد تكون ظواهر صحيحة، وقال بأنها ظواهر لها شىء من التأييد التجريبى، من بين هذه الظواهر الثلاثة: «أطفال صغار يخبرون عن تفاصيل متعلقة بحياة سابقة، وحين يتم التحقق يتبين أنها تفاصيل متعلقة بحياة سابقة، وحين يتم التحقق يتبين أنها تفاصيل صحيحة ولم يكن يمكن معرفتها بأى طريقة أخرى غير إنه عاد مرة أخرى لهذا التردد الذى منشؤه قوة دليل ستيفينسون من جهة والمكابرة المادية من جهة أخرى. إذا أردت أن تعرف ما هى هذه الأدلة القوية التى جعلت عتاة المادية كهاريس وساجان يتخبطون فى مواقفهم، فسوف أروى لاحقًا امثلة من هذه الأدلة الواضحة على حقيقة ظاهرة التجسد وبعض القصص الحقيقية المروية بشأن هذه الظاهرة.

يقول ستيفينسون: «البالغون يتحدثون أحيانًا عن تذكرهم لحيوات سابقة، إلا أن شهاداتهم، ومع بعض الإستثناءات النادرة، قيمتها أقل بكثير من شهادات الأطفال، ومعظم شهاداتهم عديمة القيمة فى نظرى، هذا لأنه فى حالة طفل فى

الثانية أو الثالثة من عمره فإنه يمكن الوصول إلى أحكام معقولة ومرضية فيما يتعلق بكمية المعلومات التى إكتسبها الطفل، ولكن على العكس فإن البالغ أو حتى الطفل الأكبر سنًا يكون عقله مملوءًا بكمية كبيرة من المعلومات والتى تصبح متوفرة لتشكيل مكونات شخصية سابقة متخيلة، وبناء على ذلك فقد ركزت جهودى على شهادات الأطفال الصغار».

يقوم ستيفينسون بإجراء المقابلة مع الطفل وعائلته وأقاربه، يتحقق من مصداقية أقوالهم ويقارن بينها، ويحاول إكتشاف أى نوع من التضارب بين الأقوال. ثم يحاول قدر الإمكان أن يحصل على رواية الطفل الأصلية قبل لقائة بعائلة الشخصية السابقة وذلك لإستبعاد أى شوائب، وفى بعض الأحيان يكون أحد والدى الطفل قد دون أقوال الطفل قبل حدوث اللقاء بين العائلتين فيشكل ذلك فائدة مهمة للبحث. يرفض ستيفينسون شهادات الشهود من الدرجة الثانية ويقبل فقط من الذين سمعوا من الطفل مباشرة، ثم يجرى بشكل سرى مقابلات مع سكان من القرية أو المنطقة لا علاقة مباشرة لهم بحالة الطفل ليحصل على معلومات محايدة عن عائلة الطفل. بعد ذلك ينتقل لمقابلة أفراد أسرة الشخصية السابقة المتوفاة، ويسجل معلوماتهم وينظر فيما توفر من وثائق خاصة بالمتوفى مثل التقرير الطبى للوفاة.

بعد عدة أشهر أو سنوات يقوم ستيفينسون بزيارة مفاجئة لعائلة الطفل ليجرى مقابلات مرة أخرى ويطرح أسئلة طرأت له خلال بحثه فى ملف الحالة، وقد يعيد الزيارة مرة ثالثة. وفى حالة كون الطفل يتحدث بلغة لا يجيدها ستيفينسون ـ الذى يجيد خمس لغات ـ فإنه يستعين بمترجمين أثنين، وأحيانًا ثلاثة. بالإضافة إلى ما يدونه فإنه يجمع صورًا وأدلة مادية كالتقارير والعلامات على جسد الطفل عند ولادته. بعد المقابلة بعدة أيام يقوم ستيفينسون بتنظيم ما دونه من ملاحظات ويبنى تسلسلًا زمنيًا لذكريات الطفل، باحثًا عن أى عيوب أو فجوات فيها. من بين الثلاثة الآف حالة التى وثقها ستيفينسون، كان هناك ٨٠٠ حالة تم إثبات صحتها، وهى الحالة التى يتم فيها التأكد بعد تحقيق مكثف أن الطفل لم تكن لديه أيه وسيلة ممكنة

وطبيعية يمكن أن يعلم عبرها بشأن الشخصية السابقة التى تذكرها، فيصبح بذلك التفسير الوحيد المقبول هو ذكرى من حياة سابقة.

لوحظ وجود سمات مشتركة أو أنماط فى شهادات الأطفال الذين تذكروا حياة سابقة، هذه السمات المشتركة هى:

عادة ما يبدأ الأطفال حديثهم عن حيواتهم السابقة بين سنى الثانية والرابعة، ثم يبدأ التراجع عن التحدث فى ذلك من سن الخامسة، إلى أن يتوقف تمامًا بين سنى السابعة والثامنة. وقد فسر ستيفينسون ذلك بأن الطفل قبل سن الثانية أو الثالثة لا يملك القدرة على الحديث، وبعد سن الخامسة أو السادسة وبدء ذهابه إلى المدرسة تبدأ حياته تمتلئ بالأحداث فينشغل ويبدأ بنسيان ما يذكره عن حياته السابقة.

كثرة حالات الوفاة «العنيفة» للشخصية السابقة، كأن يموت نتيجة حادث سير أو جريمة قتل، ولوحظ أيضًا أن الطفل يقدم صورة واضحة عن حيثيات وفاته العنيفة هذه. وقد فسر ستيفينسون هذا الأمر بأن الوفاة حين تكون غير تقليدية وعنيفة فإن هذا يساعد على تذكرها، فيتمكن الطفل من تذكرها ويتذكر معها حياته السابقة، مثلما أن الإنسان فى حياته العادية ينسى الأحداث العادية ولكن تعلق فى ذهنه الأحداث الإستثنائية فيتذكرها بشكل أقوى من الأمور الأخرى.

سلوكيات وتصرفات غير تقليدية من الطفل مرتبطة بالحياة السابقة التى تذكرها. معظم الأطفال الذين يتذكرون حيواتهم السابقة يتحدثون عن شخصيتهم السابقة بإنفعال وعاطفية، وغالبًا هم لا يتمكنون من معرفة أى حياة من الحياتين هى التى يعيشونها الآن، فيعانون من «وجود مزدوج» بحيث فى أحيان تكون أحدى الحياتين أكثر حضورًا، وفى أحيان أخرى تطغى الحياة الأخرى عليه، لذلك هؤلاء الأطفال دائمًا ما يتحدثون عن حيواتهم السابقة بزمن المضارع قائلين على سبيل المثال: «أنا لدى زوجة وطفلين يعيشون فى تلك المدينة». ويقول ستيفينسون فى ذلك: «كنت أتوقع أن تكون الحالات مقتصرة على

تصريحات عن الحياة السابقة يعبر عنها الطفل بشكل محايد، ولكن بدلًا من ذلك وجدت أن الأطفال غالبًا ما يتحدثون مظهرين عاطفة قوية تجاه الحياة السابقة، وبدوا أحيانًا وكأنهم ما يزالون يعيشون فى الماضى، بالنسبة لهم بدى حاضرًا وليس ماضيًا، على سبيل المثال كان هناك طفل لعائلة متواضعة الحال تحدث عن أنه كان من الطبقة الراقية فى حياته السابقة، فكان الطفل يبدى سلوكًا متكبرًا تجاه عائلتة لدرجة أنه أحيانًا يرفض أن يأكل طعامهم قائلًا بأنه طعام ملوث». ويقول أيضًا: «الأطفال الذين درسناهم عادة ما يتصرفون وكأنهم قد نقلوا بدون سابق إنذار من جسد شخص بالغ إلى جسد طفل. أحد الأطفال الأتراك فى دراستنا حين بدأ يتحدث، فإنه تقريبًا أول شىء قاله كان: «ما الذى أفعله أنا هنا؟ أنا كنت فى المرفأ».

لاحقًا وصف هذا الطفل تفاصيل حياة عامل مرفأ كان نائمًا فى سفينتة فسقط عليه برميل نفط ثقيل فمات على الفور. مثل هذه الحالات تذكرنى بحالة أمرأة تعرضت لجلطة بينما تلعب الورق، حين أفاقت من غيبوبتها بعد عدة أيام كان أول ما قالته هو: «ما هى الأوراق الرابحة»؟

الطفل من هؤلاء يميل إلى إعتبار الأبوين السابقين هما الأبوين الحقيقين بدلًا من الأبوين الحاليين، وعادة ما يعبر عن رغبته بالعودة إلى أبويه السابقين. لذلك يرى ستيفينسون أن تذكر الحياة السابقة هو أمر سلبى أكثر من أن يكون إيجابى. فيقول: هؤلاء الأطفال مشوشون بين ولاءات منقسمة، ففى الكثير من الحالات رفض الطفل والديه قائلًا بأنهما ليسا والديه الحقيقيين، وفى حالات أخرى يصر الطفل أو الطفلة على العودة إلى زوجته أو زوجها وإلى ابنائه.

فى إحدى الحالات كان ولد هندى متعلقًا بشدة بأمرأة قال بأنها كانت حبيبته فى حياة سابقة، فراح يحاول أن يعود إليها، الأمر الذى سبب لهما محنة حقيقية. أما حين يتعرف والدا الطفل على عائلته السابقة ويلتقى الطفل بها فإنه حينئذ يتصرف تجاههم بشكل مدهش كأن تكون الطفلة مذعنة لزوجها السابق، أو يتصرف الطفل كراع ومسئول مع من كان أخاه أو أخته الصغرى على الرغم

من أنهما الآن يكبرانه بكثير، أو تتصرف الطفلة كأم مع من كانوا أبناءها فتملى عليهم الأوامر والتوجيهات على الرغم من أنهم يكبرونها الآن.

أما الأطفال الذين تذكروا أنهم ماتوا بشكل غير طبيعى فغالبًا ما يعانون رهابًا - فوبيا - تجاه الأمور المرتبطة بكيفية موتهم، فمن مات غرقًا تجده يخاف من السباحة بشكل غير طبيعى، ومن مات بطلق نارى يظهر خوفًا تجاه المسدسات والأصوات العالية. سلوك غير تقليدى آخر لاحظه ستيفينسون وهو أن يعبر الطفل عن رغبته فى تناول أطعمة أو إرتداء ملابس مختلفة عن ثقافة أسرته، ومن هذا السلوك أنمطة مختلفة، مثل أن يكون الطفل فى حياته السابقة مدمنًا على الكحول أو التبغ أو المخدرات، فيظهر هذا الطفل رغبة ملحة فى تناول ما كان مدمنًا عليه.

أيضًا من السلوكيات الغريبة التى يظهرها الطفل هو التصرف بطريقة لا تلائم جنسه ـ ذكر أو أنثى ـ إذا كان فى حياته السابقة على عكس جنسه الحالى، فنجد الطفل الذكر الذى يتذكر أنه كان أنثى يلعب مع الإناث ويلعب ألعابهم ويفضل أن يلبس مثلهم، وقد يمتد تأثير الأمر إلى فترة بلوغه فيصبح مثلى الجنس. الكثير من الأطفال أيضًا تظهر عليهم آثار وسلوكيات مرتبطة لمهنهم السابقة حاضرة فى لعبهم. كما أن بعض الأطفال الذين كانوا قد ماتوا منتحرين فى حيواتهم السابقة يحتفظون بميولهم الإنتحارية، فإذا مثلًا ساءت الأمور مع الطفل فإنه يهدد بالإنتحار.

لقد وثق ستيفينسون ثلاثًا وعشرون حالة لأطفال يعانون من الخوف من العقاب لإقدامهم على الإنتحار فى حيواتهم السابقة. وكان لدى بعضهم خوف دائم من أداة الإنتحار. ويلاحظ أيضًا على بعض الأطفال الذين تذكروا حياة سابقة أنهم يحدثون الآخرين بثقة عن أن الموت ليس هو النهاية. لقد ذكر تلك الحالات وأوضح الأتى: «كان معى ثلاثة أطفال موضوع دراستى وقابلوا أمرأة مات زوجها، وقالوا لها: يجب ألا تبكى، الموت ليس هو النهاية، انظرى إلى، لقد مت وها أنا هنا مرة أخرى»!

معرفة الطفل بمعلومات مرتبطة بصاحب شخصيته السابقة لم يكن من الممكن له معرفتها: يقول ستيفينسون: «بين سنى الثانية والرابعة، يبدأ الطفل بشكل تلقائى بالحديث عن حياة سابقة له ويبدأ بالحديث عن أسماء وأماكن لم يسمع بها أحد من أهله. وعادة يواصل الطفل حديثه الغريب لأشهر أو لسنوات على الرغم من المحاولات القوية من جانب عائلته لإيقافه عن مثل ذلك الحديث عن حياته السابقة. أنه فى أكثر من نصف الحالات التى درستها حاولت أسرة الطفل وقف الذكريات. ثم تبدأ الأقاويل فى الإنتشار عن الطفل إلى أن تصل إلى أسماع أسرة فى القرية ترى أن وصف الطفل يطابق فقيدًا لها، فتسعى لمقابلته. فى حالات أخرى يوضح الوالدان لطلبات طفلهم المتكررة بأن يلتقى مع أفراد أسرته السابقة، فيبدأ والدًا الطفل رحلة البحث عن الأسرة التى يتذكرها وذلك بناء على ما قدم من معلومات، فيتمكنا فى النهاية من معرفة الأسرة المقصودة. حين يتم أخذ الطفل إلى المكان الذى تقطن فيه أسرته السابقة، فإنه عادة ومن دون مساعدة يدل على الطريق المؤدى إلى منزله السابق، ويتعرف بشكل تلقائى على أفراد أسرته وأصدقائه السابقين ويناديهم بأسماءهم المحببة لهم، ويتفاجأ بالتغيرات التى طرأت على المنزل والغرف وعلى مظهر أقاربه وأصدقائه، ويستفسر عن أشخاص وممتلكات يجدها مفقودة، وفى بعض الحالات يتحدث عن مسائل وأسرار لا تعرفها إلا هذه العائلة. المثير أكثر من ذلك هو أن الطفل لا يعرف أى شىء مما قد حدث بعد وفاة شخصيته السابقة، وكأن ذاكرته قد تجمدت عند لحظة وفاته الأولى».

وجود علامة على جسد الطفل أو إعاقة تتطابق مع إصابة أو إعاقة تعرضت لها الشخصية السابقة. هذا النوع من الحالات إعتبره ستيفينسون الدليل الأقوى على إمكانية حدوث التجسد، ولذلك ستكون لنا وقفة خاصة مع هذا النوع من الحالات لاحقًا.

أمثلة لبعض القصص الشهيرة عن حالات التقمص

قصة السيدة «شانتى ديفى»

من أكثر القضايا شيوعًا تلك المتعلقة بالتجسد، الحالة التى سميت بحالة السيدة «شانتى ديفى» حيث نالت شهرة عالمية وإعتبرت من إحدى الحالات المثيرة للدهشة. حدثت فى الهند عام ١٩٣٠م، قبل قيام الدكتور ستيفينسون بأبحاثه بمدة طويلة، لكنه أعاد مراجعتها من خلال السجلات والمراجع الموثقة رسميًا. وقد صرح الدكتور ستيفينسون بأن قصة الفتاة «شانتى ديفى» مطابقة تمامًا للواقع.

ففى عام ١٩٣٠م كانت «شانتى ديفى» فى الرابعة من عمرها عندما بدأت تتذكر تفاصيل محددة عن أنواع من الملابس والأطعمة وأشخاص وأماكن، مما أثار فضول والديها، وبإختصار قامت الفتاة بذكر التفاصيل التالية التى تم التحقق منها فيما بعد، وتم إثبات صدق ما قالته تمامًا:

عرفت نفسها بأن إسمها الحقيقى «لودجى»، إمرأة عاشت فى (موترا) التى تبعد عن مكانها الحالى ١٢٨ كم.

تكلمت باللغة المحلية التابعة لتلك المنطقة دون أن تتعلمها فى حياتها الحالية.

إدعت بأنها أنجبت ولدًا ومات بعد عشرة أيام من ولادته (وقد اثبت ذلك فعلًا لاحقًا).

عندما أخذوها إلى «موترا»، تعرفت على زوجها (فى حياتها السابقة) وكان يدعى «كيدار ناث» وتكلمت عن أشياء كثيرة فعلوها سويًا دون معرفة أحد بتلك الأشياء سواهما!

تمكنت من التعرف على علامات عديدة حول مكان إقامتها السابق، وقد إهتدت إلى منزلها السابق بنفسها دون إرشاد من أحد.

تمكنت من التحديد بدقة، كيف كانت وضعيات الأثاث المنزلى اثناء وجودها فى حياتها السابقة.

تمكنت من تحديد مكان وجود ١٥٠ روبية فى إحدى زوايا المنزل وكانت تحتفظ بهذا المال من أجل عثرات الزمان.

تمكنت من التعرف على والديها السابقين من بين جمهور غفير.

لقد أحدثت هذه القضية ضجة كبيرة فى حينها مما دفع الحكومة إلى تشكيل لجنة مؤلفة من رجال بارزين كان من بينهم سياسى بارز، محامى، مدير دار نشر، من أجل التحقيق بتفاصيل هذه القصة المدهشة. وخرجت اللجنة مقتنعة تمامًا حيث تأكدوا من أن «شانتى ديفى» قد تمكنت من معرفة اشياء وتفاصيل كثيرة لا يمكن الحصول عليها عن طريق الخداع أو وسيلة ملتوية أخرى وجميعهم أجمعوا على أن الوقائع بمجملها تشير إلى إنها «ظاهرة التقمص».

وقد نالت هذه القصة شهرة عالمية وجذبت إنتباه الكثير من علماء الإجتماع والكتاب، مثل الكاتب السويدى «ستور لونرستراند» الذى سافر فى الخمسينات إلى الهند وقابل «شانتى ديفى» قد تجسدت فعلًا، وإستبعد أى تفسير آخر تعتمد عليه هذه القضية قائلًا: «إن ظاهرة التقمص لشانتى بالذات نالت اهتمام الصحافة والإعلام مما جعلها قضية عالمية ذات أهمية كبيرة».

قضية الدكتور «ارثر جيردهام» والسيدة «سميث»

هذه القضية من إنجلترا، أقنعت الكثير من الخبراء بما فيهم الدكتور «ارثر غيردهام» تتمحور حول ربة منزل عادية كانت تعانى من كوابيس وأحلام مزعجة أثناء نومها، فكانت ترى نفسها وهى تتعرض للحرق بالنيران الملتهبة فى ساحة عامة أمام الناس! وقد أعطت السيدة للدكتور «جيردهام» نسخ من بعض الرسومات ومقاطع أغنيات كانت قد كتبتها فى طفولتها بشكل تلقائى دون تحضير مسبق وقام متخصصين باللغة الفرنسية القديمة بالتعرف على كلمات من تلك الأغنيات وإستنتجوا إنها تنتمى إلى لغة كانت سائدة فى جنوب فرنسا بين القرنين ١٢ ـ ١٣ للميلاد.

قضية «مارتا لورينز»

إحدى القضايا المثيرة التى بحثها الدكتور ستيفنسون، كانت تخص فتاة من البرازيل، تدعى «مارتا لورينز»، والتى عندما كانت فى سنها الأولى من العمر تمكنت من التعرف على أحد أصدقاء والديها، وأشارت عليه بعبارة «أهلا أبى»! وعندما أصبحت فى سن الثانية من عمرها راحت تتكلم عن تفاصيل كثيرة تتعلق بحياتها السابقة والتى صادف بأنها كانت صديقة حميمة لوالدتها الحالية وإبنة الرجل الذى هو صديق والديها الحاليين والكثير من التفاصيل التى تحدثت عنها لم تكن معروفة من قبل والدتها الحالية، وإضطروا إلى التحقق من مدى صدق ما تقوله بالإستعانة بأشخاص آخرين يعرفون الفتاة فى حياتها السابقة، ووجدوا أن كل ما ادعته صحيحًا.

إستطاعت هذه الفتاة أن تتذكر ١٢٠ حقيقة أو حادثة أو موقف حصل فى حياتها السابقة. وكان إسمها «ماريا دى أوليفيرا» صديقة والدتها الحالية. هذه الصديقة قالت لوالدة الفتاة اثناء موتها على سرير المرض بإنها سوف تخلق عندها وتصبح ابنتها.

لقد إعتمد الدكتور ستيفينسون على ظاهرة «الإسترجاع العفوى للذاكرة» حيث امضى سنوات عديدة مع حالات جديدة مثل حالة «مارتا لورينز» السابقة وقام ببحثها مستخدمًا أساليب علمية دقيقة فى التحقيق مع أكثر من أربعة الآف طفل فى الولايات المتحدة وبريطانيا وتايلاند وبورما وتركيا ولبنان وكندا والهند ومناطق أخرى من العالم.

قضية الطفل «رافى شنكار»

تجلت الأمثلة المستخلصة فى دراسات الدكتور ستيفينسون حول الوشمات الجسدية، فى قضية الطفل «رافى شنكار» الذى تذكر قطع رأسه عندما كان ولدًا صغيرًا، على يد أحد اقربائه الذى كان يأمل بوراثة ثروة أبيه، وقد ولد «رافى» فى حياته الحالية مع وجود علامة فارقة تحيط برقبته. وبعد التحقق من صدق

الرواية، تبين أن الفتى كان صادقًا فى كل ما ادعاه، فقد تم قتل أحد الأطفال فعلًا بهذه الطريقة بنفس المنطقة والعائلة التى أشار إليها «رافى».

قصة الإنكليزية «جينى كوكيل Jenny Cockell»

هى إحدى قصص التجسد و«الحياة السابقة» المشهورة والتى كانت موضوعًا لكتابين وعرضت ونشرت حولها التحقيقات الصحفية، بعضها فى جرائد وإذاعات عالمية مرموقة مثل هيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C). بالإضافة إلى غرابة هذه القصة فقد إتسمت ببعد أنثوى مؤثر، إذ أدت إلى لم شمل مجموعة من الأخوة والأخوات بعد أن فرقتهم الظروف الإجتماعية والعوامل الزمنية لمدة ستين عامًا، وكذلك لأن هذه القصة موثقة بالأسماء والصور ولأنها لفتت انظار المؤيدين والمشككين فى آن واحد.

ولدت «جينى كوكيل» عام ١٩٥٣م فى إنجلترا، كانت طفلة حالمة تتخيل الكثير من الأمور التى ما كان لطفلة فى مثل سنها حتى أن تفكر فيها. كان أحد الأحلام الذى قضى مضاجعها هو حلم مخيف عن موتها، كانت تتخيل نفسها فى غرفة بيضاء شديدة الإضاءة فيها شباك وحيد قديم الطراز، وينتابها إحساس ثقيل بالغربة كما لو أنها بعيدة عن بيتها، وكانت تشعر بألم شديد فى جسدها وصعوبة فى التنفس، لكن ذلك الألم كان لا يقارن مع الشعور المرعب بدنو أجلها، وخوفها على الأطفال التى ستتركهم خلفها. كان حلمًا غريبًا حقًا، خاصة بالنسبة إلى طفلة فى عمر جينى. هذه الخيالات والرؤى كانت تزداد قوة ووضوح عامًا بعد عام، فتتحول فى رأس جينى الصغير خيالات عن صور لأماكن ووجوه لم ترها فى حياتها، أكثر تلك الصور وضوحًا كانت لكوخ صغير تحيط به الأشجار وتنتصب بالقرب منه مجموعة من الأكواخ البسيطة، كانت على ما يبدو بلدة صغيرة وكان بإمكان جينى رسم خريطة لها على الورق، لكنها لم تكن تعلم أين تقع هذه البلدة فى هذا العالم الواسع الذى تعيش به. ولكن فى المدرسة، كانت جينى تفتح أطلسها الجغرافى وتحدق بغرابة إلى رسم لخارطة أيرلندا ثم تمرر إصبعها فوق الرسم ببطء لتتوقف عند بقعة معينة كتب تحتها

إسم «مالهد»، كانت بلدة صغيرة إلى الشمال من «دبلن»، ومع أن جينى لم تزر ايرلندا فى حياتها لكن شعورًا قويًا لا يقاوم كان دومًا يوجهها إلى ذلك المكان البعيد.

رغم الخيالات والأحلام، المزعجة أحيانًا، التى كانت تتراءى لها من حين لآخر إلا أن جينى أستمرت فى حياتها حتى غدت شابة وتزوجت وأصبحت أما لطفلين، إلا أنها لم تتوقف يومًا عن التفكير فى ذلك الكوخ الصغير القابع فى تلك البلدة الصغيرة من ايرلندا، بل إن إنجابها لأطفال وشعورها بالأمومة أظهر تلك الخيالات القديمة وأصبحت أكثر قوة ووضوحًا، خاصة تلك المتعلقة بالأطفال الصغار الذين كانت تراهم فى أحلامها والتى بدا واضحًا بأنها كانت والدتهم فى حياة أخرى. لقد شعرت بحنين وقلق كبير تجاه أولئك الأطفال إلى درجة إنها قررت أخيرًا فى عام ١٩٨٨ القيام بزيارة إلى بلدة «مالهد» فى ايرلندا، وما أن وطئت أقدامها أرض تلك البلدة حتى أخذت أحلامها وخيالاتها القديمة تمتزج مع الواقع لتصبح حقيقة ماثلة للعيان، صحيح أن هناك بعض التغييرات طرأت على البلدة ولكنها فى تفاصيلها العامة كانت مطابقة للصورة التى رسمتها جينى فى عقلها، وكانت المفاجأة الكبرى عندما وجدت جينى الكوخ الصغير الذى ظهر فى أحلامها، كان مهجورًا وخربًا لكنها تمكنت من التعرف عليه بسهولة، ثم بدأت الصور والذكريات تنهال عليها، صور إرتسمت فى ذهنها تتكون من زوج وزوجة وثمانية أطفال، ولكنها لم تستطع تذكر إسم العائلة ولا إسم تلك المرأة التى كانت تجسدها.

قررت جينى أن تكتب رسالة إلى مالك الأرض التى توجد عليها الكوخ تطلب فيها مساعدته فى التعرف على اسم العائلة التى كانت تسكنه طبقًا للرؤى والمعلومات التى كانت تراها فى أحلامها. ويبدو أن الحظ قد إبتسم لها إذ لم تمض مدة طويلة حتى جاءتها برقية تجيب على تساؤلاتها. لقد كتب إليها مالك الأرض بأن الأوصاف التى ذكرتها فى رسالتها لا تنطبق إلا على عائلة «جون ومارى سوتون» وأطفالهم الثمانية الذين كانوا يقطنون الكوخ فى الثلاثينيات من القرن العشرين، وعلى الفور أيقنت جينى من أن عائلة سوتون

هى العائلة التى طالما رأتها فى أحلامها، وإن روح «مارى سوتون» هى التى حلت فى جسدها، ثم قررت البدء فى البحث عن أطفال مارى سوتون، فكتبت عدة رسائل إلى دور الأيتام والكنائس والمستشفيات فى «دبلن» وضواحيها تستعلم فيها عن مصيرهم، وسرعان ما قابلت أحد القساوسة الذى وجد فى سجلات كنيسة معلومات حول تعميد عدد من أطفال العائلة: جون (١٩٢٣)، فيلومنا (١٩٢٥)، كريستوفر (١٩٢٦)، فرانسيس (١٩٢٨)، بريجيت (١٩٢٩)، إليزابيث (١٩٣٢)، كانت جينى على يقين من أن هناك طفلين آخرين لم ترد أسماءهم فى سجلات الكنيسة رغم ذلك كانت المعلومات التى حصلت عليها بمثابة الخيط الذى أوصلها فى النهاية إلى معرفة ماذا حل بأطفال «مارى سوتون».

قامت جينى بنشر إعلان صغير فى إحدى جرائد دبلن وضعت فيه أسماء الأطفال لغرض الحصول على معلومات عنهم، وكم كانت المفاجأة كبيرة عندما إتصل بها «جون» الأبن الثانى لـ«مارى سوتون»، لم تكن المكالمة مشجعة إذ إن جون لم يقتنع بمزاعم جينى. كان صعبًا عليه أن يصدق، وهو فى الخامسة والستين من العمر، بأن إمرأة فى الخامسة والثلاثين من العمر تتصل به لتخبره بأنها النسخة الجديدة لروح والدته مارى التى توفت قبل ٥٦ عامًا، مكالمة جون لم تخلو من فائدة إذ أعطى جينى رقمى هاتف أشقائه «سونى» الأبن الأكبر و«فرانسيس».

لم يكن «سوتون» يتخيل حتى فى الأحلام ما سيسمعه فى الهاتف مساء أحد الأيام من عام ١٩٩٠. لقد تحدث لفترة من الزمن مع إمرأة إنجليزية، وبعد أن أغلق الهاتف بدا لوهلة مصدومًا ومبهورًا حتى إن زوجته سألته بإندهاش عما حدث فأجابها وعلى وجهه علامات الدهشة: «أعتقد بأنى تحدثت للتو مع شبح» وأردف قائلًا بصوت مرتجف: «أنا متأكد من أنى كنت أتحدث للتو مع روح أمى!!». لقد كانت بعض الأشياء والأمور التى ذكرتها جينى اثناء حديثها على الهاتف مع سونى على درجة من الخصوصية بحيث يستحيل على إنسان فى العالم أن يعلم بها بإستثناء أمه «مارى»، ولكن ما استعصى على سونى

إستيعابه هو كيف يمكن لإمرأة ولدت بعد وفاة والدته بواحد وعشرين عامًا أن تعرف مثل هذه الأمور عن طفولته.

إن اثر مكالمة جينى على سونى لم يقتصر على الدهشة والصدمة ولكنها أعادته إلى ذكريات بعيدة وباهتة كان قد طوى صفحتها وتمنى لو ينساها: «أى كان سبب جميع المصائب التى حلت بنا» هكذا أخبر «سونى سوتون» أحد الصحفيين الذى كان يجرى معه مقابلة بعد عام على الإتصال الأول. ثم أردف بصوت متهدج: «كان أبى يعمل كبناء، وكان يكسب مبلغًا جيدًا من المال لكنه كان ينفقه على إحتساء الخمر، كنا نظل لأسابيع كاملة بدون مصروف للبيت، لم يكن لدينا شىء لنأكله. كان أبى يأتى إلى البيت بعد العمل وهو مخمور ويطلب أن يوضع العشاء أمامه، وإذا لم تجد والدتى شيئًا لتضعه على الطاولة كان ينهال عليها بالضرب بقسوة، أحيانًا كنت أحاول منعه من ضربها فكان يضربنى أنا أيضًا».

لم تكن العائلة فى الغالب تملك شيئًا لتأكله، كان سونى وأشقائه يحاولون فى النهار صيد الأرانب وفى الليل كانوا يسرقون بعض الخضار من الحقول المحيطة بالبلدة. كانت طفولة بائسة وتعيسة، لكن على العكس من الأب السكير والقاسى، كانت الأم مارى غاية فى الرقة والحنان فى تعاملها مع أطفالها.

سونى كان فى الثالثة عشر عندما ماتت أمه عام ١٩٣٢، وهو يلوم والده على وفاتها أيضًا: «لقد كانت مريضة ومنهكة، أنجبت ١٠ أطفال (مات اثنان منهم فى الطفولة) وبعد وفاة أخر أطفالها أخبرها الطبيب بإن إنجاب طفل آخر سيعنى موتها المؤكد». وبالفعل تحققت نبوءة الطبيب، فقد ماتت مارى سوتون فى المستشفى بعد أن وضعت آخر أطفالها: «لقد كانت ضربة مؤلمة لنا» قال سونى بحزن ثم أردف وهو يغالب دموعه: «لقد انقلب كل شىء فى حياتى رأسًا على عقب».

ولم تمضى سوى عدة أيام على وفاة مارى سوتون حتى حضرت راهبة إلى الكوخ وإصطحبت معها شقيقات سونى إلى أحد الملاجئ، وبعد ذلك بأسبوع

أخذوا أشقائه أيضًا إلى أحد دور الأيتام، ولم يبقى فى المنزل سوى سونى الذى أصبح خادمًا لأبيه وحاضنة لأخته الرضيعة التى توفت والدته وهى تلدها. قال سونى: «لقد أحببت تلك الطفلة من كل قلبى، لقد رعيتها مثل أمى، كنت أغير ملابسها وأغسلها وأطعمها تمامًا كما كانت أمى تفعل مع بقية أخوتى، لكن فى أحد الأيام حضر أحد أعمامى وأخذ الطفلة، لم أراها أبدًا بعد ذلك اليوم». لقد كانت طفولة سونى عبارة عن مأساة، إذ تفرقت عائلته ولم ير أشقائه وشقيقاته لسنوات طويلة، وأصبح يعمل فى الحقول من الصباح حتى المساء من أجل أن يعيل والده السكير، لكن بعد أربع سنوات لم يعد سونى يطيق حياته، فهرب فى إحدى الليالى من كوخ والده والتحق بالجيش ولم يعد بعدها إلى البلدة إذ لم تكن تعنى له سوى مجموعة من الذكريات الأليمة التى كان يود أن ينساها إلى الأبد.

«لا أعلم ماذا أقول، أنا كاثوليكى المذهب ونحن لا نؤمن بالتناسخ والتجسد، لكن عندما حضرت جينى إلى هنا ورأيتها ترجل من السيارة شاهدت فيها صورة أمى، لقد كانت هناك رابطة ما تشدنا إلى بعض منذ البداية». هكذا أخبر سونى الصحفيين بعد لقائه بجينى، لقد جلسًا معًا لفترة طويلة، وتحدثا عن أمور لم يكن لأحد أن يعرفها عن حياة سونى سوتون، عن ذكريات قديمة عمرها أكثر من ستين عامًا.

خلال الأشهر التالية إلتقت جينى ببقية الأبناء والبنات الباقين على قيد الحياة، فإلتقت جينى بفرانك وبيتى وكريستى. بالنسبة إلى فرانك وكريستى فإنهما كانا يعتقدان أن روح والدتهم هى التى أرشدت جينى لكى تكون سببًا فى لم شملهم، أما فيلومنا فقد آمنت بأن روح أمهم مارى إنتقلت حقًا إلى جسد جينى وكانت تشعر بالطمأنينة والراحة عندما تكون قريبة منها، أما سونى سوتون فقد كان أشد المؤمنين بأن جينى هى التجسيد الحى لروح والدته مارى، لقد كان أكبر أطفال مارى والوحيد الذى يملك ذكريات حقيقية عن والدته لذلك كان هو الدليل الأكبر على صدق قصة جينى.

قصة الطفل الهندى «كاسبر»

هذه هى إحدى قصص التجسد الموثقة والتى قام بدراستها دكتور ستيفينسون. كان «كاسبر» طفل هندى أصيب بمرض الجدرى وبدأ يحتضر وظن أهله أنه مات، ولما كان الصبى من الهندوس، وطقوسهم تقضى بإحراق أجساد الأموات، ما عدا الذين دون الخامسة من أعمارهم، أو الذين يقضون بأمراض سارية، حيث كانوا يدفنون أو يرمى بهم فى الأنهار، فقد ذهب والد الطفل إلى شقيقه كى يساعده فى دفن طفله، ولكنه عندما عاد وجد أن جسده لم يكن هامدًا تمامًا، وإن بصيصًا من الحياة قد دب فيه.

ومرت الأيام قبل أن يقوى الطفل على الكلام، ومرت أسابيع قبل أن يمشى، ولكنه شفى. وكانت المفاجأة، فقد إنقلب أبنهم «كاسبر» إلى شخص آخر، قد رفض أن يأكل من طعامهم، وقال إنه من طائفة «البراهما»، وتبدلت لهجته فى الكلام وأسلوبه وطريقته فى الحوار، وصرح لهم أنه خلال غيبوبته كان حيًا فلا قرية «قاهدى»، وإنه ابن شيخ القرية، وإنه يرغب فى العودة إلى هناك، وروى لهم إنه كان شابًا مات مقتولًا بسبب تناوله للسم، ثم وقوعه من العربة التى نقلته بعد أن شعر بالدوار نتيجة للسم الذى دسه له قريبه تخلصًا منه ومن دين له عليه، وقال إن اسمه هناك كان «رام» وعمر ٢٢ عامًا وإسم أبيه «شكنكر لال تايجى».

وثبتت صحة رواية الصبى كما يقول البروفيسير ستيفينسون الذى حقق بالحادثة بنفسه وتأكد أن كل الأشخاص الذين ذكرهم كاسبر فى حياته السابقة بأسمائهم هم موجودون حقيقة، وإن المدعو «رام» قد مات بالفعل اثناء غيبوبة «كاسبر»، وقد تعرف الصبى على زوجته حين كان «رام»، وعلى أفراد أسرته الذين لم يعرفوا قصة الدين بينه وبين رفيقه، بل وذكر لهم أنه كان فى جيبه ١٠ روبيات فى معطفه الأسود، وقد أكد هذه الحقيقة أهل الفقيد، وروى لهم بعض الأمور التى حدثت له فى حياته.

ملاحظات مبدئية على نتائج حالات التجسد

يقول الدكتور «رؤوف عبيد» فى كتابه الهام (فى العودة للتجسد):

الملحوظة الأولى

ملحوظة مبدئية عن نتائج الحالات إلتى عرضها إيان ستيفينسون وغيره، وهى أن العودة للتجسد لم تكن فورية، أى بمجرد الوفاة. وذلك يدحض بعض الإعتقادات التى تذهب هذا المذهب والتى لها أتباعها فى الشرق الأقصى. ففى جميع الحالات إتضح مضى فترة تراوحت فى مداها، قضتها الروح فى عالم الغيب (أو إفتراضًا البرزخ الفضائى) محتفظة بشخصيتها وبذاكرتها ـ ولو على وجه من الوجوه ـ وهذه الفترة قد تمتد إلى سنين وربما إلى قرون وعلى ذلك أجمعت رسائل الأرواح الراقية فى جلسات إستحضار الأرواح، وبحوث الباحثين الجادين. ومع مراعاة أن الزمن، فى الطبيعة الأزلية للروح كلمة ليس لها معنى ولا سبيل لقياسها.

وبطبيعة الحال كلما كانت العودة للحياة الأرضية قريبة العهد بالتجسد السابق، كلما كانت الذكريات عن ذلك التجسد أغزر وأوضح وكلما كان التحقق من صحتها أيسر سبيلًا. لأن معالم المكان والزمان تكون لا تزال موجودة بما فى ذلك بقاء بعض الأشخاص على قيد الحياة والذين كانوا قد عاصروا التجسدين السابق واللاحق. وكلما كانت هذه العودة إلى الحياة الأرضية بعيدة العهد بالتجسد السابق كلما كان التحقق من صحة التجسد السابق صعب التحقق منه، بل ربما صار مستحيلًا بالنظر إلى تراجع الذكريات أو إختفائها وبالنظر إلى زوال أهم معالم المكان والزمان. ولذا نجد أن جميع الحالات التى نجح الباحث الفذ البروفيسير أيان ستيفينسون فى متابعتها وتحقيقها قريبة العهد جدًا إذ لم يمض على غياب صاحب الحالة فى عالم الغيب سوى فترة تتراوح بين سنة واحدة وعشر سنوات فقط. ومجرد إحتمال صحة التجسد القريب تحمل على الإعتقاد بإمكان صحة المبدأ من الناحية العلمية ـ الفلسفية، ولو تعذر التحقق القاطع لطول العهد بالماضى السحيق للإنسان.

الملحوظة الثانية

وهى أن العودة للتجسد كانت دائمًا فى صورة آدمية، وربما قريبة ـ ولو على وجه ما ـ من صورتها السابقة مباشرة. فلم يثبت فى أية حالة من الحالات أن العودة يمكن أن تكون فى صورة حيوان أو طائر أو شجرة... أو غير ذلك على نحو ما تذهب إليه بعض الأساطير خصوصًا فى الشرق الأقصى.

الملحوظة الثالثة

هى أن النفس العائدة للتجسد ـ مهما كانت عودتها قريبة ـ لا يمكن أن تتذكر أبدًا كل ماضيها، إنها تتذكر فقط لمحات أو ومضات سريعة من هذا الماضى تكون قد إستقرت قابعة فى عقلها الباطن فلا تطفو إلا متى أتيحت لها فرصة الطفو على السطح من جديد. ولذا فإن إمتحان هذه الروح العائدة للتجسد فى هذا الماضى أمر لا يجدى شيئًا فى إثبات شخصيتها. بل يكفى فى هذا الشأن قدرتها على تذكر بعض الأحداث أو بعض الأسماء التى سبقت لها رؤيتها، أو سماعها، والتحقق من صحة هذه وتلك للتعرف على مدى صحة الحالة.

وهذا أمر بديهى إذا روعى الإختبار الحيوى الهام الذى تعرضت له الروح مرتين: مرة عند إنفصالها عن جسدها المادى، وأخرى عند إتصالها بجسد مادى جديد فى رحم الأم، وأثر ذلك كله فى ذاكرتها وفى وعيها. وهذا هونفس الوضع الذى يقابله كثيرًا الباحثون الروحيون عند محاولة الإتصال بأى روح وهى خارج الجسد، ثم عند رغبة تحقيق شخصيتها عن طريق إختبارها فى ذكرياتها الأرضية، فهذا الإختبار غير منتج فى المعتاد، إذ ينبغى أن نترك للروح أن تعبر عن نفسها وأن تروى ذكرياتها على النحو الذى يتفق مع سليقتها والذى يتراءى لها، والذى تقدر عليه هى بحسب حالتها الجديدة خصوصًا بعد تغير كلى لظروفها، وحدوث إندماج جزئى أو كلى بين الجانبين الواعى وغير الواعى للعقل أو بين الشعور واللاشعور، وأثر ذلك فى الذاكرة أثر عميق، وخطير، ومتعدد الجوانب.

ومن الملاحظ بوجه عام أن تذكر الروح العائدة للتجسد أحداث حياتها الماضية يكون باهتًا ضعيفًا، وأضعف بكثير من تذكر الروح العائدة للتجسد عن طريق التنويم المغناطيسى الفنى لنفس هذه الأحداث. لأنه فى هذه الحالة الأخيرة قد يطفو العقل الباطن للروح إلى مستوى الذاكرة الواعية لدرجة أن الروح قد تتذكر عدة حيوات لا حياة واحدة فحسب وهو ما لا يحدث إلا إذا توافرت إعتبارات معينة.

تعليقات دكتور ستيفينسون على نتائج تحقيقاته

يوجه الدكتور ستيفينسون نظر المتابعين لقصص التجسد التى قام ببحثها إلى أن بعض الحالات التى حققها تنتمى إلى بيئات لا تعرف شيئًا عن العودة للتجسد، وحدثت منها حالات عديدة فى الغرب فى أسر إما لم تسمع إطلاقًا عن هذه العودة، وإما لا تعطى هذا الإعتقاد أى إعتبار، بما فى ذلك بعض حالات الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وإنجلترا. ففى هذه البلاد تجرى الثقافة فى مجرى الكراهية لعقيدة العودة للتجسد، وكثير من الأشخاص لم يسمع حتى مجرد سماع عن هذه العقيدة، أو سمع عنها ولكنه إعتبرها خرافة حمقاء يؤمن بها القوم هناك فى آسيا. ويقول إنه واثق من أن كل أسرة من تلك الأسر التى تحدث فيها أطفالها عن ذكريات معينة عن حياة سابقة تلقت تلك الأقوال بدهشة، بل بعدم تصديق.

كما حدثت حالات مماثلة فى الهند فى أسر إسلامية لا تؤمن بالعودة للتجسد، بل وتنكر صحتها. وقد يعترض بعض الأشخاص قائلين أنه توجد جيوب معزولة من الناس تميل إلى الإيمان بالعودة للتجسد حتى فى الغرب، وهو أمر صحيح بلا ريب. أو قائلين أن ثمة أسرة ما قد لا تؤمن بالعودة للتجسد ولكن قد يكون أفرادها مسؤولين عن حديث أحد أطفالها عن حياة سابقة له، بغير أن يتعمدوا ذلك.

يقول د. ستيفينسون: مثل هذه التأويلات تدفعنى إلى توسيع مفهوم التأثيرات

الثقافية إلى ما وراء، بل إلى ما يناقض الوقائع التى وصلت إليها والتى حدثت خارج إطار الثقافات الموالية للعودة للتجسد، ولا أعتقد أنه يتعين علينا أن نصوغ نظرياتنا لكى تلائم الإستثناءات، بل أن نصوغها بحيث ندخل فيها تلك الحالات الإستثنائية أيضًا.

وإذا كان أحد الأشخاص بمقدوره أن يحوز بيانًا يمكن تحقيق عن حياة سابقة، وهذا البيان ليس بمقدوره الحصول عليه عن طريق عادى، بمقدار ما يمكننا القول، وإذا كان هذا الشخص يقدم بيانه بوصفه أنه اتصل به كذكرى من حياة سابقة، فإنه فى الواقع من الجائز فعلًا أن يكون الأمر كذلك. فإذا كانت العودة للميلاد تحدث فعلًا فإن علينا أن نتوقع ذكر بيانات عن حياة سابقة على الحاضر كتذكارات عن الماضى، وعلينا أن نستغرب إذا لم يكن الأمر كذلك.

«وعلينا فى الواقع أن نتساءل ـ إذا كان ثمة طفل يزعم بوجود هذا البيان عن شخصية سابقة له ـ عما إذا كان هذا البيان ينتمى إلى شخص آخر غير متجسد (أى إلى الروح)؟ ولكن إذا كان هناك دليل آخر يدعونا إلى الإعتقاد بأنه يصف لنا شخصيته الخاصة التى لا تزال مستمرة معه، فلابأس من الإعتقاد بصحة ذلك. وهذا الإفتراض يتحقق بشكل نموذجى عندما يحمل مولود حديثًا علامات معينة ذات خصائص محددة عالية مشتركة بين شخصين (أحدهما سابق وثانيهما لاحق) كما حدث فى حالات عديدة تحمل علامات حقيقية، وقواعد صحيحة للإقتناع بأن الطفل ما كان بمقدوره أن يحصل بالسبل العادية على البيانات التى قدمها عن شخصيته السابقة».

ثم يضيف ستيفينسون بعد تحليل واف لهذه الحالات قائلًا: «ولقد عثرت على دلائل قليلة على أن بعض أولئك يحوز قدرة خاصة على الإدراك خارج الحواس بصرف النظر عن دائرة الإلمام بشخصيته السابقة. وكانت الدلائل عبارة عن معلومات قدمتها أسرهم مفادها أن أولئك الأطفال قد تنبأوا عن أحداث وقعت لأقارب أو لأصدقاء للأسرة، قبل وقوعها، أو كانوا بعيدين عنهم».

وقوة تحديد شخصية الأشخاص الذين يدعون تذكر حياة سابقة لهم بالمقارنة

بشخصيتهم الحاضرة تتفاوت. فبعض أولئك الأطفال يستخدم صيغة الماضى لوصف الحياة السابقة فيقولون: «كنت أحمل إسم كذا وكذا». لكنهم يتقبلون أيضًا أسماءهم الحاضرة. أما البعض الآخر فهو يناضل ضد الشخصية الحاضرة ويقول مثلًا: «لا تنادونى بهذا الإسم لأن إسمى جون مثلًا، وأنتم لستم أقاربى، فإن أبى وأمى يعيشان بعيدًا عن هنا».

بل إن ثمة أطفالًا يحوزون تحديدًا قويًا عن شخصية سابقة بحيث يمكنهم أن يميزوا أحداث الحياة السابقة بوصفها أحداثًا ماضية. فيقول أحدهم مثلًا: «لقد حدث لى حادث كهذا عندما كنت كبيرًا». وهم فى المعتاد لا يعيشون الماضى من جديد كما لو كان يحدث الآن. وهذا يحدث أيضًا فى أحلام كثيرة إذا حدثت إيحاءات بوجود حياة سابقة. وفى تلك الأحلام بالذات يشعر الإنسان بأن له فى الحلم شخصية مغايرة كانت تعيش فى عصر ماضى، وفى مكان مختلف. وطيلة الحلم، وربما لمدة أطول من الحلم قليلًا، يشعر بنفسه كما لو كان شخصية أخرى. وبعضهم ينظر عند اليقظة فى مرآة حتى يتأكد أنه مثلًا يملك لحية أو لا يملكها.

وتحدث أمور مماثلة لهذه فى حالات التنويم المغنطيسى عندما تؤدى إلى إرجاع الذاكرة إلى حياة سابقة. كما تحدث أيضًا كثيرًا فى بعض الحالات التى فيها يتذكر إنسان وهو فى يقظته حادثة قديمة لكنه يشعر كما لو كان لا يزال يحيا فى مجرى الحادثة كما حدثت فى أصلها، ويتصرف كما لو كانت هذه الحادثة لاتزال تجرى فى الحاضر.

ثم يتعرض ستيفينسون لموضوع آخر دقيق، وهو إلى أى مدى يمكن للوالدين أن يفرضًا على طفلهما سلوكًا معينًا، خصوصًا فيما يتعلق بتذكر حياة سابقة له؟ وبعبارة أخرى إلى أى مدى يمكن للوالدين أن يؤثرًا فى شخصية طفلهما بما يدفعه مثلًا إلى القول بأنه كان فى حياة سابقة هذا الشخص أو ذاك؟

«ويقول أن هذا النوع من الأحداث مر به الطفل الهندى «رانجيث Ranjith» الذى كان يعتقد إعتقادًا جازمًا إنه كان فى حياته السابقة شخصًا يعيش فى

إنجلترا. والموضوع ليس موضوع تشابه فى الملامح بل موضوع إحساس منه بأنه يمثل دوام حياة شخص آخر. وكان «رانجيث Ranjith» يحس بذلك إحساسًا متدفقًا إلى حد أنه كان أحيانًا يستخدم صيغة الحاضر للحديث عن الحياة السابقة فيقول: «أن لى أبًا أو أمًا فى إنجلترا» أو أن أمى تدعونى قائلة «يا عزيزى darling أو sweetheart». وللإجابة عن التساؤل السابق فإن بمقدورى أن أقول إننى فيما خلا حالات العودة للتجسد التى من هذا القبيل، فأننى لم اسمع ابدًا عن طفل يضع نفسه فى شخصية أخرى يزعم طويلًا إنها تمثل شخصيته الخاصة كما يفعل أولئك الأطفال الذين يزعمون إنهم قد عاشوا من قبل».

«قد يحدث هذا عند البالغين المرضى بمرض عصبى معين "Psychotic disorder" لكن هذا المرض نادر جدًا عند الأطفال. وتشخيص الطفل نفسه تشخيصًا زائفًا بأنه شخص آخر أكثر ندرة. وقد ناقشت هذا الإفتراض مع الأخصائيين فى علم التحليل النفسى للأطفال، ولم يذكرنى أى واحد انه سمع ابدًا عن حالة يزعم فيها طفل أنه يمثل شخصًا آخر. ولم أكتشف فى كل أبحاثى فى «علم نفس الأطفال» حالة واحدة من هذا القبيل فيما عدا حالة لعب الأطفال مع الآخرين أو مع الحيوانات». وينبغى أن نلاحظ عند تقدير هذه الآراء الخطيرة التى وصل إليها ستيفينسون أنه قبل أى شىء آخر فإنه عالم نفس، وإنه كان يعمل أستاذًا للتحليل النفسى بجامعة فيرجينيا، فهو يتكلم فى ميدان من صميم اختصاصه العلمى، الذى يؤهله للحديث فيه عن دراية وخبرة كافيتين.

التمييز بين العودة للتجسد والإستحواذ

يقول الدكتور رؤوف عبيد فى كتابه عن التجسد أنه ينبغى عدم الخلط بين العودة للتجسد، وهى تبدو ناموسًا طبيعى للميلاد من جديد على هذا المستوى المادى من الكوكب الأرضى، وبين الإستحواذ (Possession) الذى قد يحدث أحيانًا من روح إنسان منتقل على جسد إنسان لا يزال يواصل حياته الأرضية، والذى لا يعتبر ناموسًا طبيعيًا بمقدار ما قد يعتبر ـ فى غير حالات الهيمنة للإرشاد، أو للعلاج، أو للإقناع، أو بالإلهام.. إلخ ـ ظاهرة مرضية قد تدوم طويلًا أو قصيرًا.

والأصل أنه بمجرد زوال حالة الإستحواذ المرضى يعود المريض إلى شخصيته السابقة تمامًا. وثمة حالة مشهورة من هذا القبيل خضعت لتحقيق دقيق هى حالة «معجزة واتسيكا Watseka». كما قابل بعض خبراء التنويم المغناطيسى حالات من إستحواذ كائن اثيرى أو غيبى على جسد الوسيط أو الوسيطة فى الغيبوبة. وقد سلم الفيلسوف الأمريكى «وليام جيمس W.James» بإمكانية حدوث هذا الإستحواذ وأيضًا عدد لا يستهان به من أبرز العلماء. على أن ثمة صورة أخرى للإستحواذ صادفها بعض الباحثين، وهى إستحواذ كائن وهو خارج جسده المادى على جسد إنسان فى لحظة الوفاة، أى فى نفس لحظة خروج صاحبه منه، أو مخالفته الخروج منه عند الإحتضار. ومن هذه الحالات الأخيرة حالة صادفها الدكتور أيان ستيفينسون، وكان ذلك بمناسبة إجراء بعض تحقيقاته الشاقة فى حالات العودة للتجسد التى ذهب إلى الهند خصيصًا لتحقيقها. وهى حالة سوف أقدمها فيما يلى لضرورة التمييز بين الإستحواذ من جانب والعودة للتجسد من جانب آخر. وهى تبرز فى نفس الوقت كيف أن تحقيقات ستيفينسون فى الهند لم تكن أمرًا سهلًا، بل كلفته مشقات بالغة غير الإنتقال والتفاهم بالترجمة، وهى مشقة إقناع الناس بأنه لا يريد بهم شرًا، وإنه لا يريد التدخل فى عقائدهم وعلاقتهم، وراحة أرواح الأحياء أو «الأموات» منهم.

هذه القصة سبق أن استعرضت ملخصًا لها مع القصص الستة للتجسد التى قام بدراستها دكتور ستيفينسون ولكنى سوف أعيد روايتها بالتفصيل هنا لضرورة التمييز بين الإستحواذ والعودة للتجسد. وهى حالة «جاسبر» كما سبق أن ذكرت وهو الطفل الهندوسى والذى كان فى الثالثة والنصف من عمره والتى قيل انه كان ضحية إستحواذ كامل من روح شاب براهمى يدعى «سوبهارام So-harram» توفى ـ أو إن شئت فقد جسده الأرضى ـ عندما كان فى الثانية والعشرين من عمره.

وهذا الطفل المدعو «جاسبر» كان من سكان قرية «راسولبور Raswpur» وأصيب فى ربيع سنة ١٩٥٤ بمرض الجدرى إصابة شديدة إلى حد أن توفى

أو بالأدق ظهرت عليه جميع الأعراض اللازمة للجزم بالوفاة. ولكن بعد بضعة أيام من وفاته إسترد صحته بالكامل، ثم إحتاج إلى بضعة أسابيع لكى يسترد قدرته الكاملة على النطق. وعندئذ ظهر سلوكه شاذًا غريبًا عما كان عليه قبل وفاته، ومن ذلك أنه أصبح يصر على أنه براهمى لاهندوسى (كما كان من قبل). وإنه يدعى «سوبهارام»، وإنه ابن المدعو «شانكار لا تياجى» من سكان قرية «فيهيدى» التى تبعد نحو ثلاثين ميلًا من قريته راسولبور.

وذات يوم زار هذه القرية الأخيرة مدرس من قرية فيهيدى (التى كان يعيش فيها سوبهارام) فتعرف عليه جاسبر على الفور، كما أخذ فى الحديث عن قريته «فيهيدى» ومنزل «والده» هناك. فإستغرب جميع الموجودين وأخذوه إلى «فيهيدى ـ وكان عندئذ قد بلغ السابعة من عمره ـ حيث تعرف طريقه تلقائيًا إلى منزل أسرة شانكار، وسرد تسعة وثلاثين بيانًا محددًا عن حياة سوبهارام. كما تبين أن سوبهارام هذا هو ابن شانكار قد تزوج وأنجب أولادًا وتوفى بغتة بتاريخ ٢٢ مايو سنة ١٩٥٤، أى بتاريخ معاصر لتاريخ هذا التحول العجيب الذى لحق بشخصية الطفل «المتوفى» جاسبر.

وظل هذا الطفل يصر على أنه يدعى سوبهارام وأنه من البراهمة لا من الهندوس، وكان بالتالى يرفض تناول أى طعام ما لم يكن معدًا بالطريقة البرهمية التى لم تكن تعرف عنها شيئًا اسرته الهندوسية، فتطوع جار برهمى للأسرة بإعداد هذا الطعام. وكل من يعرف شيئًا عن صرامة تقاليد طائفة البراهما يفهم كيف أن البرهمى يفضل أن يموت جوعًا على ألا يتناول طعامًا لا برهميًا. مهما كانت الأمور. وظل الحال على هذا المنوال لمدة ثمانية عشر شهرًا كاملًا.

ومن الصعوبة بمكان أيضًا أن نتصور كيف أن الطفل جاسبر وهو فى الثالثة والنصف من عمره تحول سلوكه كطفل وديع إلى سلوك إنسان بالغ العمر يزيد عنه بحوالى ثمانية عشر عامًا. وفى هذا الشأن يكتب ستيفينسون: «أن القراء يريدون طبعًا أن يعرفوا بيانًا عن نوع الأحداث التى مرت بالطفل جاسبر منذ وفاة شخصية سوبهارام، وظهور شخصيتة فى جاسبر، وعن ذكرياته منذ كان

يدعى سوبهارام. وعلى هذه الأسئلة أجاب جاسبر فى سنه ١٩٦١م قائلًا إنه عندما توفى (بوصفه سوبهارام) قابل هناك شخصًا يعتقد إنه شيخ أو رئيس دينى (Sadhu) نصحة بأن يستحوذ على جسد الطفل جاسبر الذى كان فى حالة إحتضار.

ورغم إن إنتهاء شخصية جاسبر الظاهرة (بإتخاذ شخصية سوبهارام) حدث فى الفترة من أبريل إلى مايو ١٩٥٤م وهو تاريخ معاصر لتاريخ وفاة سوبهارام، إلا أن التحول فى شخصية جاسبر لم يحدث مباشرة بعد تلك الليلة التى ظهر فيها كما لو كان توفى من الجدرى، ثم عاد إلى الحياة فجأة. بل لقد ظل جاسبر فى الأسابيع التالية مريضًا فى خطر ويحتضر بسبب مرض الجدرى، وكان يتناول طعامه بصعوبة، وعاجزًا عن إبراز أية معالم لشخصيته. ولذا فإن تغيير الشخصية ربما حدث سراعًا أو تدريجيًا خلال الأسابيع التى بدأت مباشرة بعد وفاة جاسبر (حين توقفت جميع وظائفه الحيوية كالنبض والتنفس بسبب مرضه بالجدرى فإعتقد الجميع أنه قد توفى).

وعلى هذه الحالة الفريدة يعلق «نويل لانجلى Noel Langely» فى مؤلفه عن «العودة للتجسد بحسب إدجاركايسى» قائلًا إنها حالة فريدة، لإنه فى معظم الحالات التى من هذا القبيل يعطى الروح وقتًا ما بعد مغادرة جسده الأرضى قبل أن يعود إلى حمل جديد حتى فى حالات الموت المباغت. والإشارة التى حدثت إلى «الرئيس الدينى» الذى أشار على سوبهارام أن يتخذ له مسكنًا من الجسد الميت أو المحتضر للطفل جاسبر تمثل حالة خروج على النواميس العامة للخليقة. ولقد أقر إدجار كايسى أنه تحدث فى بعض الأحيان أخطاء فى هذا الشأن، ولو أنها نادرة. كما أقر بأن المستوى الأول من عالم الروح مستوى بدائى، ويمكن أن تقطنه «أشكال عقلية» لأرواح مختلفة أو غير متطورة بمقدورها أن تتخذ كل صور الفخاخ أو الشراك التى تصادفنا فى «الكابوس».

وبالتالى فلا يستبعد أن يكون قد ظهر للشاب سوبهارام كائن حقود يكرهه لروابط «كارمية» متوارثة من حيوات قديمة، وإنه أراد الإنتقام منه، وظل متحينًا

فرصة إحتضاره لتصفية حسابه القديم معه. وذلك بأن ظهر له فى اللحظة التى كانت الأمور لا تزال مختلطة فى ذهن سوبهارام بسبب إحتضاره، ذلك الإختلاط الذى منعه من أن يدافع عن نفسه، فظهر له عندئذ روح لطيف، أو مراقب للأحداث، فى صورة رئيس دينى، وأرشده عن المأوى الوحيد الذى قد يحميه من عدوه، وهو القوقعة التى تركها الطفل الصغير.

ومن الجائز أن يكون ذلك بمثابة إجراء وقتى حتى يزول الخطر المباشر القادم من ناحية المستوى الكوكبى المنخفض، ويتمكن سوبهارام من أن يتجه فى أمان إلى مستوى أكثر ثقافة، وأوفر حماية من ذلك المستوى المنخفض. ومن الجائز أيضًا أنه بمجرد ما دلف سوبهارام إلى جسد الطفل تعذر عليه أن ينسحب منه ثانية، وبالتالى تعين عليه أن يظل ملازمًا للأرض فى صورة جاسبر حتى يسدد ديونه الكارمية، ولحسن الحظ أن ذاكرته عن حيواته السابقة ستتلاشى تدريجيًا، كما يحدث عادة.

obeikandl.com

الفصل الثالث

التحقيق العلمى الحديث لموضوع التجسد

obeikandl.com

obeikandl.com

إن موضوع التجسد أو العودة للحياة الأرضية مرة أخرى هو موضوع حيوى وغاية فى الأهمية حيث إنه تتوقف عليه الكثير من المفاهيم والمعتقدات الإنسانية الأساسية التى تشكل حياة الإنسان ومسار روحه قبل وبعد الموت، وقبل وبعد الميلاد. لقد كانت هذه الظاهرة تستند فى الماضى إلى مجرد الإعتقاد إثباتًا أو نفيًا، أو إلى محض الفلسفة النظرية أو المعتقدات الدينية البحتة كما سبق أن أوضحت فى الفصل الأول. أما الآن فقد تم إستنباط أسلوب البحث الوضعى العلمى الذى سيطر سيطرة تامة على الأوساط العلمية منذ عصر النهضة أو التنوير والذى فتح منافذ جديدة للبحث قائمة على أسلوب الملاحظة والتحليل، وعلى نطاق واسع حتى يتأتى تشييد النظريات المناسبة عليهما، وهى منافذ كانت مغلقة تمامًا فيما مضى.

ومما لا شك فيه أيضًا أن البحث العلمى الحديث فى الخلود وفى الظواهر الروحية بأساليب علمية وضعية هو الذى يرجع إليه الفضل الأول فى تجميع الوقائع، وبالتالى فى توسيع رقعة البحث، مع إخضاعها فى النهاية للتحليل المنطقى الموضوعى. ولذا إزدهرت تحقيقات العودة للتجسد عن طريق البحث فى الظواهر غير المألوفة وذلك بالنظر للصلة الوثيقة بين هذه الظواهر وبين محاولة القاء أضواء لها قيمتها على التكوين الحقيقى للإنسان وبالتالى على قدره ومصيره، بما فى ذلك إحتمال عودته للتجسد، ولو كمجرد افتراض علمى لا ينبغى قبوله ولا رفضه مسبقًا ما لم تعززه الوقائع الثابتة ويبرره تحليلها تحليلًا صحيحًا.

لقد أشارت الشعوب القديمة المختلفة كما سبق أن ذكرت فى الفصل الأول

إلى ظاهرة التجسد على إنها عملية إنتقال الروح من جسد متوفى إلى جسد آخر حديث الولادة. وقالوا أن هذه الروح هى أذلية لا تموت ولا تتلاشى، بل تنتقل عبر الأجيال المتتالية من كائن لآخر. أما المرحلة الأخيرة التى تنتهى إليها هذه الروح بعد رحلتها الطويلة عبر الزمن، فيختلف تحديدها أو تعريفها عند الشعوب والديانات التى تعتقد بهذه الظاهرة.

وبما أننا نتناول هذه الظاهرة فى هذا الفصل بالإعتماد على الحقائق العلمية الملموسة، وليس التعاليم الفلسفية والدينية المختلفة، فسوف نتعرف عليها من خلال الدراسات العلمية الحديثة بالإضافة إلى مظاهرها المختلفة التى قامت المراجع العصرية بتوثيقها. بداية، سوف نعتمد على مظهرين مختلفين يشيران إلى هذه الحقيقة: الذاكرة الإسترجاعية التى يتم إستنباضها بواسطة التنويم المغناطيسى، والذاكرة العفوية التى تظهر بشكل تلقائى عند الشخص فى مراحل حياته الأولى.

الذاكرة الإسترجاعية

تتجسد الذاكرة الإسترجاعية اثناء النوم المغناطيسى، يطلب فيها من النائم مغناطيسيًا أن يعود إلى مراحل زمنية تسبق مرحلة طفولته، إلى زمن ما قبل الولادة! وقد سبق لى شرح طريقة العلاج بالتنويم المغناطيسى والعلاج الإيحائى فى الفصل السادس من كتابى المعنون: «الطاقة الحيوية والشفاء الذاتى». إنه يحدث فى أحيان كثيرة أن يبدأ المنوم مغناطيسيًا بالحديث عن حياة مختلفة سبقت حياته الحالية! ويروى طريقة موته وكيف فارق حياته السابقة!

الأسباب التى تدفعنا إلى إعتبار هذه العملية بمثابة دليل موثوق

ساعدت عملية التنويم المغناطيسى الأطباء النفسيين على علاج أمراض نفسية كثيرة عن طريق العودة إلى مرحلة قبل الولادة وتحديد الأسباب التى أدت إلى هذا المرض. (انظر كتاب المؤلف الطاقة الحيوية والشفاء الذاتى).

فى بعض الحالات، يقوم الشخص الذى يظهر ذاكرة إسترجاعية بتكلم لغات غريبة عنه وعن البيئة التى عاش فيها ولم يتعلمها فى حياته.

فى حالات كثيرة، يقوم الشخص بتذكر تفاصيل دقيقة عن حياة سابقة أدهشت الباحثين بعد أن تحققوا من مدى صحتها على أرض الواقع. (أبحاث د. أيان ستيفينسون التى ذكرتها فى الفصل السابق).

فى الخمسينات من القرن الماضى، لاقت ظاهرة الذاكرة الإسترجاعية القبول بين جهات علمية كثيرة، لإنها أثبتت واقعيتها ودورها فى مساعدة المرضى على الشفاء من الحالات النفسية المختلفة. وقد أثبت هذه الحقيقة أطباء معروفين بأنهم كانوا متشككين فى البداية لكنهم إعترفوا بها فيما بعد.

آراء الأطباء والعلماء فى المرحلة الحديثة عن التجسد

كتب الدكتور «إلكسندر كانون»، الذى كان من المتشككين فى البداية ثم بدل رأيه فيما بعد قائلًا: «لمدة سنوات طويلة، كانت نظرية التقمص والتجسد تعتبر كابوسًا بالنسبة إلى، وعملت جاهدًا من أجل دحضها وتكذيبها، لكن بعد مرور السنين، وبعد التحقيق فى الآف القضايا والحالات المختلفة، من ديانات مختلفة، وشعوب مختلفة، وجب على الإعتراف بأن ظاهرة التقمص موجودة»...

تم الإعتراف بهذه الظاهرة من قبل الكثير من علماء النفس حول العالم، بعد إكتشاف مدى واقعيتها. الطبيب النفسى «جيرالد ادلستاين» مثلًا، وهو علمانى متشكك، ويقول: «تعمل هذه الحالات (العودة بالذاكرة إلى حياة سابقة)، ولأسباب نجهلها على تسريع عملية الشفاء عند المرضى النفسيين»...

الطبيب النفسى الشهير، الدكتور «أديث فايور» يقول: «إذا إزالة حالة الخوف المرضى (الفوبيا) نهائيًا من المريض، عن طريق العودة بذاكرته إلى حياة سابقة، هذا يعنى أن الأحداث المسببة لهذا المرض النفسى قد حدثت فعلًا فى حياة سابقة!»..

الطبيب النفسى «جيرالد نثرتون»، المعروف بتعصبه العلمانى الشديد، قام بإستخدام طريقة الذاكرة الإسترجاعية لعلاج ٨٠٠٠ مريض نفسى. وكان متشكك جدًا فى البداية، لكنه الآن مقتنع تمامًا بهذه الظاهرة نتيجة تجاربه العديدة. وهناك بين مرضاه النفسيين الكثير من المتشككين (رجال دين وفيزيائيين علمانيين)، لكن هذا لم يمنع هذه الوسيلة من النجاح اثناء تطبيقها عليهم. يقول الدكتور «جيرالد»: «يغادر عيادتى الكثير من المرضى وهم مقتنعون بأن هذه الذاكرة الإسترجاعية هى ليست سوى مجموع تجاربهم المتراكمة من حياتهم الحالية وليس لها علاقة بحياة سابقة. لكن ما هو الجواب المنطقى لسبب شفائهم؟ الجواب أن التقمص والتجسد موجود فعلًا!!».

الطبيب النفسى البريطانى الدكتور «ارثر جيردهام»، يعترف بأنه كان فى البداية علمانيًا متطرفًا ومن أشد المتشككين بهذه الظاهرة، لكن بعد خبرته الطويلة فى مجال الذاكرة الإسترجاعية (مدة ٤٤ عام)، صرح بمايلى: «إذا لم اعتقد بظاهرة التقمص بعد كل الإثباتات التى تعاملت معها طوال هذه الفترة، سوف أعتبر نفسى مختل عقليًا!».

قامت الطبيبة المتشككة «هيلين وامباش» بدراسة موسعة فى عام ١٩٧٥م، فى سبيل التحقق من مدى مصداقية هذه الظاهرة، وبعد دراسة أكثر من ١٠٠٠ حالة مختلفة، خرجت بدلائل مدهشة تثبت حقيقة وجودها. وعلقت على هذا الإستنتاج قائلة: «انا لا اعتقد بظاهرة التقمص، لكننى واثقة بأنها موجودة مئة بالمئة!».

قد يندهش البعض عندما يعلم أن الأطباء النفسيين فى الاتحاد السوفيتى السابق كانوا يعالجون المرضى بالإستعانة بطريقة الذاكرة الإسترجاعية!. وأشهرهم هى الطبيبة الروسية «فارفارا إيفانوفا»، التى تتمتع بإحترام كبير فى الوسط الأكاديمى، وتعتبر أشهر المعالجين النفسيين الذين إستخدموا هذه الوسيلة فى روسيا.

أبحاث بيتر رامستر

أهم الأبحاث التى تم بحثها حول هذا الموضوع هى تلك الأبحاث التى أجراها الطبيب الباحث النفسى الأسترالى «بيتر رامستر» الذى قام بإنتاج أفلام وثائقية تظهر تفاصيل هذه الظاهرة، بالإضافة إلى كتابه الشهير الذى يحمل العنوان: (البحث عن أجيال سابقة ١٩٩٠م).

أشهر الأفلام الوثائقية التى أنتجها كان عبارة عن برنامج وثائقى تليفزيونى ظهر فى العام ١٩٨٣م، يتمحور حول أربعة سيدات استراليات متشككات. ولم يخرجن من الحدود الأسترالية أبدًا، لكن كل واحدة منهن عادت بذاكرتها إلى حياة سابقة، تحت تأثير التنويم المغناطيسى، وأعطت تفاصيل كثيرة عن تلك الحياة، ومن ثم تم نقل كل سيدة إلى المكان الذى أدعت بأنها عاشت فيه خلال فترة حياتها السابقة. ورافق السيدات فى هذه الجولة إلى انحاء متفرقة من العالم، فريق من المصورين، ولجنة شهود مؤلفة من شخصيات محترمة.

إحدى السيدات المذكورات هى «جوين مكدونالد»، كانت متشككة لدرجة التعصب قبل إخضاعها لوسيلة الذاكرة الإسترجاعية، وعادت إلى ذاكرتها تفاصيل دقيقة عن حياة ماضية عاشتها فى مقاطعة «سومرست» فى بريطانيا بين عامى ١٧٦٥ ـ ١٧٨٢م. وقد تم التحقق من جميع إدعاءاتها حول حياتها السابقة فى «سومرسيت» من الصعب الحصول عليها عن طريق الرجوع إلى كتاب أو مرجع تاريخى يخص تلك المنطقة. نذكر منها:

عندما أخذت إلى المنطقة التى حددتها فى مقاطعة سومرسيت البريطانية (ضاحية مدينة جلاست نبورى)، استطاعت وهى معصوبة العينين التجول فى المكان وكأنه مألوف لها. ومع العلم أن هذه السيدة لم تغادر أستراليا أبدًا.

ساعدت الفريق المرافق لها على إيجاد طرق مختصرة أقصر من تلك المرسومة على الخريطة التى كانوا يستعينون بها للتجول فى المكان.

تعرفت على موقع شلال مياه موجود فى المنطقة، وأشارت إلى مكان محدد فى مجرى الوادى حيث وجب أن يكون هناك صف من الحجارة يساعد الناس على إجتياز الوادى من جانب لآخر. وقد أيد المحليون هذا الكلام وقالوا أن هذه الحجارة قد أزيلت منذ حوالى أربعين عام!!

أشارت إلى نقطة تقاطع معينة وأدعت بأنه كان هناك خمسة منازل، وتم إثبات كلامها بعد الإستعلام من الأهالى. وقالوا أن البيوت قد دمرت قبل ثلاثين عام. وتم أيضًا إثبات صحة قولها بإن إحدى هذه المنازل كان مخزن للفاكهة.

عددت أسماء القرى المجاورة مستخدمة الأسماء التى عرفت قبل ٢٠٠ عام! مع أن هذه القرى لم تظهر على أى خريطة رسمية تمثل المنطقة، ومنها ما ظهر بأسماء مختلفة. لكن الأهالى أيدوا كلامها بأن القرى قد حملت تلك الأسماء فى إحدى الفترات التاريخية.

الأشخاص الذين إدعت بأنها كانت تعرفهم فى تلك الفترة، تم التأكيد على وجودهم من خلال العودة إلى السجلات الرسمية القديمة الخاصة بالمنطقة.

إستخدمت كلمات ومصطلحات وعبارات قديمة لم تعد تستخدم فى هذه الأيام وليست موجودة حتى فى المعاجم، لكن تم التأكد من صحتها عن طريق الأهالى.

قامت بتحديد موقع قديم لهرمين كانوا موجودان سابقًا فى مدينة «جلاستونبورى»، وإستبدلًا بكنيسة تم تشييدها بنفس الموقع.

عندما كانت فى استراليا قامت برسم المنزل الذى عاشت فيه خلال حياتها السابقة فى «سومرسيت» بإنجلترا ـ وقد ذكرت بأنه يبعد ٢٠ قدم من الوادى، وموجود فى وسط صف من خمسة منازل، يبعد نصف ميل عن الكنيسة. وبعد التحقق من هذا الكلام تبين صحة ما قالته. أما تفاصيل المنزل من الداخل، فكانت مطابقة للرسومات التى رسمتها اثناء وجودها فى استراليا.

قامت بوصف «نزل» موجود فى الطريق المؤدى إلى منزلها وقد وجدوه فى المكان الموصوف.

تمكنت من إرشاد الفريق المرافق إلى موقع ذلك المنزل الذى تبين أنه قد تحول إلى حظيرة دجاج. ولم يكن أحد يعلم ماذا كان تحت أرضية ذلك المنزل، لكن بعد تنظيف تلك الأرضية وجدوا الحجر المنقوش الذى رسمته اثناء وجودها فى استراليا.

اثناء وجودها فى مدينة «جلاستونبورى» مع الفريق المرافق، راح المحليون يسألونها اسئلة تعجيزية كثيرة عن أحداث تاريخية حصلت فى المدينة خلال فترة حياتها السابقة، لكنها أجابت عليها جميعًا دون أى خطأ فى سرد الوقائع.

كانت «سينثيا هاندرسون» من بين النساء اللواتى خضعن لدراسة «بيتر رامستر»، وإسترجعت إلى ذاكرتها حياة سابقة تعود إلى فترة الثورة الفرنسية. وأثناء نومها المغناطيسى تمكنت من إظهار مايلى:

تكلمت باللغة الفرنسية بطلاقة.

فهمت جميع الأسئلة التى وجهت إليها باللغة الفرنسية وأجابت عليها بالفرنسية.

قامت بإستخدام اللهجة الفرنسية المحلية التى كانت سائدة فى تلك الفترة.

عددت أسماء شوارع وأماكن عامة مختلفة، مع أن تلك الأسماء قد تغيرت وليس لها وجود سوى على الخرائط الفرنسية القديمة.

فى حوزة الدكتور «بيتر رامستر» الكثير من الحالات الموثقة الأخرى وجميعها مثبتة ومصدقة بطرق وأساليب يستحيل تزويرها والتلاعب بتفاصيلها.

عودة الذاكرة بشكل عفوى

نالت القضية التى سميت بحالة السيدة «شانتى ديفى» والتى سبق أن ذكرتها

فى الفصل السابق فى ابحاث الدكتور «ستيفينسون» شهرة عالمية، وإعتبرت من إحدى الحالات المثيرة للدهشة. وسوف أعيد ملخصها هنا مرة أخرى نظرًا لأهميتها.

لقد حدثت فى الهند عام ١٩٣٠م، قبل قيام الدكتور ستيفينسون بأبحاثة بمدة طويلة. لكنه أعاد مراجعتها من خلال السجلات والمراجع الموثقة رسميًا. وصرح بعدها بأن الفتاة «شانتى ديفى» قد إدعت فعلًا بأربعة وعشرين لإفادة صحيحة بالإعتماد على ذاكرتها وكانت مطابقة تمامًا للواقع.

ففى العام ١٩٣٠م، كانت شانتى ديفى فى سن الرابعة من عمرها عندما بدأت تتذكر تفاصيل محددة عن أنواع من الثياب، والأطعمة والأشخاص والأماكن، مما أثار فضول والديها. وبإختصار، قامت الفتاة بذكر التفاصيل التالية التى تم التحقق منها فيما بعد وتم إثبات صدق ما قالته تمامًا:

عرفت عن نفسها بأنها «لودجى»، أمرأة عاشت فى «موترا» التى تبعد عن مكانها الحالى بحوالى ١٢٨ كم.

تكلمت باللغة المحلية التابعة لتلك المنطقة دون أن تتعلمها فى حياتها الحالية.

إدعت إنها أنجبت ولدًا ومات بعد عشرة أيام من ولادته (وقد ثبت أن هذا حدث فعلًا مع لودجى).

عندما تم أخذها إلى موترا، تعرفت على زوجها فى حياتها السابقة وكان يدعى «كيدارناث»، وتكلمت عن أشياء كثيرة فعلوها سويًا دون معرفة أحد بها.

تمكنت من التعرف على نقاط وأماكن عديدة حول مكان إقامتها السابق. وقد إهتدت إلى منزلها السابق بنفسها دون إرشاد من أحد.

تمكنت من التحديد بدقة، كيف كان وضع الأثاث المنزلى أثناء وجودها فى حياتها السابقة.

تمكنت من تحديد مكان ١٥٠ روبية (العملة الهندية) فى إحدى زوايا المنزل. وكانت تحتفظ بهذا المال من أجل الأيام العسيرة.

تمكنت من التعرف على والديها السابقين من بين جمهور غفير.

أحدثت هذه القضية ضجة كبيرة فى حينها مما دفع الحكومة الهندية إلى تشكيل لجنة مؤلفة من رجال بارزين، كان من بينهم سياسى بارز، محامى، مدير دار نشر، فى سبيل التحقيق بتفاصيل هذه الرواية المدهشة. وخرجت اللجنة مقتنعة تمامًا حيث تأكدوا من أن «شانتى ديفى» قد تمكنت من معرفة أشياء وتفاصيل كثيرة لا يمكن الحصول عليها عن طريق الخداع أو وسيلة ملتوية أخرى. وجميعهم أجمعوا على أن الوقائع بمجملها تشير إلى حقيقة واضحة، وهى ظاهرة التجسد.

لقد نالت هذه القضية بالذات شهرة عالمية وجذبت إنتباه الكثير من علماء الإجتماع والكتاب مثل: الكاتب السويدى «ستور لونر ستراند»، الذى سافر فى الخمسينات إلى الهند وقابل «شانتى ديفى» من أجل البحث فى هذه الظاهرة بنفسه وخرج بإستنتاج فحواه أن «شانتى» قد تقمصت فعلًا، وإستبعد أى تفسير آخر تعتمد عليه هذه القضية. (إن ظاهرة التقمص مألوفة فى الهند ومعروفة بين شعوبها المختلفة، لكن هذه القضية بالذات نالت إهتمام الصحافة والإعلام مما جعلها قضية عالمية ذات أهمية كبيرة).

قضية الدكتور «أرثر جيردهام» والسيدة «سميث»

قضية أخرى من إنجلترا أقنعت الكثير من الخبراء، بما فيهم الدكتور «أرثر جيردهام»، تتمحور حول ربة منزل عادية كانت تعانى من كوابيس وأحلام

مزعجة أثناء نومها. فكانت ترى نفسها وهى تتعرض للحرق بالنار الملتهبة فى ساحة عامة أمام الناس. وقد أعطت هذه السيدة الدكتور «جيردهام» نسخ عن بعض الرسومات ومقاطع أغنيات كانت قد كتبتها فى طفولتها بشكل تلقائى دون تحضير مسبق! وقام أخصائيون باللغة الفرنسية القديمة بالتعرف على كلمات تلك الأغنيات وإستنتجوا بأنها تنتمى إلى لغة كانت سائدة فى جنوب فرنسا بين القرنين الثانى عشر والثالث عشر للميلاد.

وقد اذهلت خبراء التاريخ بمعرفتها الدقيقة لحياة شعب «الكاثار» (شعب يتبع مذهب مسيحى تم إبادته تمامًا على يد الكنيسة فى روما، وكانوا يعيشون فى جنوب فرنسا). وتلفظت بأغانى تحتوى على كلمات لا يعرفها أى مؤرخ. وتم الإستعلام عنها فقط عن طريق العودة إلى مراجع قديمة جدًا. وكانت تعلم بحقائق تاريخية مفصلة لا يعلم بها أحد فى عصرنا. وتم التحقق منها بعد بذل جهد كبير فى البحث والمتابعة، فوجدوا إنها صدقت فى وصف التالى:

رسوماتها كانت مطابقة للعملات النقدية الفرنسية القديمة، بالإضافة إلى الثياب والحلى وتصميم المبانى والمنازل فى تلك الفترة.

تفاصيل دقيقة عن طريقة الحياة الإجتماعية السائدة فى حينها، وطريقة تعامل الأهالى مع بعضهم البعض (هذه التفاصيل لم تظهر فى كتب تاريخية خاصة بهذا الشعب المغضوب عليه كنسيًا، حيث إن المراجع التاريخية لم تصنفهم أبدًا. فإضطر الخبراء للعودة إلى المراجع الكنسية التى سادت فى حينها، أى المراجع المزورة والمحرفة والتى وصفت هذا الشعب على أنه من أتباع الشيطان وإناسه هم كفرة مهرطقين. لكن الخبراء عملوا على إستخراج المعلومات عن حياة ذلك الشعب وطريقة عيشه من بين سطور تلك النصوص المحرفة).

صدقت فى وصف الطريقة الوحشية التى كان يعامل بها السجناء الدينيين، وكيف كانوا يسجنون فوق بعضهم البعض فى الأقبية التابعة للكنائس.

صدقت فى وصف الملابس التى كانت سائدة بين شعب الكاثار بالإضافة إلى طقوسهم وشعائرهم المختلفة.

تأثر البروفيسور البريطانى الشهير «نيلى» (وهو عالم بريطانى ذو سلطة علمية واسعة فى الأوساط العلمية العالمية) بهذه القضية، ونصح بأنه عندما يحدث تناقض بين المراجع التاريخية وكلام أصحاب الذاكرة الإسترجاعية، وجب تصديق الفريق الأخير، لأنه يبدو كما قال أنهم أصدق من المراجع التاريخية المزورة.. قام الدكتور «جيردهام» بإكتشاف عدة أشخاص عادت ذاكرتهم إلى تلك الفترة الزمنية (بين القرن الثانى والثالث عشر الميلادى)، وقد وثق أقوالهم فى كتاب عنوانه: (التقمص وشعب الكاثار). هذا الشعب المسيحى الذى تم إبادته بالكامل على يد الكنيسة فى القرن الثالث عشر.

تحول الدكتور «جيردهام» من موقع المتشكك إلى موقع المؤمن بظاهرة التقمص، وتعرضت سمعته الأكاديمية للخطر، خاصة بعد قيامه بإلقاء العديد من المحاضرات بين زملائه فى المجتمع الطبى البريطانى، والتى تتناول موضوع «التقمص وممارسة الطب العلاجى».

الدكتور «إيان ستيفينسون» وأبحاثه

لقد سبق أن ذكرت ملخصًا عن الدكتور إيان ستيفينسون وأبحاثه فى الفصل السابق كمثل فريد لحالات التجسد والأبحاث التى أجريت بصددها وذلك نظرًا لدقتها ووضوحها وأدلتها العلمية القوية. وسوف أقوم هنا بالإسترسال بتفاصيل علمية أكثر عن هذا الباحث والعالم الفذ فى مجال التجسد، وذلك لأن الدراسات والبحوث العلمية التى قام بها الدكتور «إيان ستيفينسون»، البروفيسور فى علم النفس بجامعة فيرجينيا الطبية، حول موضوع التجسد والتقمص، كانت الأكثر روعة ووقعًا على النفوس خاصة أنه إعتمد على ظاهرة الإسترجاع العفوى للذاكرة.

فقد أمضى كما سبق أن عرضت سنوات عديدة فى البحث، مستخدمًا أساليب علمية بحتة فى التحقيق مع أكثر من أربعة الآف طفل فى الولايات المتحدة، بريطانيا، تايلاند، بورما، تركيا، لبنان، كندا، الهند، ومناطق أخرى من

العالم. وقد قام بالتحقيق والبحث فى إدعاءات هؤلاء الأطفال عن طريق دراسة وتحليل رسائل وسجلات طبية تشريحية وشهادات ولادة وشهادات وفاة وسجلات مستشفيات وصور فوتوغرافية ومقالات صحفية وغيرها من مراجع ووثائق يمكن العودة إليها خلال دراسة الحالات الخاضعة للبحث.

كانت العودة إلى التقارير الطبية مهمة لدراسته، خاصة إذا إدعى أحد الأطفال بأنه قد تعرض للقتل فى حياته السابقة. ولاحظ ستيفينسون ظهور وحمات أو وشمات فى جسم بعض الأطفال الذين تعرضوا فى حياتهم السابقة للقتل العنيف. ويتصادف دائمًا وجود هذه العلامات على أجسامهم فى نفس مكان غرس السكين أو الرصاصة أو غيرها من مسببات القتل.

إحدى الأمثلة المستخلصة من دراسات الدكتور ستيفينسون حول الوشمات الجسدية. تجلت قضية الطفل «رافى شنكار» الذى تذكر كيف قطع رأسه عندما كان ولدًا صغيرًا على يد أحد أقربائه الذى كان يأمل بوراثة ثروة أبيه. وقد ولد «رافى» فى حياته الحالية مع وجود علامة فارقة تحيط برقبته. وبعد التحقق من صدق الرواية، تبين أن الفتى كان صادقًا فى كل ما إدعاه. فقد تم قتل أحد الأطفال فعلًا بهذه الطريقة، بنفس المنطقة والعائلة التى أشار إليها «رافى».

قضية أخرى تتناول ظاهرة الوشم على الجسد، تتمحور حول فتى من تركيا، تذكر بأنه كان فى حياته السابقة لصًا، وكان محاصرًا دائمًا من قبل رجال الشرطة عندما أقدم على الإنتحار، كى يتجنب الوقوع فى أيدى السلطات. فوضع فوهة البندقية تحت ذقنه من جهة اليمين وضغط على الزناد. وتبين أن الفتى الذى ولد فيما بعد لديه علامة فارقة تحت ذقنه فى نفس الجهة اليمنى! وتبين أيضًا وجود علامة أخرى على رأسه (مكان خروج الرصاصة).

قضية «مارتا لورينز»

إحدى القضايا المثيرة التى بحثها الدكتور «ستيفينسون» كانت تخص فتاة من البرازيل تدعى «مارتا لورينز»، التى عندما كانت فى سنها الأولى من عمرها،

تمكنت من التعرف على أحد أصدقاء والديها، وأشارت إليه بعبارة «هاللو بابا» أى «مرحبًا والدى»! وعندما أصبحت فى سن الثانية من عمرها، راحت تتكلم عن تفاصيل كثيرة تتعلق بحياتها السابقة، والتى صادف بأنها كانت خلالها صديقة حميمة لوالدتها الحالية، وابنتة الرجل الذى هو صديق والديها الحاليين (الذى نادته بابا). والكثير من التفاصيل التى تحدثت عنها لم تكن معروفة من قبل والدتها الحالية، وإضطروا إلى التحقق من مدى صدق ما تقوله بالإستعانة بأشخاص آخرين يعرفون الفتاة فى حياتها السابقة، وقد وجدوا أن كل ما إدعته صحيحًا. وقد إستطاعت هذه الفتاة أن تتذكر ١٢٠ حقيقة أو حادثة أو موقف حدث لها فى حياتها السابقة. وقد كان إسمها فى حياتها السابقة «ماريا دى أوليفيرا» صديقة والدتها الحالية. هذه الصديقة قالت لوالدة الفتاة اثناء موتها على سرير المرض بأنها سوف تخلق عندها وتصبح ابنتها!

قضية عماد الأعور

ذهب دكتور «ستيفينسون» إلى لبنان، وتحديدًا إلى إحدى القرى الدرزية، وكانت زيارته فجائية وغير معلنة حتى يتفادى عملية التحضير المسبق لرواية خيالية أو غيرها من أساليب تعمل على طمس الحقيقة. فلهذا السبب، قرر أن يزور إحدى تلك القرى بشكل عشوائى دون تحديد مسبق لأى ميعاد أو مكان معين. بعد أن وصل إلى إحدى القرى طلب من الأهالى أن يرشدوه إلى أحد المنازل الذى تجسد فيه ظاهرة التقمص مؤخرًا. فدلوه إلى بيت الفتى الذى يبلغ من العمر خمس سنوات وكان اسمه «عماد الأعور».

بدأ هذا الفتى بالحديث عن حياته السابقة منذ أن كان فى السنة الأولى من عمره. وكان يشير دائمًا فى كلامه إلى قرية أخرى تبعد ٢٥ ميل عن قريته. فى السنة الأولى من عمره، كان يتلفظ بأسماء مثل «جميلة» و«محمود»، وغيرها من أسماء. وفى السنة الثانية من عمره، قام بالتعرض لأحد المارين فى الشارع وتعرف عليه بأنه أحد جيرانه فى الحياة السابقة. وبعد أن قابله د/ ستيفينسون، أخذه إلى تلك القرية التى كان يذكرها دائمًا فى كلامه، فتعرف على المنزل الذى

كان يعيش فيه، وتمكن من التعرف على عمه وكان اسمه «محمود» من خلال الإشارة إليه فى الصور الفوتوغرافية، وكذلك زوجته «جميلة»، بالإضافة إلى أشخاص كثيرين عرفهم فى حياته السابقة. وقد تعرف أيضًا على المكان الذى خبأ فيه بندقيته، وهذا كان سرًا لا يعرفه أحد سوى والدته. وتذكر كيف كان موضع السرير أثناء مرضه الأخير قبل وفاته.

وقد قام بالتعرف على أحد الغرباء فى الشارع، وبعد فترة من الحديث معه، تبين أنه كان زميله فى الخدمة العسكرية، وراحا يتذكران معًا بعض الأحداث التى حدثت لهم اثناء تأديتهم للخدمة العسكرية معًا.

وقد خرج الدكتور ستيفينسون بعد دراسة هذه الحالة بوجود ٥٧ إدعاء من قبل الطفل، وتم التحقق من ٥١ إدعاء بشكل صحيح، أما الإدعائيين الباقيين، يبدو أن الشهود كانوا غائبين مما جعل الدكتور ستيفينسون ينحيها جانبًا. وقد تعرض الدكتور ستيفينسون لإنتقادات شديدة من جهات علمية مختلفة بسبب أبحاثه التى تناولت هذا الموضوع. وأصبحت سمعته الأكاديمية والإجتماعية على المحك، خاصة عندما بدأ بنشر مقاطع من أبحاثه فى مقالات تابعة لمجلات علمية مختلفة مثل: مجلة الأمراض النفسية والعصبية (١٩٧٧م)، والمجلة العلمية الأمريكية للعلاج النفسى (١٩٧٩م)، وألف عدة كتب ومجلدات حول هذا الموضوع. وكلما نشر إحدى هذه المؤلفات زادت التفاصيل وزادت قوة الحجج والبراهين، وأصبحت الحقيقة تتضح أكثر بعد كل عمل جديد ينشره.

العودة للتجسد بين الباراسيكولوجى والسيكوترونات

إن البحث الحديث فى الخلود فى الظواهر الروحية بأساليب وضعية هو الذى يرجع إليه الفضل الأول فى تجميع الوقائع والأحداث والقضايا السابق بحثها من العلماء والباحثين الذين سبق أن ذكرتهم، وبالتالى فى توسيع رقعة البحث، مع إخضاعها فى النهاية للتحليل المنطقى الموضوعى. ولذا إزدهرت تحقيقات العودة للتجسد حسب الدراسة التى قام بها الباحث دكتور رؤوف

عبيد فى كتابه عن التجسد، والتى أظهرت الإزدهار العلمى للأبحاث الخاصة بالتجسد مؤخرًا عن طريق البحث فى الظواهر غير المألوفة وذلك بالنظر إلى الصلة الوثيقة بين هذه الظواهر وبين محاولة القاء اضواء لها قيمتها على التكوين الحقيقى للإنسان وبالتالى على قدره ومصيره، بما فى ذلك إحتمال عودته للتجسد، ولو كمجرد إفتراض علمى لا ينبغى قبوله ولا رفضه مسبقًا ما لم تعززه الوقائع الثابتة ويبرره تحليلها تحليلًا صحيحًا.

وإستعراضًا للتطور العلمى فى مجال البحث الروحى، فقد تطور هذا البحث من نطاق «الباراسيكولوجى» ـ الذى هو مجرد إمتداد وتعميق للبحوث النفسية الخالصة ـ بنقلها إلى إطار آخر جديد هو نطاق البحث فى الظواهر غير المألوفة. ثم تطور إلى نطاق آخر أحدث منه وهو تعميق هذه البحوث الجديدة وربطها ـ على أوسع مدى ممكن ـ بحقائق الفيزياء والرياضة الحديثة. وهذا النطاق الأخير هو موضوع «السيكوترونات» أى علم النشاط النووى الروحى، والذى يلقى إهتمامًا متزايدًا فى روسيا، وفى بعض دول أوروبا الشرقية بوجه عام، حيث توجد الآن فى روسيا أكثر من ثلاثة عشر جامعة معنية ببحوث الظواهر غير المألوفة تقابلها أكثر من مائتى جامعة فى دول الغرب نظمت بالفعل مناهج حديثة وبرامج علمية للدراسات الوضعية للبحث فى هذه الظواهر نفسها، رغم ما تقتضيه هذه الدراسات من نفقات باهظة ومشقه بالغة.

لكن لا ريب فى أن أبحاث «العودة للتجسد» كما يذكر الباحث السابق، تعد أقرب إلى موضوع «البارسيكولوجى» أو «ما وراء الروح» منها إلى موضوع السيكوترونات. ولقد نجحت هذه البحوث الوضعية فى ظواهر «العودة للتجسد» فى تقديم العديد من الأدلة والشواهد القوية إلى الدوائر العلمية. إلا أن نجاحها الأقوى كان وما يزال فى تحليل هذه الظواهر، وتأصيلها العلمى خصوصًا عند معالجتها من ناحية صلتها بأنوار الذاكرة الإنسانية، وإرتباطها بشتى مناحى الشعور واللاشعور التى تعد الأصل فى تحليل كل ما يتصل بالتكوين الروحى للإنسان.

الأبحاث العلمية الخاصة بدراسة الصلة بين العودة للتجسد وظواهر التجسدات

إن ظاهرة تجسد الأرواح هى أخطر الظواهر الفيزيقية وأندرها والتى حاول العلم الحديث دراستها بإستفاضة. فقد حققها علماء كبار فى دول عديدة، وتحققوا منها بإخضاع الروح المتجسدة مؤقتًا لفحوص طبية دقيقة، وبتصوير الروح المتجسدة فى أوضاع تنتفى فيها إحتمالات الوهم أو الخداع، أو الإيحاء الفردى أو الجماعى. وكان ذلك فى عدة بلاد منها إنجلترا، وفرنسا، والدانمارك، وأمريكا، وإيطاليا، وكندا، والبرازيل وغيرهما.

لقد اشارت هذه الأبحاث والتى تم إثباتها بصور فوتوغرافية بكاميرات خاصة، وتم توثيقها بطريقة علمية (سوف أعرض بعضًا من هذه الصور فى ملحق الصور فى نهاية الكتاب)، إلى مدى إحتفاظ الإنسان بملامحه الخارجية حتى بعد ما يغادر عالم المادة إلى عالم ما وراء المادة. وكأن ملامح الإنسان محفورة فى ذاكرته، أو بالأدق هى راسخة فى وعيه أو شعوره الخاص، لا تريد أن تترك الذاكرة والوعى كالعديد من المواهب والملكات أو الذكريات.

وهى لا تترك الذاكرة حتى بعد العودة للتجسد (لإن لها جذورها الثابتة فى وعى صاحبها) كما يتضح من الصور التى سوف يتم عرضها لاحقًا. وإن كان ثمة تغير فى هذه الملامح فهو تغيير محدود المدى كأنه يريد على أية حال أن يحافظ على ملامحة من الضياع فى غمرة التجسد أو العودة للتجسد فى جسد آخر جديد. ولقد أشرف البروفيسور وليام ماكدوجال W.Mc Dougall على بعض تجارب تطور تجسد الروح وهو من أبرز علماء الطب النفسى فى القرن السابق. وكانت مشاهداته سببًا فى إنشاء قسم خاص للباراسيكولوجى بجامعة ديوك Duke بالولايات المتحدة الأمريكية وهذه التجارب العلمية الهامة حسمت فى نظر لفيف من كبار العلماء المتخصصين مشكلة دوام الحياة بعد موت الجسد العضوى. كما حسمتها أيضًا إختبارات صنع نماذج من الشمع المجوف لتجسدات الأيدى والأقدام لبعض الأرواح.

النتائج الهامة التى توصل إليها الباحثون فى مجال التجسد

لقد إستنتج العلماء بعد إجراء الآلآف من الأبحاث العلمية الدقيقة عن هذه الظاهرة أن ظواهر التجسد تحدث فى كل مكان، لكنها تتكرر بوجه خاص فى البيئات التى تؤمن بعقيدة العودة للتجسد حيث تكون الأذهان متنبهة إليها، وبالتالى مدفوعة إلى ملاحظتها، وإلى تتبع على نحو أو آخر. وهذه الأحداث الهامة تساهم فى الكشف عن طبيعة الإنسان، وعن طبيعة صلته بالكون العظيم الذى يعيش فيه. وهى لم تكن تحظى بأية عناية أو إهتمام من علم النفس القديم لكنها فى العلوم الروحانية الحديثة تحظى بكل الإهتمام والبحث من زاوية تحليلها العلمى الصحيح.

إن الأستمرار والمثابرة فى التتبع العلمى ودراسة الروح سوف يلقى الكثير من الأضواء على بعض ألغاز الروح الإنسانية، التى لاتزال غامضة على بنى الإنسان فى كل مكان وزمان، كما سوف يكشف عن أبعاد جديدة من العمق والتركيب لم تكن تخطر على بال أى عالم أو باحث فى هذا المجال. وسوف أورد الأن نتائج مذهلة توصل إليها كبار الباحثين فى مجال الدراسات الروحية والتجسد:

نتائج أبحاث «كارل موللر Karl Muller»

كارل موللر (١٨٩٣م-١٩٦٨م) هو عالم سويسرى معروف بذل جهدًا كبيرًا فى دراسة الجوانب المختلفة للروح وبذل جهدًا كبيرًا فى تجميع المئات من وقائع هذا الموضوع، وفى تحليلها للخروج منها بدلالتها المنطقية. لقد أفادته خبرته فى مواصلة تحقيقاته وأبحاثه عن الروح فى زيورخ حتى توصل إلى تسجيل ظواهر التجسدات بكاميرا تعمل بالأشعة تحت الحمراء، وقد واصل هذه الأبحاث منذ بدأ نشاطة عام ١٩٦٣م حتى وفاته عام ١٩٦٨م. وقد أسس موللر جمعية للبحث الروحى فى زيوريخ وكان رئيسًا لها، كما أصبح فيما بعد رئيسًا «للأتحاد الدولى للروحيين International Spiritualist Federation» وكان موللر مقتنعًا بصحة العودة للتجسد.

يقول موللر أنه خلال تحقيقات متواصلة لمدة ثمانى سنوات جمع فيها أكثر من سبعمائة حالة قد اقتنع تمامًا بأن دعوى العودة للتجسد قد ثبتت نهائيًا، كما ثبتت دعوى دوام الحياة للروح بعد الموت. أو كما قال حرفيًا: «إذا تقبلت إحداهما ستتقبل الأخرى». كما يرى أن يكون من المفارقات أن يتقبل العلم العودة للتجسد قبل أن يتقبل الحياة بعد الموت (Reincarnation based on facts 1970) والحالات التى عنى موللر بتجميعها عن العودة للتجسد كلها من نوع حالات التذكر الواعى أى حالات «رؤى من قبل»، و«سمع من قبل» مثل التى ذكرها من قبل فى تحقيقات دكتور إيان ستيفينسون، وغيره من أساتذة التحليل النفسى خصوصًا فى الولايات المتحدة الأمريكية وقد نشرها فى مؤلف قيم معروف عنوانه «العودة للتجسد مؤسسة على وقائع ـ ١٩٧٠م».

وتناول موللر هذه الحالات بالتحليل العلمى الذى يساعده فيه خبرة وافية وإلمام كاف بدراسة الظواهر الروحية المتنوعة بما فيها «التليباثى ـ التخاطر عن بعد» والتى إقتنع بصحتها، كما إقتنع بصحة سائر الظواهر العقلية. وقد قال فى ذلك: «إنه يبدو أن عدد الأشخاص ذوى المواهب الروحية يتجاوز كثيرًا عدد أولئك الذين يمكنهم أن يتذكروا بصورة واعية حياة سابقة لهم». ويمكن مبدئيًا تقدير عدد أصحاب المواهب الروحية بواحد من كل عشرين واحد (أى نسبة ٥ ٪) وبالمناسبة، يعتقد الدروز بجبل لبنان أنه فى كل عشرة الآف شخص يوجد شخص واحد يمكنه أن يحوز ذكرى واضحة عن حياة سابقة له. وحتى إذا قلنا أن هذه الأرقام مبالغ فيها، فإنها توضح أن الموهبة الروحية ـ وهى يمكن تنميتها بالتدريب ـ أكثر شيوعًا من حالات التذكر الواعى، بالإضافة إلى ذلك، فإن حدوث إنفعال ما أو إرتباط معين بحادثة خاصة قد يفتح الطريق إلى تذكر القديم.

فقد يرى هذا الشخص رؤية معينة تشير إلى ذكريات تنتمى إلى وجود سابق، بغير أن تحوز هذه الرؤي وضوحًا كافيًا، وبعض هذه الرؤى قد يكون رمزيًا، مما يؤدى إلى زيادة الصعوبة فى تكملة الصورة عن الماضى. وعندما تصل ذاكرة معينة إلى وضوح معين، فلا يتبقى من بعد شك فى العقل أن هذه المناظر التى تم تذكرها تمثل تجارب شخصية. ويطلق إيان ستيفينسون على هذه الظاهرة

وصف «التشخيص Personation». وبالإضافة إلى ذلك فإن إنفعالًا قويًا يصاحب عادة التذكر، وقد يدفع بعض الأطفال إلى المطالبة بالعودة إلى أبائهم الأقدمين، أو قد يدفع زوجة ما إلى المطالبة بالعودة إلى زوجها فى الحياة السابقة.

يقول «ديون فورتيون Dion Fortune» فى كتابه (الروح تدافع عن نفسها Psychic Self Defence) إن دخول المفاهيم الغيبية إلى العقل الواعى قد يميل إلى إيقاظ الذاكرة اللاشعورية عن إختبارات مماثلة فى حيوات سابقة. وإن الإنفعال الذى يحيط بتذكر معين قد يتحرك قبل أن تحدث الصورة الراهنة للحادثة القديمة. وهذه واحدة من أحسن الإختبارات عن صحة الذكريات المتعلقة بحيوات سابقة.

يقول موللر أن بعض الأحداث الروحية مرتبط بذاكرة عن مكان معين، قد تتحرك بلا سبب ظاهر عند زائر ما لهذا المكان. وسواء أكان (الظرف المميز للطقس) له صلة ما بتحرك «الذكرى» أم ليست له صلة ما بذلك إن بمقدورنا أن نتفهم هذه المسألة بوصفها نوعًا من التتبع للآثر الروحى فى المكان أو فى الزمان.

ويمكن أن نفترض أن هناك حالات تثير الشك فيما إذا كانت «الذكرى» ترجع إلى نفس المكان، أم إلى النفس الواقعة فى عمق ذاكرة صاحبها. وينبغى أن يواجه الموضوع بدرجات الإنفعال وبمدى وضوح الصورة، وتركيزها فى ذهن صاحبها. لقد ذكر الكثير من الباحثين فى هذا المجال أن هناك ثمة حالات لإسترجاع ذاكرة التجسد السابق حدثت بسبب إرتفاع درجة حرارة المريض فى أثناء الحمى، أو سبب التخدير الجراحى، أو بسبب الغيبوبة عقب حادث تصادم. وهى حالات على حدة إذ تتنبه فيها الذاكرة بغتة، ولكن بصورة مرضية.

إن سبب هذا التنبه المباغت هى فيما يبدو حدوث خروج جزئى من الجسد يسهل لصاحبة الإتصال بعقله الباطن وبالذكريات المختزنة فيه. ولا توجد حالات كثيرة من هذا النوع. لكنها لا تختلف كثيرًا عن حالات إسترجاع الذاكرة فى الظروف المختلفة الأخرى. ومنها حالات النطق بكلمات من لغة أجنبية عن الشخص متى ثبت أنه لم يكن واقعًا تحت هيمنة روحية تتميز عادة بغيبوبة لها أوضاع وشروط معينة.

إن بعض الحالات التى يطلق عليها حالات المس الروحى والإستحواذ قد يكون ذا صلة أيضًا بإسترجاع الذاكرة عن تجسد سابق، لأن الروح الماسة أو المستحوذة قد تكون ذات صلات عريقة بالإنسان ضحية المس والإستحواذ، بمعنى أن هذه الصلات قد يرجع العهد بها إلى تجسد سابق، لكنها لا تزال محفوظة فى ذاكرة صاحبها.

ويلاحظ موللر أيضًا أن تذكر حياة سابقة يحتمل أن يفترض نوعًا من الحساسية الروحية المرهفة أو الموهبة الروحية الخاصة. أنه ينبغى وجود قناة لربط بين الذاكرة وبين العقل الواعى سواء أكان هذا الأخير يقع فى جانب من البنيان الروحى للإنسان، أم فى موقع آخر مثل «الذاكرة الكونية».

نظرية وجود موطن الذاكرة بالجسد الأثيرى للروح

إن الكثير من الباحثين فى شئون الروح قد إتفقوا أن الذاكرة موطنها الأصلى هو الجسد الأثيرى وليس المخ البشرى. إن الجسد الأثيرى تبعًا لهؤلاء الباحثين مثل موللر وغيرهم لا يفنى بالموت كالمخ، بل يظل حاملًا وعى الإنسان الشامل الذى كان يعمل جانب منه فقط عن طريق المخ وهو الجانب الشعورى، والآخر كان يعمل عن غير طريق المخ وهو الجانب اللاشعورى، وهو يمثل الجانب الأخطر، والأعمق، والأوسع من الوعى.

لقد ذكرت هذه الدراسات أنه بعد الوفاة بوقت يتراوح فى مداه يحدث إندماج تدريجى للجانبين الشعورى واللاشعورى من الوعى، وبإندماجهما معًا يبدو الوعى السليم العادى أكثر إشراقًا، وإنطلاقًا، وصفاء، وذكاء. (انظر جزء تجارب العودة من الموت فى كتابى السابق ـ الروح، أسرار وحقائق ـ ٢٠١٤). وهذا هو الإتجاه السائد عن كبار الباحثين الروحيين وأوثقهم اتصالًا بالبحث فى صلة العقل بالمخ ومنهم «مايرز وبرود فى إنجلترا، وجيلى وأوستى فى فرنسا».

إن الإنسان العادى لا يتذكر أحداث حياته الماضية، لكنه يمكن أن يكون خاضعًا لتأثيرها بدرجات مختلفة وبأساليب متنوعة، بما فى ذلك الأمور التى قد يحبها أو

يكرهها، وربما لسبب غير ظاهر. يقول كارل موللر إنه يبدو أن قوة هذه التأثيرات تتوقف على الطاقة الإنفعالية التى لا تزال مرتبطة بجانب معين من التذكر.

وسواء كانت الإنفعالات المكبوتة تعتبر مسئولة، أم غيرها من صور الطاقة الروحية، فإن هذه الذكريات لها تأثيرها حتى فى إحداث بعض الإضطرابات العقلية. ومن الصعوبة بمكان أن نحدد أى الذكريات المتنوعة ينبغى بالتالى أن يعتبر مسئولًا فى حالة أو فى أخرى، ولماذا تتلقى هذه الذكريات بالذات الطاقة الروحية اللازمة لتحريكها دون غيرها بدلًا من أن تظل خاملة فى اللاشعور.

ومما أثار حيرة العلماء أيضًا العلامات التى توجد فى أجسام بعض العائدين للتجسد والتى تتفق مع بعض الجروح أو التشوهات التى صادفتهم فى تجسد سابق لهم، وتوجد عدة أمثلة لذلك. (انظر الفصل السابق). لذا نجدنا مضطرين لأن نفترض أن نمو الجنين فى رحم أمه لا يكون محكومًا كما هو معروف بعوامل الوراثة فقط لكنه قد يكون خاضعًا أيضًا لتأثير الروح التى على وشك أن تتجسد. فمثلًا، أشارت الأبحاث أن الموت العنيف كالقتل فى ظروف قاسية قد يحدث علامات مماثلة، وربما لأن ذاكرة الجسد الأثيرى تكون قد إنفعلت بالطاقة العاطفية التى من شأنها أن تؤثر فى نمو الجنين. وعلم النفس المعاصر يتضمن قواعد التأثيرات الروحية ـ العضوية ويتقبلها Psycho-Somatic التى تسببها الإنفعالات ومن بينها العلامات التى تظهر على البشرة تحت تأثير الإيحاء فى اثناء التنويم المغناطيسى. وأيضًا قدرة بعض اتباع المذهب اليوجى على الدخول فى حالة تشبه حالة الموت (بما فى ذلك توقف النبض ودورة الدم والتنفس). وإذا كنا نتقبل إمكانية تأثير الذاكرة فى نمو الجنين، فإن العلامات الجسدية لا تعكس فحسب ظروف التجسدات السابقة، بل قد تظهر أشكالًا رمزية (Symbolic Features).

إن الجسد الأثيرى هو الذى يعطى الهالة المحيطة بالجسد الإنسانى لونها، وهى الهالة التى يمكن لذوى الحساسية الخاصة مشاهدتها، (وبعض الأجهزة القياسية الحديثة مؤخرًا)، والتى أطلق عليها العالم الألمانى «ريخنباخ Reichenbach» (الطاقة الشاذه). وهذه الهالة يفترض إنها نصف مادية، وإن لها

بعض الوزن، بالأقل قبلما تصبح فى مرحلة انعدام الوزن عند انفصالها عن الجسد المادى شأنها شأن سفينة الفضاء عندما تصبح فى حالة إنعدام الوزن عند إنطلاقها من جاذبية الأرض أو القمر. وإنها ذات إتصال وثيق بالوظائف الحيوية للجسد المادى، ويتوقف عليها إنتاج الإكتوبلازم والطاقة الروحية المسئولة عن ظواهر الوساطة الفيزيائية.

ومنذ نشر العالم الألمانى «ريخنباخ» والباحثين الفرنسيين ومنهم بوجه خاص «ديرفيل Durville» إكتشافاتهم فى هذا الشأن فإنه يمكن العثور ولكن بعد الكثير من البحث على تحقيقات لها قيمتها فى هذا الموضوع. ويلاحظ ستيفينسون أن نطق الطفل بكلمات أجنبية عنه (كما حدث فى بعض حالات العودة للتجسد التى حققها بنفسه) يفترض الإلمام السابق بهذه الكلمات، كما يفترض قدرة خاصة على السيطرة أيضًا على أعصاب الحنجرة واللسان، والشفاه والوجنتين، فإذا ظهرت قدرة كهذه بدون تدريب سابق، فيكون علينا أن نفترض أن هذه القدرة الخاصة أتى بها صاحبها من حياة سابقة، وإنها تؤثر فى العضلات بطريقة مباشرة. وبعبارة أخرى أن هذه القدرة انتقلت عبر الجسد الأثيرى.

ويقول موللر أن تأثير الذكريات القديمة يشاهد بدرجات كثيرة من الكثافة، من مجرد الميول البسيطة إلى النفور الذى قد يستوجب الإضطراب، وهو تأثير غير مرتبط بأى فهم لمصدره، خصوصًا عند الأطفال. وقد يقدم اللاشعور عندهم بعض تفسير لذلك. وقد تكون الذكرى عن حياة ماضية، ذكرى سريعة الهرب كما يظهر فى إختبارات إرجاع الذاكرة إلى الوراء فى التنويم المغناطيسى عندما يصل المنوم مغناطيسيًا إلى حالة من الخروج من الجسد أو من النوم العميق فيفقد ذاكرته. ولذا كان الدكتور «بجوركيم Bjorkhem» يستخدم التنويم الخفيف، وعندئذ كان الشخص المنوم يتمكن من تذكر الإختبار. وكثيرًا ما كان هذا الأخير ينسى كل شىء بعد بضع دقائق.

عن تغيير الجنس بعد العودة للتجسد

يتحدث «كارل موللر Karl Moller» عن موضوع تغيير الجنس بسبب العودة

للتجسد فيقول أن عددًا من الناس لا يستسيغ فكرة العودة للتجسد بسبب إحتمال تغيير الجنس من الذكورة إلى الأنوثة أو بالعكس. ويرد على ذلك بأن الوقائع تثبت قيام هذا الإحتمال، فقد تبين بالنسبة للأطفال أن ١٦ ٪ من البنات اللائى أمكنهم أن يتذكرن شيئًا عن حياتهم السابقة تذكرن تغيرًا فى الجنس. وإن ٢٣٪ من النساء البالغات اللائى أمكنهن أن يتذكرن شيئًا عن تلك الحياة السابقة تحدثن عنها بوصف إنهن كن فيها رجالًا لا نساء. وهو يرى أن الرقم الأول ربما يكون أقرب من الإحتمال الثانى، وإنه بالتالى فى كل مرة حالة من ست حالات للعودة إلى التجسد، تكون تلك العودة مصحوبة بتغير فى الجنس.

كما يقول موللر أيضًا أن الرجال الذين يتذكرون حياة سابقة لهم فى الجسد فى ظل الأنوثة أقل بكثير من النساء اللائى يتذكرن حياة سابقة لهن فى ظل الذكورة. وهو يعتقد أنه ربما تكون «سيكولوجية» الرجل من خصائصها أن تجعل تذكر الأنوثة السابقة أمرًا صعب المنال. وهو يقول إنه من المؤسف أن تفصيلات قليلة عن تغيير الجنس وردت فى الحالات الستمائة من عودة التجسد التى فحصها الدكتور «جون بجوركيم Jhon Bjorkhem» وفى الحالات الخمسمائة التى فحصها الدكتور «الكساندر كانون A.Canon» وفى الحالات الخمسين التى فحصها «آرنول بلوكسهام Arnall Bloxham».

والدكتور «جون بجوركيم» الذى يتحدث عنه موللر هو عالم سويدى ذائع الصيت فى الطب النفسى العلاجى ـ Psychotherapy، وأستاذ بجامعة أوبسالا Upsala بالسويد، وكان يجرى تجارب فى التنويم المغناطيسى على المئات من طلبة الجامعة وطالباتها، وعرض نتائج هذه التجارب فى كتاب له عنوانه «تفوهات التنويم المغناطيسى» ـ (استوكهلم ١٩٤٣م). أما الدكتور «آرنول بلوكسهام» فهو طبيب نفسى بريطانى له تجارب عديدة فى التنويم المغناطيسى وإختبارات إرجاع الذاكرة.

فكل هؤلاء الباحثين أشاروا إلى حالات من تغير الجنس، ويعتمد بجوركيم الذى كان يستخدم التنويم المغناطيسى لإرجاع الذاكرة أن التنويم المغناطيسى قد

تكون له مزية تحقيق هذا الهدف. وإنه عند حدوث تغير فى الجنس، فإن الشخص المنوم كان يحاول مقاومة الكشف عن جنسه السابق لكن ظاهرة تذكر القديم تكون ذات طابع تشنجى، فكانت طبيعة الجنس السابق تظهر رغم المقاومة، ويبدو الوعى الراهن عاجزًا عن التدخل لمنع كشف سر هذا الجنس السابق. وإن ذلك يثبت أن هناك «سيكولوجية آلية» تحمى طبيعة الجنس الراهن من تأثيرات الجنس العكسى عند حدوث تغير فى الجنس بسبب العودة للتجسد. ويبدو أن هذا «العازل السيكولوجى» عند الرجال أقوى منه عند النساء. ولذا فإن الرجل قلما يتحدث عن أنوثته السابقة مثلما تتحدث المرأة عن رجولتها السابقة.

ويستنتج «موللر» فى النهاية إلى أننا أدخلنا فى الإعتبار جميع الحالات التى خضعت للبحث من حالات العودة للتجسد نجد أن النسب العامة كالآتى: ٤٪ من الرجال غيروا جنسهم السابق، ٢٤٪ من النساء غيرن جنسهن السابق، وإن المتوسط ١٣٪ للجميع. وإنه رغم صعوبة تفسير هذه الأرقام تفسيرًا صحيحًا، فإنه لم يعد أى شك فى أن تغيير الجنس أمر جائز الحدوث.

وهو يعتقد أن تغيير الجنس يبدو أقرب إلى الإحتمال بعد أربعة تجسدات متتابعة فى نفس الجنس. وأن تغيير الجنس ليس بالمشكلة المفصلة، كما أن تخنث الرجل، أو إسترجال المرأة فى الحياة الراهنة ليس هو القاعدة، بل هو أمر إستثنائى.

إنه لا ريب فى أن هذه الإكتشافات المذهلة التى أخذت تظهر فى تدفق شديد خلال أواخر القرن الماضى، وفى ترابط يسترعى الإنتباه، وفى وضوح وخطورة كما يذكر الدكتور رؤوف عبيد فى كتابه التجسد، تمثل ثورة ضخمة فى الكشف عن مجاهل النفس الإنسانية، وما أصعب هذه المجاهل، وهى تلقى مسئوليات جديدة على علم التحليل النفسى فى طوره الراهن. وفى نفس الوقت تفتح أبوابًا جديده لتشخيص بعض الأعراض العضوية والعقلية ولعلاجها أيضًا.

أهمية التحليل النفسى وأبحاثه العلمية فى دراسة العودة للتجسد

إن مهمة الطبيب والمحلل النفسى ستصبح بعد كل هذه الإكتشافات المذهلة

مهمة جدًا، ودقيقة للغاية لإنها تتطلب التأثير على المريض وتنويمه مغناطيسيًا ثم محاولة إرجاع ذاكرته إلى الوراء إلى ما هو أبعد من حياته الحاليه، وذلك على النحو الذى وصل إليه رائد التحليل النفسى العظيم «دى روشا De Rochas». إن معظم المحللين النفسيين حاليًا يستعينون بجهاز لتسجيل كل ما يسرده المريض فى هذا الشأن حتى إذا ما نجحت التجربة ـ يعيد على مسامعه بعد يقظته ـ كل ما تفوه به فى غيبوبته، فقد تساعد المحلل النفسى على صحة التشخيص كما تساعد المريض على سرعة الشفاء عن طريق التعرف الواعى على مصدر ما قد يعانيه من الآم نفسية بسبب الكبت فى اللاشعور.

أما بالنسبة لأثر التنويم المغناطيسى فى إستكشاف مجاهل اللاشعور فهذا الآن أمر مسلم به علميًا، وفيه يقرر الأستاذ الدكتور أحمد عكاشة الأستاذ بكلية الطب بجامعة عين شمس والرئيس السابق للإتحاد العالمى للأطباء النفسيين: " يؤكد علماء النفس أن حالة التنويم المغناطيسى هى أفضل الحالات التى يمكن اثناءها إستكشاف محتويات العقل الباطن. وإذا عرفنا أنه بين كل جلسة تنويم وأخرى لا يتذكر الشخص الأحداث التى مرت اثناء جلسة التنويم، بينما اثناء جلسة التنويم ذاتها يستطيع أن يتذكر ما جرى فى جلسة التنويم السابقة، وذلك دليل على أن حالة التنويم تتيح فرصة الإتصال بالعقل الباطن. وكثير من ظواهر حالة التنويم يمكن تفسيرها بالقدرة على الإتصال بالعقل الباطن». ـ (من مؤلفه ـ فى التشريح الوظيفى للنفس ـ علم النفس الفيسيولوجى ـ ص٢٦٨ ـ طبعة ١٩٧٢).

فإذا صح أن كان للنفس حياة سابقة على حياتها الحاضرة وأن ذكريات العقل عن تلك الحياة السابقة قد إنزلقت إلى اللاشعور، فإن التنويم المغناطيسى قد يكون إذن من أفضل السبل المؤدية إلى إستعادة بعض هذه الذكريات، على النحو الذى بدأه «دى روشا» ثم تابعه فيه علماء آخرون بدرجات متفاوتة من النجاح مما ساعدهم على تقبل نظرية العودة للتجسد كأمر صحيح تؤيده الآن أدلة كثيرة معملية وفلسفية، وتحقيقات متتابعة جاءت كلها إلى جانب صحة هذا الإحتمال (دكتور رؤوف عبيد ـ فى العودة للتجسد ـ ١٩٨٧).

ومما ساعد على تقبل نظرية العودة للتجسد بالذات أن كثيرًا من الأمراض

النفسية قد يستعصى تعليله بأحداث معينة يكون قد مر بها المريض فى حياته الراهنة منذ الولادة حتى إصابته بالمرض، أو بالأدق حتى ظهور أعراض المرض النفسانى أو العصبى عليه. وكذلك أن بعض تفسيرات فرويد بالإصابة أثناء عملية الولادة بالذات أصبح غير مطابق للحقيقة وقاصرًا عن مواجهة غالبية هذه الحالات، ناهيك بمحاولة انقاذ المريض من الآمه.

ومن ذلك مثلًا مرض الخوف الذى لا مبرر له Phobia، كالخوف من المبانى الشاهقة، أو من النار، أو من حيوان أليف، أو من لون معين، أو من وسيلة مواصلات معينة، أو من مادة معينة، أو من موضوع مألوف، وهو مرض عصبى شائع فإنه قد يكون ذا صلة بإختبارات مريرة قد مربها المريض فى حياة سابقة له، وقد إنزلقت وإختفت بطبيعة الحال فى اللاشعور، مثل وفاته فى حياتة السابقة من سقوطه من مبنى شاهق، أو من إحتراقة بالنار، أو وفاته فى حادثة ما بوسيلة مواصلات معينة، ةغير ذلك مما يدعو بعض المحللين النفسيين المعروفيين ألا يستبعد تمامًا أن يكون ثمة جانب من سلوك الفرد العصبى أو النفسى قد بدأ فى حياة ماضية له.

ومن هؤلاء الباحثين والمحللين مثلًا الدكتور «دنيز كلزى Denys Kelsey» وهو عضو فى «الكلية الملكية للأطباء»، وقد ناقش هذا الموضوع فى مؤلف له عنوانه «حيوات متعددة ـ Many lifetimes» فى فصل عن «العودة للتجسد والعلاج النفسى» وفيه يقرر أن إسهام العودة للتجسد فى العلاج يجئ عن طريق الإعتراف بأن بعض العناصر النفسية كثيرًا ما يبرز من الشخصية المبكرة للإنسان. وإنه عندما وسع من نطاق مفهومه ابتدأ يدرك النقطة الأساسية وهى أن الإنسان يتجسد بالطبع الذى يكون قد حصل عليه خلال تاريخه الطويل.

كما يقول أن هذا الطبع النفسى والشخصى لم يرثه الإنسان كله، ولم يتشكل كله تحت ضغط البيئة لكنه قد تشكل عن طريق إستخدام الإنسان لحريته فى الإختيار. وأن الضغوط الخارجية لا تتسبب فى أن يغير الإنسان من سلوكه، بل أن التغيير يحدث عندما يمكنه هو أن يغير من نواياه. وإن هذا المبدأ يقع الآن فى

الأساس من مواجهته للأمراض العصبية التى تعزى إلى طبع معيب فى الشخص. كما يعتقد أن كل شخص يمكنه أن يغير من نواياه عندما يصمم على ذلك.

وكل شخص يتجه فى تقدير الدكتور كلزى إما إلى العزلة وإما بعيدًا عنها، لأن الحب الذى لا يجد إشباعًا نقيًا يتحول إلى عدم إكتراث، وإحتمالا إلى كراهية. وأثر العودة للتجسد هو تحديد هذا الإحتمال الأخير، لأن إنتهاء الحياة الأرضية لا يعنى بالضرورة وضع حد لنموذج معين من نماذج الإنفعال. ومن ثم فإن الإقتراب إلى العزلة بسبب الجفاء الذى قد يلاقيه الإنسان قد يعبر عن نفسه فى صورة قلق قد يعطى أنواعًا متباينة من الأعراض العصبية.

ويراعى فى تقدير كل ذلك أن النسيان وظيفة بيولوجية تختلف تمامًا عما نعرفه عنها. فالنسيان بمعنى المحو التام لا وجود له، لأنه لا يمكن محو أى شىء من الطبيعة، أو من الذاكرة التى تسجل دوامًا الإختبارات الطبيعية التى تمر بها، سواء أكانت سارة أم أليمة، أم محايدة إذا صح مرور أحداث محايدة بعقل الإنسان. أما النسيان بمعناه الصحيح فهو مجرد إنتقال الحادثة أو الفكرة أو الموقف من الشعور إلى اللاشعور. وهى قد تنتقل حتى فى اثناء وجود أرضى واحد بعد مضى فترة معينة عليها، كما تنزلق جميع أحداث الماضى القريب والبعيد إلى اللاشعور ـ بحسب الأصل الذى يحتمل بعض الإستثناء عند العودة للتجسد، وذلك من باب حب ورحمة الطبيعة لأبناءها، وحماية لذاكرتنا من الأهوال الجسام التى تكون قد مرت بها.

أما درجة التطور التى تكون الذات قد بلغتها عن طريق معاناة هذه الأهوال نفسها فهى حق مكتسب لها. وأما الدرس الذى تكون الذات قد وعته عن طريق هذه الأهوال فهو مخبأ فى اللاشعور، يؤدى دوره فى تنبيه الضمير إلى عدم الوقوع فى نفس أخطاء الماضى، بدرجة تتفاوت فى مداها بمقدار تطور الذات وبمقدار يقظة هذا الشعور الداخلى الدفين الذى نعبر عنه بوصف «الضمير»، والذى هو حصيلة دروس الماضى منذ أبعد أبعاده لكى يساعد الذات على شق طريقها فى المستقبل إلى أبعد مداه، مع القابلية الدائمة للغو وللتطور، لأن التطور لا تعرف له نهاية، كما لم تعرف له بداية بعد.

ولذا، فمن المنطقى تبعًا للكثير من علماء الطب النفسى والباحثين انه لا محل مطلقًا للإعتراض على مبدأ العودة للتجسد بنسيان أحداث الماضى، لأن النسيان لم يحدث إنما هى مجرد وظيفة بيولوجية نفسية محددة، وهى إنتقال اختبارات وتجارب الماضى من الشعور إلى اللاشعور، لكى نجنى من الماضى ثمرات تجاربه بأزهاره وأشواكه وأهواله، وذلك بالنسبة للإنسان العادى، وفيما عدا بعض الحالات غير المألوفة أو حالات فوق الطبيعة، ومنها بعض الحالات المرضية أيضًا.

وقد نجح علم النفس الحديث فى إكتشاف وجود العقل الباطن أو اللاشعور ولكنه لم ينجح لغاية الآن فى إكتشاف مجاهل هذا اللاشعور، أو فى رسم حدود واضحة بين الشعور واللاشعور. وإذا صح إعتبار هذا اللاشعور مخزنًا لإختبارات الماضى السحيق للإنسان خلال صراعه المرير المستمر مع تجسداته وكأن يحمل خلاصة أو ثمرة ما مر به من إختبارات سعيدة وأليمة، فإنه يكون على العلم أن يسلم بأن نظرية الوجود السبقى للإنسان تصبح على هذا الوضع أجدر النظريات بأن تفسير هذا اللاشعور على نحو منطقى وبسيط، يتحدى فى وضوحه وفى ترابطه كل التفسيرات الأخرى التى تريد أن تبدأ الوجود الإنسانى منذ ولادة الإنسان فى حياته الراهنة فحسب أو منذ صرورته جنينًا فى بطن أمه. خاصة وأن وجود اللاشعور قد ثبت تمامًا لدى الإنسان العاقل الناطق، ولم يثبت وجوده لدى الكائنات الحية الأخرى سواء أكانت من الفقريات أم غير الفقريات. ولم نجد عالمًا واحدًا يثبت مثلًا بأن الحصان أو الكلب ـ وهما من أرقى الحيوانات الفقرية ـ يملك عقلًا باطنًا أو لا شعورًا. وأنه بالتالى عرضة لأن يصاب ـ مثل الإنسان ـ بجنون العظمة أو الإضطهاد، أو بمركبات النقص المختلفة أو بالمخاوف التى لا مبرر لها، أو بإنفصام الشخصية بالمفهوم العلمى لهذه الأوصاف.

إننا ينبغى أن نضع فى الإعتبار ما ثبت من أن القدر الأكبر من حوافز الإنسان ودوافعه الحقيقية مختبئ فى هذا اللاشعور، بحيث يمكن القول بأن عقل الإنسان ينظر إليه كأنه جبل من الثلج تطفو قمته فقط فى الشعور ويختبئ معظمه

تحت الماء فى اللاشعور. فمن أين جاء هذا اللاشعور الحال بأكداس متراكمة من الحوافز والدوافع المرتبطة بداهة بالتجارب والإختبارات الحلوة والمرة الماضية وما أكثرها وما أعمق أثرها!! (كتاب التكوين الروحى وأسرار السلوك ـ د. رؤوف عبيد ـ الجزء الثانى ـ ١٩٨٢م).

أقوال الآن كاردك عن التجسد

سوف أعرض هنا جانبًا من ابحاث العالم والفيلسوف الروحى الآن كاردك Allan Kardec لأن محور بحثنا فى هذا الجزء من الكتاب هو معالجة القضايا الفلسفية المتعلقة بالخلود فى ضوء العلم الحديث. إن إنتاج آلان كاردك الفلسفى والبحثى لايزال يمثل حتى الآن مستوى من أرفع مستويات الإنتاج الفلسفى فى نطاق علم الروح، إلى حد أن غالبية من خلفوه فى فلسفة الحركة الروحية الفرنسية لم يضيفوا إليه شيئًا يذكر، فلازال معتبرًا زعيمًا للفلسفة الروحية الفرنسية، بل اللاتينية بوجه عام، ولاتزال بحوثه معتبرة من أهم المراجع التقليدية لمن يريد أن يحيط من علم الروح ببعض جوانبه الفلسفية التى أولاها عناية خاصة.

ولد هذا العالم ـ وكان اسمه الأصلى «هيبوليت ليون دنيزار ريفاى Hippolyte-Leon Denizart Rivail» بمدينة ليون عام ١٨٠٤م من أسرة عريقة أنجبت كثيرًا من القضاة والمحامين. وإتجه إلى دراسة العلوم والطب والفلسفة، وقضى جزءًا من شبابه فى سويسرا لإتمام تعليمه، ثم عاد إلى بلاده، وعمل فى التعليم ردحًا من الزمن، وترجم إلى اللغة الألمانية بعض المؤلفات الفرنسية فى التعليم وفى الأخلاق، وله مؤلفات عديدة فى التربية، وفى التعليم، وفى الرياضة، وفى اللغة الفرنسية، كفلت له موردًا ثابتًا للعيش، وقد انفق على حركة البحث الروحية كل ثروته تقريبًا وظلت زوجته تسير على نفس الدرب حتى بعد وفاته. وكانت شريكة له فى الدراسات التى كان ينظمها فى الفيزياء، والفلك، والتشريح.

كان «كاردك» عضوًا فى بعض هيئات علمية راقية من بينها «الأكاديمية

الملكية» بمدينة أراس Arras التى منحته فى سنه ١٨٣١م جائزة أدبية عن أحسن بحث وضع للإجابة عن السؤال الآتى: (ما هو أحسن نظام للتعليم، وأكثرها التئامًا مع حاجيات العصر؟). وقد أظهر أول مؤلف له وهو (كتاب الأرواح) عام ١٨٥٧م، ثم ظهر له (كتاب الوسطاء) عام ١٨٦١م، ثم كتاب (الإنجيل طبقًا للروحية) عام ١٨٦٤م، ثم (كتاب التكوين والمعجزات والنبوءات طبقًا للروحية) عام ١٨٦٨م. كما أسس «المجلة الروحية» شهرية منتظمة فى نفس التاريخ. وكان يطلق عليها أيضًا «جريدة الدراسات النفسية». ثم أسس فى أبريل سنة ١٨٦٨م «الجمعية الباريسية للدراسات الروحية» وقد كانت لها عدة فروع فى الأقليم الفرنسى.

وقد وصفه «شارل ريشيه Charle Richet» عضو أكاديمية الطب والعلوم بباريس والحائز على جائزة نوبل فى الفيسيولوجيا فى مؤلفة «فيما وراء الروح» بأنه بلا منازع أقوى من أحدث تأثيرًا نفاذًا، وقد رسم أعمق الخطوط فى علم ما وراء الروح منذ تجارب وليام كروكس الشهيرة التى ترجع إلى سنة ١٨٧١م. كما وصفه الأديب العالمى «أندريه ديماس Andre Dumas» بأنه تناول دراسة جميع الأنواع الكبرى للظواهر فوق العادية، وأحسن تقسيمها، وشيد عليها أخطر المبادئ العلمية الحديثة. وهذا الجانب العلمى فى إنتاج «الآن كاردك» هو الذى تولى تنمية وإبرازة فيما بعد بعض العلماء البارزين فى مجالات الدراسات الروحية مثل «جابرييل ديلان، كامى فلاماريون» وآخرين، مسايرين التيار العلمى القوى الذى بدأة الإنتاج القوى لـ«ريدريك مايرز، وليام كروكس» وممهدًا بذلك الطريق أمام علم ما وراء الروح بمعناه الحديث.

ومنذ عهد كاردك إلى الأن، إرتبط موضوع العودة للتجسد إرتباطًا وثيقًا «بالمدرسة الروحية الفرنسية» فلم يخرج عن هذا الإرتباط أى واحد من أعلامها وهم كثيرون. وقد نجحوا بلا شك فى تفويض أركان الإلحاد، والشك، والإنكار، وكل دعائم الفلسفة المادية التى كانت تستحوذ إستحواذًا شبه تام على مسيرة العلوم المختلفة حتى أواخر القرن المادى.

الحوار الأول بين كاردك ولفيف من الأرواح الراقية

كيف يتأتى للروح التى لم تبلغ حد الكمال على الأطلاق فى اثناء حياة الجسد أن تكمل تطهرها؟

بتحمل محنة تجسد جديد.

كيف يتأتى للروح أن تنفذ هذا التجسد الجديد؟ هل بتطورها كروح؟

أن الروح بلا ريب تتطور عند تطهرها، ولهذا الإعتبار بالذات تلزمها محنة الحياة الجسمانية.

إذن فالروح عدة وجودات جسدية؟

نعم، فلجميعنا وجودات متعددة. وأولئك الذين يقولون لكم عكس ذلك يرغبون فى الإبقاء عليكم فى نفس الجهالة التى يعيشون فيها هم أنفسهم. فهذه هى رغبتهم.

يبدو كنتيجة لهذا المبدأ أن الروح بعد أن تغادر جسدها المادى قد تتخذ لها جسدًا آخر، أو بعبارة أخرى إنها تعود للتجسد فى جسد جديد، فهل هذا هو المفهوم؟ ـ إن هذا آمر واضح.

ما هو هدف العودة للتجسد؟ ـ التفكير، والتقدم التدريجى للإنسانية، وبغير ذلك أين كانت ستوجد العدالة.

هل عدد مرات التجسد محدد، أم أن الروح تعود للتجسد إلى ما لا نهاية؟ ـ فى كل وجود جديد تخطو الروح خطوة جديدة فى طريق التقدم، وعندما تتخلص من كل أوجه قصورها، لا تعد بها حاجة لمعاناة محن الحياة الأرضية.

ـ هل عدد مرات التجسدات واحد للجميع؟ ـ كلا، إن من يتقدم سريعًا يوفر على نفسه المحن. وكل هذه التجسدات المتتابعة دائمًا متعددة جدًا، لأن التقدم يبدو تقريبًا بلا حدود.

ـ وماذا تصبح الروح بعد تجسدها الأخير؟ ـ روح سعيدة تمامًا، لأنها روح نقية.

ـ ما هو أساس عقيدة العودة للتجسد؟ ـ عدالة الخالق، والكشف عنه، لأننا نكرر بلا توقف القول بأن الأب الصالح يدع الباب دائمًا مفتوحًا لأولاده لكى يندموا. ألا يقول لك المنطق أنه يكون من الظلم أن يحرم نهائيًا من السعادة النهائية، وبلا رجعة، كل أولئك الذين لم يكن فى وسعهم التقدم؟ أليس جميع البشر أولاد الله؟ إن الرجال الأنانيين فقط هم الذين نجد لديهم الظلم، والحقد، والعقوبات التى لا تغتفر للآخرين.

تعليقات كاردك على هذه الإجابات

يعلق «الآن كاردك» على هذه الإجابات بأن جميع الأرواح تميل نحو التقدم، ولقد زودها الله بالوسائل عن طريق إختبارات الحياة الجسدية. لكنه فى عدالته يترك لها أن تنجز فى وجودات جديدة ما عجزت عن تحقيقه أو إنجازه فى إختبار سابق. وليس من العدل ولا الرحمة الإلهية أن يعاقب نهائيًا أولئك الذين يكونون قد صادفوا عقبات خارجة عن إرادتهم حالت دون تقدمهم، وفى نفس البيئة التى عاشوا فيها. وإذا كان مصير الإنسان محددًا بعد الموت بطريقة لا تقبل التعديل، فإن الميزان الإلهى لن يكون واحدًا بالنسبة لجميع البشر، ولن يكون خالى من التميز.

ويقول كاردك إن قانون العودة للتجسد، أى ذلك القانون الذى يتقبل عدة وجودات متتابعة للإنسان هو الفقه الوحيد الذى يلتئم مع الفكرة التى لدينا عن عدالة الخالق بالنسبة للأشخاص الذين يعيشون فى مستوى معنوى أدنى من غيرهم، وهى الوحيدة التى بمقدورها أن تفسر لنا المستقبل، والتى تستقر عليها آمالنا، لأنها تتيح لنا الوسيلة التى بها نمحو أخطاءنا عن طريق إختباراتنا المتجددة. فالعقل يقودنا إليها، كما أن الأرواح تنادى بها.

ويستطرد كاردك قائلًا: «إن الإنسان الذى يشعر بأنه أدنى من غيره يجد فيها أملًا معذبًا، فإنه إذا كان يؤمن بعدل الله، فليس له أن يؤمل فى أن يصبح مساويًا إلى الأبد لأولئك الذين كانوا فى سلوكهم أفضل منه. والإعتقاد بأن هذه

الصفة لن تحرمه إلى الأبد من الحصول على الخير الأسمى، وإنه سيتمكن من الحصول على هذا الخير عن طريق بذل جهود جديدة، هذا الإعتقاد سيكون من شأنه تقويته وتشجيعه. وكذلك ما شأن الإنسان الذى يحصل فى نهاية حياته الأرضية على خبرة متأخرة لن يتمكن من الإفادة منها؟ إن هذه الخبرة التى جاءت متأخرة لن تفقد أبدًا، بل ستكون مصدر نفع له فى حياة جديدة». ـ (ينتهى تعليق كلارك).

الحوار الثانى بين «الآن كاردك» ومجموعة الأرواح المستنيرة

ـ هل جميع وجوداتنا الجسدية تتم كلها على الأرض؟

كلا ليست كلها، بل فى العوالم المختلفة. والحياة على الأرض ليست هى الأولى ولا الأخيرة، بل هى من أكثف صور الحياة المادية، ومن أبعدها عن الكمال.

ـ هل تمر الروح فى كل تجسد جديد من عالم إلى آخر، أم أن بمقدورها أن تمر بعدة تجسدات فى نفس العالم؟

بمقدورها أن تحيا مرات متعددة فى نفس العالم، ما لم تحصل على تقدم أوفر مما يتيح لها المرور إلى عالم اسمى.

ـ إذن نحن بمقدورنا أن نظهر عدة مرات على الأرض؟

طبعًا.

ـ وهل بمقدورنا أن نعود إليها بعد أن نكون قد عشنا فى عوالم أخرى؟

بلا شك إنه سبق لكم العيش أما بعيدًا عن الأرض وأما عليها.

ـ وهل من الضرورى العودة للعيش على الأرض؟

كلا، ولكن إذا عجزتم عن التقدم عليها فمن الجائز أن تذهبوا إلى عالم آخر ليس أفضل منها، بل قد يكون أسوأ.

ـ وهل توجد ميزة فى العودة للحياة على الأرض مرة أخرى؟

لا توجد ميزة خاصة، ما لم تكن العودة لتحقيق مهمة معينة، وعندئذ يتقدم الإنسان فيها كما يتقدم فى غيرها.

ألا يكون الإنسان أوفر سعادة إذا ظل روحًا؟

كلّا، لأن الإنسان سيتوقف عن التقدم، مع إنه يرغب فى التقدم نحو الله.

ـ هل يمكن للأرواح بعد أن تكون قد تجسدت فى عوالم أخرى أن تتجسد على الأرض مع إنها لم تظهر عليها أبدًا من قبل؟

نعم كشأن تجسدكم أنتم فى العوالم الأخرى، فإن جميع العوالم متضامنة، وما لا يتم إنجازه فى عالم معين يتم إنجازة فى عالم آخر.

إذن فقد يوجد على الأرض أشخاص متجسدون للمرة الأولى؟

يوجد كثيرون، فى درجات متفاوتة.

ـ هل يمكن بوسيلة ما التعرف على الروح التى تظهر متجسدة لأول مرة على الأرض؟ ـ إن ذلك سيكون عديم الجدوى.

ـ هل يلزم للوصول إلى الكمال وإلى السعادة القصوى التى هى الهدف النهائى لجميع الأشخاص المرور بالتجسد فى جميع العوالم الموجودة بالكون؟ ـ كلا لأنه توجد عوالم كثيرة فى نفس المستوى ولن تتعلم فيها الروح شيئًا جديدًا.

إذن فكيف تفسر تعددات الوجودات فى نفس العالم؟ وبنفس الطريقة؟ ـ إن الروح يمكنها فى كل مرة أن تجد نفسها فى مراكز متفاوتة تمامًا، فتمثل لها ـ بنفس المقدار فرصًا متنوعة للحصول على الإختبار.

ـ هل بمقدور الأرواح أن تحيا جسمانيًا فى عالم أدنى نسبيًا من العالم الذى سبق لها العيش فيه؟ ـ نعم، عندما يكون عليها أن تؤدى مهمة للمساعدة فى تحقيق التقدم، وعندئذ تتقبل بسرور متاعب هذا الوجود، لأنه يتيح لها سبيلًا للمزيد من التقدم.

اليس من الجائز أن يحدث ذلك للتكفير، وأن يرسل الله الأرواح المتمردة إلى عوالم أدنى؟ ـ بمقدور الأرواح أن تظل متوقفة عن التقدم، لكن ليس بمقدورها التقهقر للوراء، وعقابها يكون عن توقفها عن التقدم، ويتعين عليها أن تستعيد الوجودات التى أساءت إستخدامها، وذلك بما يناسب طبيعتها.

ـ ما هى الأرواح التى يتعين عليها أن تستعيد نفس الوجود؟ ـ هى تلك التى فشلت فى مهمتها، أو فى إختبارها.

ـ وهل الأرواح التى تقطن عالمًا مشتركًا وصلت كلها إلى نفس درجة التقدم؟
ـ كلا، بل توجد أرواح متفاوتة فى تقدمها، كما هى الحال على الأرض.

عند المرور من هذا العالم إلى عالم آخر هل تحتفظ الروح بنفس الذكاء الذى كان لها هنا؟ ـ الذكاء بلا ريب لا يفقد لكن من الجائز أنه لن يملك نفس الوسائل للتعبير عن نفسه، وذلك يتوقف على مدى تفوقها، وعلى حالة الجسم الذى سيكون لها (لأن الجسم يؤثر فى الذكاء، كما أن الذكاء يؤثر فى الجسم).

ـ هل عند العبور من عالم إلى آخر يلزم أن تمر الروح دائمًا بطفولة جديدة (عندما ترتدى جسدًا ماديًا جديدًا)؟ ـ الطفولة إنتقال ضرورى لكن لا يلزم أن تكون الطفولة حمقاء فى كل عالم بمقدار حماقتها عندكم.

ـ هل تختار الروح عالمها الجديد الذى يتعين عليها أن تقطنه عند العودة للتجسد؟ ـ ليس دائمًا، لكن بمقدورها أن تطلب هذا العالم الجديد، ويمكنها أن تحصل عليه إذا كانت تستحقه، لأن العوالم غير متاحة للأرواح إلا بحسب مدى تطورها.

وإذا لم تطلب الروح شيئًا، فما الذى يحدد لها ذلك العالم الذى ستتجسد فيه؟ ـ درجة تطورها.

ـ هل الحالة الجسمانية والمعنوية للكائنات الحية تظل كما هى فى كل مرة؟
ـ كلّا لأن العوالم نفسها خاضعة لقانون التطور، وكلها بدأت مثل عالمكم فى حالة دنيا، والأرض نفسها سيلحقها تحول مماثل، وعندما يصبح الناس عندكم طيبين ستتحول الحياة عندكم إلى جنة أرضية.

ويعلق كاردك على هذا القول بأن الأجناس التى تعمر الأرض حاليًا ستختفى يومًا، وستحل محلها كائنات أخرى أرقى منها، وتلك الأجناس المتطورة ستخلف الجنس الحالى، كما أن الجنس الحالى حل محل أجناس أخرى أكثر بدائية.

ـ هل توجد عوالم تعيش فيها الأرواح بلا أجساد مادية، ولا يغلفها سوى الجسم الأثيرى؟ ـ نعم، وحتى هذا الجسم الأثيرى قد يصبح رقيقًا إلى حد أن يبدو كما لو لم يكن له وجود بعد، وتلك هى حالة الأرواح النقية.

ـ إذن فلا يوجد حد فاصل بين حالة التجسدات الأخيرة وحالة الروح النقية؟

ـ هذا الحد الفاصل لا وجود له، والفارق يمحى تدريجيًا ويصبح غير محسوس.

إن هذا التوافق والوضوح الظاهر فى هذه الإجابات وتوافقها مع التحقيقات والأبحاث الجادة التى قام بها علماء عديدون فى عدة دول والتى قدمت نموذجًا لها فى ما سبق وكلها تتوافق فيما بينها توافقًا ملفتًا للنظر، وكان من المستحيل توافره، أو توافر بعض جوانبه لو كان الأمر عبارة عن محض إفتراضات، أو مزاعم مرتجلة يسوقها كل باحث على مزاجه الخاص.

موقف علم النفس الحديث من ظاهرة التجسد

رأى علم النفس فى ظاهرة التجسد عمومًا حتى الآن هو إعتبارها أحد الأعراض أو الحالات المرضية، وعلى الرغم من إن بعض العلماء والأطباء النفسيين كما سبق أن ذكرت يميل إلى إعتبار إنها تقع ضمن الظواهر الغامضة أو الما ورائية التى تتطلب المزيد من الدراسة والبحث والتى لم يضع العلم البشرى حتى الآن التفسير العلمى الكامل لها ولكن يحتمل تصديقها (مثل ستيفينسون). لكن إجمالًا، لا غالبية المختصين فى الأعصاب وعلم النفس يعتبرها من جملة أعراض سيكوباتية سببها لجوء اللاوعى لحيلة «الهروب النفسى» من ضغوط واقعية يواجهها الإنسان فى حياته أدت به إلى إختلاق واقع إفتراضى آخر يلجأ إليه على إنه حياة أخرى عاشها من قبل أو روح لآخر حلت فى جسده.

لكن المشكلة الحقيقية فى هذا التفسير الموضوعى المقنع تتمثل فى الكثير من الحالات المسجلة علميًا كما سبق أن ذكرت أمثله لها من قبل والتى تم التأكيد فيها على أن رواية هؤلاء الناس والأطفال «المرضى» كانت صحيحة، وكانت مفصلة ودقيقة عن أحداث عاشها آخرين ما كان بالإمكان أن يرويها أحد إلا قلة ممن عاصروها، والكتب والمؤلفات كما سبق أن ذكرت كثيرة فى هذا الموضوع. فهل من المقنع أن نقول أن حيلة الهروب اللاشعورى من ضغط الواقع أو الخلل العقلى أو العصبى، هل يمكن أن تؤدى جميعًا إلى الإستعارة بواقع حقيقى فعلى جدًا لإنسان آخر مات من قبل وعاشه بكل تفاصيله؟!! وأعتقد شخصيًا إن الإجابة بالطبع بالنفى.

فالواقع إنه من خلال دراستى للذاكرة والوعى الإنسانى فى مواضيع بحثية كثيرة طوال السنوات الطويلة الماضية، وإنطلاق من نتائج آخر الدراسات فى أبحاث الذاكرة والوعى الإنسانى ودراسات الباراسيكولوجى والميتافيزيقا ودراسات الوعى وعلاقتة بالزمان، فإن الخلاصة من كل هذا المسار البحثى النظرى تقول بأن الذاكرة البشرية لا تفنى بعد الموت الجسدى، فهى تدخل إلى بنية الكون أو ما يسمى بالبنية الفضائية رباعية الأبعاد (4D Spacetime)، وهذه الذاكرة البشرية تدخل البنية الكونية غالبًا فى صورة الطاقة الروحية الأثيرية التى تسبح فى الفضاء الكونى المسمى بالبرزخ. هذه البنية الروحانية الـ«تحت فوتونية» لو صحت تسميتها كذلك، تخضع لنوع جديد من القوانين لم تكتشفها الفيزياء النظرية بعد، لكن بعض تطبيقات الفيزياء إستثمر هذه القوانين الغامضة ولعل أهمها ظاهرة «الرنين الكوانتى Quantic Resonance» الذى يعتبر الأساس فى تشكيل أشعة الليزر وشرح طبيعة الرنين الغامض الذى يحدث بين الفوتونات الخاصة بطاقة الليزر. هذا ما أطلق عليه العلماء تسمية الطاقة التحت فوتونية العابرة للزمان والمكان، خارج هيكل الفضاء المكانى التقليدى حسب أبحاث العلماء (أهارنوف، أر كانى، ديموبولس) عن الوجود قبل الخلق والوعى والزمان. فقد إستنتجوا أن هذا النوع من فوتونات البنية الروحانية المحملة بالذاكرة والوعى وحتى طاقة توارد الخواطر بين الأدمغة البشرية أو حيوانية، تجرى ضمن هذا النسق فى طاقة ما وراء المكان،

أو ما يسمى بال «الزمكان». ولكن هذه الأبحاث مازالت فى أطوارها الأولى ولم تعطى بعد النتائج والتفسيرات النظرية الكاملة للتكوين التفصيلى الخاص بالروح والوعى والذاكرة الإنسانية.

وأخيرًا، هل أثبت العلم أن التقمص والتجسد الروحى حقيقة؟

إن كل الدراسات والأبحاث الطويلة والعديدة التى أجراها العلماء للإجابة والبحث عن تفسير لظاهرة التجسد، منهم من وجد أو لم يجد تفسيرًا واضح، فأخذتهم الحيرة حول وجود دلائل حياة سابقة، فمنهم من إقتنع وتبنى نظرية التقمص بالأرواح ومنهم من إنتقد ولم يقتنع.

إن الكاتب والمؤلف والعالم الأمريكى «رونالد هابارد»، وهو المؤسس الحديث للأبحاث العلمية التجريبية الخاصة بنظرية التقمص، والذى واجه نقدًا كبيرًا من كل الأوساط العلمية المحيطة به، لأنه قام بتجارب حقيقية وأوجد أدلة على وجود حياة سابقة غير التى نعيشها، لكن «رونالد هابارد» ليس الوحيد الذى أعطى للتقمص جزءًا من المصداقية فى السنوات الأخيرة، فقد إشترك بفكره مع النظريات العديدة حول إنتقال الأرواح من جسد لآخر، التى تشاطره وجود الدليل على الحياة السابقة، وقد سبق أن إستعرضت بعضًا من هذه النظريات والعلماء العديدين الذين قاموا بها فى القرنين الماضيين، منها ما هو علمى أو روحانى أو فلسفى.

ولكن التجسد والتقمص بالأرواح واجه العديد من الإنتقادات العلمية الجادة، وأهمها النظرية الفيزيائية العلمية التى تقول أن كل شىء مكون من طاقة وكتلة، فالطاقة هى الروح والكتلة هى الجسد، ومتى إفترقًا لا وجود للحياة أو للنشاط الدماغى (أى الذاكرة)، ومتى اجتمعًا وجدت الحياة، وإن العقل مرتبط بالحياة والذاكرة جزء منه وتفنى بفنائه، وبالتالى بعد الموت لا وجود للذاكرة، إضافة إلى أن بعض الشعوب أو الديانات التى تعتقد بالحياة الواحدة تعتقد بأن رهبة الموت لا يمكن أن تبقى على شىء من الذاكرة أو الذكريات المتعلقة

بالحياة. ومتى إفترقت الروح عن الجسد تفنى الحياة، ويذهب الجسد للتراب والروح لخالقها لتلقى حسابها!

قد لا يختلف العلماء على نظرية الطاقة والكتلة، ولكن العلماء والذين يؤمنون بالتجسد يستندون إلى أن الطاقة لا تفنى ولا تستحدث من عدم، وأن لها ذاكرة خاصة، وبالتالى عند الموت تترك الروح الجسد لتدخل جسدًا غيره. أما العلماء المؤمنون بالنظرية الإجتماعية تعزى بوجود التقمص والتجسد إلى ما يحدث فى هذه الحياة وليس له علاقة بها، كالأشخاص الذين تراودهم أحلام أو كوابيس عن أشخاص أو حوادث معينة تخص حياة غير التى يعيشها الشخص، وكذلك تأثير الحياة الماضية على الحياة الحالية، كالخوف من أماكن أو أشخاص أو أوقات معينة، وبعض الحالات التى تصيب الإنسان وليس لها سبب مباشر فى الحياة الراهنة.

أما النظرية العلمية الحديثة لتفسير التقمص والتجسد، فتعزى تلك الظاهرة إلى مبدأ هام معروف إختلف عليه الكثيرون، وهو أن «عقل الإنسان الحديث الولادة ليس صفحة بيضاء»، وهى تتفق مع النظرية الاجتماعية والتى تنص على وجود أشخاص يخلقون ومعهم بعض المعلومات وقدر من الذاكرة عن تعاليم لم يتعلموها بعد أو ليس لديهم القدرة على تعلمها مبكرًا، كالأطفال الذين يسبقون أقرانهم فى التعليم والنطق أو حالات الذكاء الغير طبيعى، وخصوصًا حفظ اللغات والعلوم الرياضية، ومنهم من سبق أساتذته ومعلميه وهو فى سن لا يسمح له حتى بإستيعاب هذا الكم الهائل من المعلومات.

وقد أشارت الدراسات التى أجراها «هارباد» بأن الحالة العقلية الذهنية قد تعود أحيانًا إلى ملايين السنين وإلى كواكب أخرى، وقد يجد البعض ذلك أشبه بأفلام الخيال العلمى، ولكن هذه حقائق موثقة ومثبتة بالأبحاث العلمية الرصينة، بل إنها تعتبر أهم النتائج البحثية التى تم التوصل إليها مؤخرًا فى هذا المجال. أما النتيجة الأخرى التى تم التوصل إليها مؤخرًا بالأبحاث العلمية هى أن من يتذكرون حياتهم السابقة هم الذين يعيشون أوقات عصيبة أو يعاصرون

حوادث شخصية أو عالمية عظيمة، كمن يشهد حروبًا أو كوارث، وخاصة الذين يموتون بشكل مروع كالسقوط من قمة عالية أو حادث سير مؤلم، وخصوصًا الذين يموتون بشكل وحشي وقاسي كمن يموت تحت التعذيب أو شنقًا أو تحت المقصلة وما شابه ذلك. وأضاف «هابارد»: «إن أهم ما يميز من يتذكرون حياتهم السابقة هو القناعة والرضى بما قسمت الحياة لهم ونصيبهم منها، وإن الأغلبية لا يخافون الموت ويتمتعون بحدس قوى وذكاء عالى ويعانون أحيانًا من الآم فى الرأس أو صداع يتزامن مع موقف أو ذكرى أو تاريخ معين يخص الحياة السابقة».

إن العلماء الذين يؤمنون بالتجسد يقولون أنه من الممكن ألا تكون حادثة الموت وحيدة، قد تتكرر لعدد من المرات، فبعض الأشخاص ممن خضعوا للتجارب تحدثوا عن أكثر من ٧ أجيال عاشوها سابقًا متفاوتة فى الزمان والمكان والجسد الذى سكنتة الروح (ذكر أو أنثى) وكل ما ذكر فى هذه الأبحاث كان موثقًا بطريقة علمية، إذن، قد اثبت العلم بطريقة واضحة أنه توجد أسس صحيحة واضحة لظاهرة التجسد وإنها موجودة بشكل أو بأخر، ولكن ما يبطئ وضع التصوارات النهائية لهذه الظاهرة الإنسانية الروحانية الفريدة بأسلوب علمى مقنن هو المقاومة العقائدية والدينية والإجتماعية الشديدة لهذه الظاهرة، والمتوقع لها بالإنحسار أمام التقدم العلمى المذهل فى السنوات الأخيرة الذى حققته علوم أبحاث الروح والماورائيات والباراسيكولوجى.

الفصل الرابع

العلاقة بين تطور الحياة والعودة للتجسد

obeikandl.com

obeikandl.com

التطور والتكوين الروحى للإنسان

قد يبدو غريبًا للوهلة الأولى وجود صلة بين موضوع التجسد وموضوع التطور الإنسانى بوجه عام، ولكن وجه الغرابة يزول إذا ما وضعنا فى الإعتبار الديناميكية النوعية التى تميز الإنسان وصلتها بإستمرار الحياة بعد الموت. وهذه الديناميكية يتوقف عليها وجود الحقل الكهربى/ المغناطيسى لجميع الكائنات الحية، وتجدد الخلايا والأنسجة فى أى عضو صحيح أو مريض. وبالتالى الحفاظ على التكوين الأصلى البيولوجى للكائنات الحية، وما يرتبط بهذا الحفاظ من ضرورة وجود «حركة دائرية ديناميكية» إلى جانب الحركة الدائرية الآلية التى تعتبر من أهم القوانين الكونية للحياة، ومنها قانون دورات الحياة العضوية.

يقول العالم «آرثر أوسبورن Arthur Osborn»: «أن البيئة التى نولد فيها، وطباعنا، وعقولنا، وارثنا الجسمانى، بل أهم أحداث حياتنا ليست نتيجة محض مصادفات، بل ناجمة عن طاقات تنبعث من أعمق ذواتنا الروحية Physical Selfes التى عبرت عن نفسها خلال عدة أجساد عضوية سابقة. وما يلزمنا أن نضعه فى أذهاننا بوضوح عندما نحاول أن نتفهم نظرية العودة للتجسد أن ما تعنيه عبارة ـ إننا عشنا من قبل ـ ليس هو أن شخصًا يدعى جون سميث قد عاش من قبل، بل أن جون سميث هذا عبارة عن تعبير مؤقت عن مركز روحى Physical Center أساسى ودائم. وهو عبارة عن تعبير ذى أبعاد ثلاثية 3D (طول وعرض وإرتفاع) عن كائن آخر ذى أبعاد أخرى أربعة 4D (طول وعرض وإرتفاع وزمن بحسب نظرية النسبية) أو ربما أكثر من أربعة أبعاد.

ولذا فإن تنبهنا الفيزيقى Physical Awarenes يمثل بؤرة مؤقتة من وعينا على مستوى واحد للوجود. وإن من المعانى المتداولة الآن فى علم النفس إن شطرًا صغيرًا من وعينا الكلى هو ذلك الذى يكون فى متناولنا عند مزاولة نشاطنا المألوف. أما عندما نريد أن نتفهم نظرية العودة للتجسد فإنه يكون علينا أن نتخيل ذواتنا الحقيقية Real Selves بوصفها سماوية وأزلية.

ويستطرد د. أوسبورن: «وعلى هذا النحو، فإن نظرية الأنا المتجسدة تكون مجرد نموذج آخر لموكب الحياة العضوية المماثلة لها والموازية لها فى نفس الوقت. فأشكالنا العضوية إن هى إلا تعبيرات دورية عن أنوية (جمع نواة) بلازمية دائمة Permanent Germ-plasma. فأجسادنا تجئ وتذهب، لكن الخصائص السلالية محفوظة فى خلايا هذه الأنوية. وكل الأشكال الحية تنبعث من إمكانات غامضة للبذور أو الخلايا. وطاقات الحياة محفوظة دائمًا فى مراكز، وتنبثق عن هذه المراكز مجموعات طويلة من الأشكال. والمحاجاة بالتماثل محاجاة خطرة وتحتاج إلى قدرات ناقدة، لكن فى نقاش موضوع كهذا الموضوع، فإن الإنسان يجد نفسه مضطرًا أن ينظر حوله باحث عما إذا كانت الطبيعة بوجه عام تعرف مبدأ مماثلًا أم لا».

«وبما إننا متفقين من خلال الإثباتات والقرائن والحقائق الكثيرة والعديدة التى إستعرضنها فى السابق (من خلال كتابى ـ الروح أسرار وحقائق) والتى تعزز فكرة وجود ذات روحية مستقلة عن الجسد العضوى، فإننا لسنا بحاجة لأن نغالى عندما نستند إلى نظرية د. أوسبورن التى تقول إن هذا المركز الروحى يملك القدرة على أن يعبر عن نفسه فى شكل عضوى لأكثر من مرة. وما فعله هذا المركز الروحى ذات مرة، بمقدوره أن يفعله ثانية فيما يبدو».

«وهذه مجرد طريقة للتقرير بأن الطاقة التى تبنى الأشكال مستقلة عن هذه الأشكال. والحقيقة التى تقول أن بلايين الخلايا يجب أن تتجمع لكى تصنع تشكيلًا عضويًا تشير إلى وجود مبدأ موجه بمقدوره أن يشكل، وأن يجمع بين الخلايا فى أشكال تكون تعبيرًا عنه. وكل الأشكال مركبة Composites (أى غير

بسيطة)، ولذا يجب أن تتحلل، لكن الطاقات التى تجمعها لا تفنى. فالحياة تحتفظ بطاقاتها فى صنع مراكز للوعى، وهذه المراكز التى توجد فيما وراء الأعضاء المادية Superphysically، من المتصور إنها تعمل فى توافق مع قانون دورات الحياة».

«وعند التسليم بوجود هذه المراكز التى تمثل المبدأ الذى يشكل الفردية ـ ولنستخدم فى التعبير عنها كلمة الروح ـ فإن منطق نظرية العودة للتجسد يصبح قويًا جدًا. ويصبح بصفة جذرية عبارة عن فقة التطور مطبق على الروح. ويكون بمقدورنا أن نتصور من سلسلة التجسدات أنها جزء من موكب نتمكن عن طريقه من حيازة القوة والقدرة على السيادة على عوالم المادة. ويكون من شأن هذا الإعتقاد أن يرفع عنا الإحساس بالظلم إزاء ما يولده إنتفاء المساواة من ظلم، وأن يقوى إعتقادنا فى أن حياتنا الشخصية لها مغزى معين. وأن يوقظ فينا الإحساس بالمسئولية الفردية والتقدير التام لهذه الحقيقة، وهى أننا مراكز للسببية، وإننا نصنع ظروفنا الخاصة، وإننا حكام مستقبلنا مادام حاضرنا رهنًا إلى حد بعيد بماضينا».

«وإنما هى الطاقات الخالقة لعقولنا التى تحقق هذه النتائج. فإن الأفكار التى تراودنا عبارة عن طاقات ترتد إلينا بحسب قدراتها الديناميكية، كما قد تذهب للآخرين، إن خيرًا أو شرًا. ويتعين علينا أن نتصور أيضًا أن طاقاتنا العقلية سوف تبقى حتى بعد وفاة أجسادنا العضوية، وإنها سوف تؤثر فى حالاتنا اللاحقة للموت. وليس هذا فحسب، بل إن هذه الطاقات سوف تخلق أشكالًا فى المادة التى وراء المادة العضوية، وإنها تحدد العوامل التى تقع وراء الظروف التى سوف نولد فيها ثانية. وفى ضوء الأبحاث الروحانية الحديثة، لا توجد أية صعوبة فى تقبل فكرة دوام الأشكال التى يخلقها العقل. ونحن منذ الآن قد ألفنا الأشكال الأكتوبلازمية (أشكال تتشكل من طاقات العقل الداخلية وتتجسد بشكل خارجى واضح وظاهر)، وأيًا كانت النظرية التى يتمسك بها الإنسان إزاءها، فإنها تبين على الأقل أن ثمة نوعًا من المادة يمكن أن يتشكل بحسب العقل، وإنه يحوز طاقات معينة».

هكذا عرض د. أوسبورن نظريته عن الإرتباط التطورى البيولوجى بالتطور الروحى ودورة التجسد، وقد إنتهى عدد من أبرز العلماء الآخرين إلى الإقتناع بصحة مبدأ العودة للتجسد بوصفه مبدأ بيولوجى كونيًا فى المقام الأول، وإن تطور الجسد الإنسانى يستوى مع تطور الروح. ومع مراعاة عدم وجود حواجز فاصلة بين الجسد والعقل، لاوبالتالى بين تطور الجسد وتطور الروح، ما دام الجسد المادى هو وعاء العقل والروح معًا.

ومما قد يعزز هذه النظرية تلك المرونة الشديدة التى يتميز بها الجسد الأثيرى فى سلوكه بشأن ظواهر التجسدات الإكتوبلازمية. وإبتداء، يعتقد أكثر الباحثين ـ خصوصًا الفرنسيين منهم ـ أن هذا الجسد الأثيرى ـ حتى فى وضعه المألوف ـ أصغر حجمًا من الجسد المادى فى غيبوبة التنويم المغناطيسى، فإنها تظهر بجلاء وجود فارق يتفاوت فى مداه بين حجم الجسد الفيزيقى للوسيط النائم وجسده الأثيرى. كما يؤيدهم أيضًا بعض صور التجسدات التامة والجزئية، المادية والأثيرية. فإنها بدورها تظهر أحيانًا صغر حجم الجسد الأثيرى بالمقارنة بالجسد الفيزيقى.

ولذا أطلق عدد من الباحثين على هذا الجسد الأثيرى وصف الجسد السيال Fluidique أو الجسد القابل للتشكل Plastique وذلك بالنظر إلى خضوعة للذاكرة، ناهيك بالجسد العقلى الذى يبدو إنه بدوره أكثر مرونة وفاعلية من الجسد الأثيرى. وهذه الإعتبارات مجتمعة تجعل من الممكن إرتداء المبدأ الروحى فى الإنسان جسدًا ماديًا جديدًا أكثر من مرة واحدة، وذلك بأن يتخلل رحم الأم عندما يبلغ الجنين مرحلة معينة من نموه، ويكون بمقدوره احتواء هذا المبدأ الروحى. وهذا الإحتواء يؤدى إلى تراجع سرعة ذبذباته وبالتالى إلى محو ذاكرته الشعورية بما لها وما عليها مؤقتًا. وتكون النتيجة هى السيطرة على هذه الذاكرة ـ إلى مدى أو إلى آخر ـ بحيث يبدو الجنين عند ولادته وكأنه يعيش ـ بحسب الظاهر ـ بدون تاريخ سابق، وبالتالى بدون ذكريات، طيبة كانت أو سيئة. ولكن يمكن لهذا المولود حديثًا فى حالات نادرة عندما يبلغ الرابعة أو الخامسة من عمره، أن يسترجع بعض ذكرياته هذه مرة أخرى.

الطبيعة الدوارة لكل ظواهر الوجود

إن التكوين الروحى للإنسان خاضع للتطور، بمقدار خضوعه لقانون آخر من أهم قوانين الطبيعة وهو قانون «السلوك الدائرى لكل ظواهر الوجود». وهذا السلوك الدائرى نلمسه فى كروية الأرض وحركاتها الدائرية حول نفسها وحول الشمس. كما نلمسه فى سلوك جميع النجوم والشموس والأفلاك والمجرات، فكلها خاضعة لتلك الحركة الدائرية، أو بالأدق لتلك الديناميكية الدائرية التى يسلم بها علم الفلك، والتى تتحكم فى مسيرة هذا الموكب الضخم من الحياة الذى يسكن هذا الفضاء الفسيح فى الكون، وهى بالطبع تتجاوز قدرات تصورنا البشرى.

بل حتى الضوء الذى كان يقال فيما مضى إنه يسير فى خطوط مستقيمة، أصبح بحسب حقائق النسبية يسير على الأمد البعيد فى خط منحنى ويعود حتما إلى مصدره الذى بدأ منه. ولذا نفى إينشتين إحتمال وجود خط مستقيم فى الطبيعة، مهما بعدت المسافة أو قربت. ويعتقد الكثيرون أن هذه الديناميكية الدائرية للأحداث تتحكم أيضًا فى عودة المبدأ الروحى فى الإنسان للتجسد مرة بعد أخرى فى حركة حلزونية متصلة ومتواصلة حتى تحقق الطبيعة أهدافها فينا، وهى تسمو على مداركنا بما لا يقاس، وبما يتجاوز قدرات تصورنا مهما أجهدنا هذا التصور. بل حتى دورة الدم اللازمة لجميع الكائنات الحية تتخذ لها سلوكًا دائريًا مستمرًا لا يتوقف إلا بتوقف الحياة العضوية.

وهذا السلوك الدائرى لكل ظواهر الوجود يدخل فيه أيضًا قانون دورات الحياة العضوية. فنحن نقترض أجسادنا العضوية من تراب الأرض وتتغذى من النباتات والحيوانات التى تتغذى بدورها من تراب الأرض. وبالموت يعود الجسد العضوى إلى تراب الأرض الذى تستمد منه من جديد النباتات والحيوانات غذائها. وما يجرى فى هذا الشأن بالنسبة لجسد الإنسان يجرى مثله أيضًا لجسد أى نبات، أو أى حيوان خضوعًا لهذا القانون الذى لا مفر لأى كائن منه وهو قانون «دورات الحياة». وإذا نظرنا إلى المكونات الأساسية

للغلاف الجوى (الأوكسجين ـ النيتروجين ـ ثانى أكسيد الكربون) نجدها أيضًا فى دورات مستمرة تتفاعل مع مكونات الكائنات على سطح الأرض، وتعود مرة أخرى للغلاف الجوى فى تنسيق يحفظ للغلاف الجوى إستمرار ثبوت نسبة الغازات الثلاثة فيه. وعناصر التربة هى الأخرى تجرى فى دورات دورية منسقة. فعند هبوط الأمطار تذوب بعض المواد المعدنية وتنقل مع مياه الأمطار، وبعضها يعود إلى تربة أخرى اثناء عمليات إنتقال المياه أو فى عمليات رى الأراضى الزراعية والبعض الآخر ينتقل إلى مياه المحيطات.

أما العناصر التى تصل مع مياه الأنهار إلى المحيطات والبحار فتقوم بعض الكائنات الحية والنباتات المائية بالإستفادة منها فى غذائها والإحتفاظ بجزء منها داخل أجسامها وإخراج الجزء الآخر للمياه مرة أخرى. وكذلك نجد أن جميع العناصر الموجودة فى التربة أو فى الغلاف الجوى المحيط بالكرة الأرضية أو فى المياه، والتى يستفيد منها الكائن الحى فى عملياته الغذائية، تعود مرة أخرى إلى مصادرها بعد أو أثناء حياة هذا الكائن الحى. وهكذا نجد أن هناك تنسيقًا (Harmony) يجرى على كوكب الأرض يشترك فيه جميع الكائنات الحية من نبات وحيوان. ويسير هذا التنسيق فى دورات محددة قد تجرى أحداها فى إتجاه عكس الأخرى ولكنها تعمل جميعًا على تثبيت النسب الواجبة للحياة وتواجد الموجودات على وجه الأرض.

والمتفحص لكوكب الأرض بنظرة جامعة، يجد أن هذا الكوكب الذى نعيش فيه يشبه المعمل الكبير. جميع أجزائه فى حركة دائمة من غلاف جوى إلى تربة، ومن عناصر إلى كائنات حية، ومن سحب إلى أنهار ومحيطات، الكل فى حركة دائمة تتداخل مع بعضها البعض.

بل أن كل ذرة على كوكب الأرض تعرف الطريق الذى تسير فيه فى دورات منظمة محددة، دورات منسقة واعية تدل على التخطيط السليم والتنظيم الدقيق المبدع بحيث يحافظ دائمًا ـ وهو فى تحركه ـ على إستمرار بقاء الحياة عليه. وعند أى خلل أو تعطيل فى هذه الدورات المنسقة فإن نهاية هذا الكوكب تكون المصير وتتناثر الحياة على سطحه، ولربما تناثر هذا الكوكب وأصبح شظايا فى

الفضاء (حامد عوض الله ـ مؤلف: الألوهية وفكر العصر ١٩٧٧م).

ويقابل دورات الحياة العضوية قانون آخر هو قانون ديناميكية الحياة الروحية، فالحياة الروحية غير قابلة للفناء لكنها تخضع لنفس القانون فى صيغة أخرى تتخذ صورة إهتزاز بندول الساعة. فكما أن البندول يتردد يمينًا ويسارًا، كذلك تتردد ديناميكية الحياة الروحية دائمًا بين الطبيعة المنظورة والطبيعة غير المنظورة. ويتجلى هذا التردد كأوضح ما يكون فى ظاهرة تجدد الأنسجة والخلايا التى تظهر وتتلاشى على الدوام فى جسم كل كائن حى لأنها تتردد بين الطبيعة المنظورة والطبيعة غير المنظورة فى ظهورها وفى تلاشيها الذى لا يتوقف، وليس بمقدوره أن يتوقف.

كما يتجلى بنفس المقدار فى ظاهرة إختفاء شخصية الإنسان بالموت ـ لا فرديته، وظهور نفس الفردية من جديد فى رداء آخر جديد هو ذلك الجسد الجديد الذى تقترضه الفردية من رحم الأم عند وصول الجنين إلى مرحلة ما من النمو. وهذه النظرية كانت كفيلة بإقناع بعض العلماء بصحة مبدأ العودة للتجسد بوصفه متضمنًا تعليلًا صحيحًا للتطور، ولظهور الحياة، وإختفائها، وعودتها ثانية للظهور كقانون طبيعى يحكم الوجود. ومن بين هؤلاء العلماء كما سبق أن ذكرت العالم الألمانى أوتو فرانك Otto Franck وزميله ديتريش أيكارت Dietrich Ekhart وغيرهم.

فكل هؤلاء العلماء وضعوا فى الإعتبار ذلك التحكم المركزى المذهل فى أنوية الخلايا الحية. هذه الأنوية (جمع نواة) التى تبلغ حجم البلايين منها حجم أقل من حجم رأس الدبوس تتحكم تحكم العقل المنظم إذ تسبح داخلها خيوط متشابكة مكونة من جزئيات ذات طابع خاص، وتخرج منها شفرات تنطلق داخل أجزاء الخلية المحيطة بها ـ تستطيع بها التحكم فى خواص وتفاعلات الخلية. ولكل شفرة تحكم محدد تفاعل معين، ولا يمكن لأى من التفاعلات أو الإنقسامات التى تحدث داخل الخلية أن تتم إلا بناء على شفرة معينة من تلك الشفرات التى تخرج من النواة.

إن عقل الإنسان الذى بلغ قمة الموجودات فى الإبتكار والإختراع لا يستطيع أن يصنع جهاز إليكترونيًا للتحكم فى مثل التفاعلات التى تتم داخل النواة مهما وصل من السمو والتثقيف والعلم. وإذا لإفترضنا جدلًا أنه يمكنه صنع مثل هذا الجهاز فسوف يتطلب حجم ذلك الجهاز مساحة تزيد عن قاعة هائلة. ولكننا نجد هذا الجهاز موجود داخل نواة الخلية التى لا يتجاوز حجم البلايين منها حجم رأس الدبوس الصغير. ومثال آخر، الجزئ الذى لا يتجاوز حجم الملايين منه رأس الدبوس، فإنه يتحكم فى الصفات الوراثية لكل جنس من المخلوقات الحية، نباتية كانت أم حيوانية. وأى تغيير أو تعديل فيه يغير من خاصية الجنس، ويعطى خاصية جديدة للكائن الحى. وهذا الجزئ المكون مملوء بالجينات (genes) ولكل جنس جيناته الفريدة المميزة (حامد عوض الله ـ الألوهية وفكر العصر ـ ١٩٧٧م).

الديناميكية الروحية

إن عملية تجديد الخلايا التى تجرى تلقائيًا بداخل جسم كل كائن حى بصورة تسبب الحيرة والذهول نبهت الأذهان إلى ضرورة العناية بدراسة ما يطلق عليه وصف «الديناميكية الروحية»، بل وإستخدامها كلما أمكن الإستخدام فى تحقيق صحة الجسد وإطمئنان الروح عن طريق سيطرة العقل والروح على الجسد. وفى هذا الشأن يقول المفكر الألمانى «ك.أ.شميدت K.O.Schmidt» فى كتابه عن «الروح والذرة» إن الديناميكية الروحية عبارة عن دراسة نطاق هذه الديناميكية فى الروح وتطبيقها. وهى لا تتبع أية مدرسة من المدارس العديدة فى علم النفس المتعارف عليه، لكنها تنبع تلقائيًا من تطبيق الحياة عندما يتجه التطبيق نحو هدف سام ومثل أعلى، هو السيطرة الظافرة على الذات، وبالتالى على مصيرها.

ويقول «شميدت» أيضًا على أن هذه الديناميكية مبنية على التعرف على قدرة الروح على التواصل إلى السيطرة على الجسد وعلى الحياة، وتنادى بالإستخدام الإيجابى للعوامل التى تشكل مصير الإنسان. وقبله ترسم الطريق

نحو فعالية الفكر، والإيمان المستقيم. فالديناميكية الروحية تقود بوجه خاص نحو إستخدام العقل، ونحو إتخاذ سلوك ونشاط مناسب للوجود، وفى نفس الوقت نحو تحقيق واع للذات، ونحو إتجاه خلاق ومتكامل للمصير.

إن الطاقة التى تشكل محور الديناميكية الروحية تشبه إلى حد كبير الطاقة التى تحيط بالذرات، فمثلًا لاحظ علماء الروح أنه كما أن تفتيت الذرة داخل مفاعل ذرى لا يقضى على طاقتها، بل يطلق كل طاقتها المحبوسة، ويطلق منها ضوءًا باهرًا، كذلك فإن الروح عندما تغادر جسدها المادى تظهر لها طاقات جديدة كانت محبوسة بداخلها، وينبعث منها أحيانًا ضوء واضح نراه كثيرًا فى تجارب الحالات للكائنات غير المتجسدة (تجارب بحثية). لذا يقول شميدت أن تشبيه نشاط الروح بنشاط الذرة هو التشبيه السائد فى العصر الحديث عند العلماء الذين يعتقدون أنهم وصلوا إلى الحقيقة فى محاولات إستكشافهم للروح بوصفها حقيقة قدسية. وعن هذا الإعتقاد تنبعث عدة مذاهب علمية ونفسية ولاهوتية بسبب الإختبارات المتزايدة التى تجرى على ظواهر الشفافية الروحية. وهى مذاهب نسبية ومتطورة مما دفع البعض حتى إلى إنكار الأساس الذى يقع وراء هذه الظواهر. متجاهلين أن الرموز والتشبيهات لا يمكن إلا أن تكون أمورًا نسبية بجانب الحقيقة المطلقة. وكما يجرى فى فيزياء الذرة فإن سؤالًا وحيدًا يمكن أن يثار هنا: وهو أى رمز هنا يقترب من الحقيقة أكثر من غيره؟

وبنفس الطريقة فإنه فى مبدأ ديناميكية الروح يثار نفس التساؤل وهو: أية فكرة رمزية تقترب أكثر من غيرها إلى حقيقة الروح والنفس؟ ولا يمكن إنكار أنه بالنظر إلى درجة النضج الحالية للبشرية فإن الفكرة الديناميكية والتطورية تظهر أقرب إلى الحقيقة من غيرها. وبالذات بحسب الإختبار العلمى والنفسى، والدينى للحياة، يتعين على المرء أن يتحدث ـ على أساس من الصواب ـ عن النشاط الديناميكى الفعال للروح، وعن حقل الطاقات المتصل به، ليس لإستخلاص معادلات رياضية تحكمه، بل لمواجهته بالتعبيرات الرمزية، على النحو الذى كان يعنيه الشاعر الألمانى المعروف (جوته Goethe) عندما قال:

"كل ما يجرى ليس إلا صورة مما لا يقبل الفناء، وهى صورة إنعكست علينا فى عالم الظواهر (أى العالم المادى).

وهذا الشرح التفصيلى السابق كما يقول «شميدت» كان لازمًا لكى نفسر كيف أننا نتحدث عن الطاقة الذرية للروح، التى تشهد بنشاطها القريب جدًا، والذى يختلط خلال الإختبارات الإيجابية بالفكر، وبالنشاط الديناميكى فى مفهوم الرموز والتشبيهات بالنسبة لصيرورة الجسم، والحياة، والمصير. لقد شرح العالم «هيروارد كارنجتون Hereward Carrington» بعضًا من المعانى المماثلة عندما قال: «لقد تقبل العلم الحديث فكرة أن شيئًا ما يمكن أن يكون غير منظور لكن حقيقيًا، وأن الحواس بمقدورها أن تدرك أشياء منظورة أو غير منظورة، وإن كل الطاقات والحقائق غير منظورة وستظل كذلك دائمًا. والوعى هو أعظم الحقائق الكونية، ومع ذلك فإن أية حاسة من الحواس المألوفة لم تصل إليه. والإنسان العادى ينظر إلى نفسه بوصفه جسدًا يحوز روحًا مؤقتة، والحقيقة أن الإنسان روح تحوز جسدًا مؤقت. وهذا أمرًا فى غاية الأهمية نحتاج إلى أن نؤكد عليه حتى تتكون لدينا نظرة صحيحة عن الإنسان فى علاقته بالكون».

إن هذه الأقوال السابق ذكرها لم تصدر جزافًا، ولا نتيجة تسرع فى الإستنتاج، بل صدرت من عالم معروف فى تخصصه فى علوم البحث الروحية وهو الذى أسس «المعهد الروحى الأمريكى ومعمله ـ American Psychical Institute and Laboratory» منذ سنه ١٩٢٠م، ووضع عدة مراجع قيمة فى هذه الموضوعات، منفردًا أو بالإشتراك مع علماء آخرين.

وتظهر أهمية هذه الأقوال عندما نضع فى الإعتبار إنها تمس تكييف علاقة الإنسان بالكون تكييفًا صحيحًا. وهذه العلاقة هى أساس علم المنطق الذى يعتبر المنفذ الوحيد لكل تفكير استدلالى صحيح. وإنه لمن الخطأ الفادح إذا شيدت المعارف الإنسانية على منطق خاطئ أو ضال، كما عهدنا فى معظم العلوم والتى تقوم على أساس من الفلسفة المادية للوجود، متحديًا كل حقائق

الروح. إننا فى النهاية نجد أنفسنا بعض هذا العرض والتحليل إزاء التطور بوصفه حقيقة كونية ثابتة، وواضحة أحيانًا إلى الحد الذى لا يقتضى الوقوف عندها طويلًا لإثباتها. وإذا تقبلنا التطور بوصفه قانونًا ثابتًا من قوانين الطبيعة، فإنه يتطلب حتمًا:

أولًا: وجود جوهر: أى عنصر متطور بمضى الوقت.

ثانيًا: دوام هذا العنصر خلال التتابع غير المحدود لأجيال متعاقبة.

والمعنى بالجوهر هنا هو الوعى، أو قدرة الكائن على أن يكون واعيًا منذ مبدئه على نحو أو آخر. وعند الوصول إلى مرحلة الإنسان، فإن تطور هذا الوعى قضية لا نجد لها فى نظرية «اللاشعور الجمعى» الذى تذوب فيه اللاشعورات الفردية المؤقتة، ولا فى الوراثات من الأسلاف. إنما وراثة الذات من نفسها بسبب تنقلاتها من الجانب المنظور للطبيعة إلى الجانب غير المنظور وبالعكس، فهى تلك التى تفسر وحدها حدوث التطور. كما تفسر أيضًا تلك الفروق الضخمة فى الطبائع التى تبرز بين أفراد متعددين قد ينتمون إلى نفس الجيل، وإلى نفس الوراثة من الأسلاف.

ويتسق هذا القول تمامًا مع مبدأ العودة للتجسد، الذى يقتضى أن يكون للوعى الفردى صفة الدوام، ولكنه من آن لآخر يرتدى شخصية جديدة تبدو مستقلة عن ظروف الوراثة من الناحية النفسية. فالإنسان فى كل ولادة إنما يلتقى تركة المعرفة التى تجمعت لديه من حيواته السابقة ناهيك بدور الوراثة. وكل شخصية ليست سوى مظهر انتقالى ومتتابع لوعى فردى واحد يسير فى طريق التقدم خلال إتخاذه عدة شخصيات متعاقبة (الكاتب جورج شوفرييه ـ كتاب ـ المهمة الخلاقة ـ باريس ـ ١٩١٧م).

يقول الدكتور «جوستاف جيلى Gustave Geley» مدير المعهد الدولى لما وراء الروح ـ باريس، وهو مؤسسة دولية معترف بها رسميًا منذ ١٩١٩م، وهو عالم جليل فى هذا المجال الروحانى الهام:

«أية ذكرى لا تضيع، ولا أي إختبار نفسى أو جوهرى. إن الأعضاء تلحقها تطورات واسعة خلال مجرى الحياة، وبلا ريب تجرد نفسها جزئيًا بعد جزئ. وحالات الشعور تتابع بتغير بعضها عن البعض الآخر تغيرًا كبيرًا أو يسيرًا. وإن الحياة مصنوعة فى حقيقتها من سلسلة حيوات: حياة الطفولة الأولى، ثم حياة الطفولة، فالمراهقة، فالرشد، فالشيخوخة، وكل حياة منها متميزة عن الأخرى رغم أنه يجمع بينها أساس مشترك. وهذه الحيوات تتأثر إلى مدى أو إلى آخر بما يبدو أنه نسيان نهائى لما مضى، وكل نسيان منها يكون للكائن بمثابة موت صغير. ولكن خلال تجدد الجزئيات العضوية، وحالات الشعور هذه، وهو يحتفظ بها بطريقة غير قابلة للمحو. فهى إذن ليست حالات ضائعة، حتى وإن ظلت خامدة فى جانبها الأكبر.

ومع ذلك فهذا ليس كل شىء، فإن الروح اللاشعورية التى تثرى بهذه الطريقة فى مجرى حياتها من كل حالات الشعور المتجددة لا تكتفى بتسجيلها، بل تقوم بهضمها وإمتصاصها أيضًا. لأن جميع ما تحصل عليه من معرفة واعية تهضمه ثم تحوله إلى ملكات. وهذا أمر واضح خلال مجرى ومسار الوجود الإنسانى والكونى حيث نجد أن الكائن ينمو، ويحصل على ملكات جديدة أكثر وضوحًا من الإحساس، والإدراك، والمعرفة. وهذا النمو النفسى لا يمكن إلا أن يكون ثمرة تحول المعارف إلى ملكات. وهذا التحول لا شعورى، وهو لا يجرى فى جزئيات المخ غير المستقرة والفانية، بل يحتاج إلى كيان دائم وعميق فى الشطر الدائم والجوهرى من الكائن، أى فى كيانه الديناميكى الروحى الباطن.

وهكذا يكون التغير المستمر للشخصية الواعية ليس بذى قيمة تذكر، لأن الفردية الباطنة الدائمة تحتفظ بالذاكرة غير القابلة للمحو عن جميع حالات الوعى التى مرت بها. ثم ينتقل دكتور «جوستاف جيلى» إلى أهم نقطة تعنينا هنا مباشرة فيقول إننا إذا كنا لا نجد فى مجرى وجودنا الراهن سوى مصدر جزئى

فحسب من كنز اللاشعور، فإنه يكون من حقنا أن نبحث عما يكمل هذا المصدر فى إختبارات سابقة، وأن نرجع إلى ما وراء الوجود الراهن لتفسير اللاشعور.

ولا ريب أن هذا الإستنتاج خطير، ويبدو للعديد من القراء للوهلة الأولى أنه غير متناسب مع الوقائع التى يستند إليها، بل خارقًا للعقل. ولكن لا ينبغى أن ينظر إلى هذا الإستنتاج على حدة، بل مرتبطًا بمجموع الأدلة الأخرى، وعندئذ يكتسب قوة جديدة. وليس من الصعب أن تتفهم كيف أن «الديناميكية الروحية الجوهرية» عندما تتجسد فى وحدات عضوية جديدة (أى فى أجساد جديدة قادرة على حمل الأرواح) تحتفظ لنفسها بالذاكرة العميقة عن الإختبارات التى حققتها فى تمثلاتها السابقة.

إذا يفترض دكتور «جوستاف جيلى» إنه بدلًا من الحديث عن وجود واحد، ينخرط الوجود الإنسانى فى سلسلة من الوجودات المتتابعة، وإنه يتفهم كيف أمكن للإنسان الحصول على الشعور بادئًا من اللاشعور الفطرى. فإن كل وجود منها ـ وهى وجودات لا حصر لها وشديدة التنوع ـ قد أحدث أثارًا عميقة فى الديناميكية الجوهرية للكائن، وترجم عن نفسه بحالة من الوعى: أى بذكرى، أو بملكة أو بالأثنين معًا. وهكذا يتحول الكائن تدريجيًا من اللاشعور إلى الشعور.

وهذا الإستنتاج لا يتعارض مع المنهج والأساس العلمى، ومن الصعب أن يجد أى باحث جاد أى سبب للإعتراض عليه. أما فيما يتعلق بنسيان الوجودات السابقة، فإنه ليست له أية قيمة بالنسبة للعلم المعاصر، لأن الذاكرة لا تلعب إلا دورًا ثانويًا فى علم النفس الحديث، أما النسيان فهو يحدث دائمًا وفى كل مكان.

إن الواقع يظهر أن الجزء الأكبر من الذكريات الإنسانية يتلاشى خلال الوجود. وذاكرة الإنسان، وأعنى بها ذاكرة المخ، قابلة للمحو، وهى غير ثابتة، وعاجزة، وكثيرًا ما تخوننا فى الحياة اليومية والعادية. وهى كذلك فى حالات الغيبوبة الإستثنائية، كالحالات الثانوية التى تحدث تلقائيًا، أو تلك التى تحدث فى الغيبوبة المغناطيسية أو المسببة.

ولكن فوق هذه الذاكرة المخية، الجزئية، الزائلة، توجد الذاكرة اللاشعورية، أى تلك الذاكرة الفردية الحقيقية الكلية، غير القابلة للزوال، ولا للتدمير، شأنها فى ذلك شأن الفردية نفسها. ففى هذه الذاكرة الأساسية تظل محفورة للأبد جميع أحداث الحياة الحاضرة، وجميع الذكريات، وجميع المكاسب الواعية التى تم الحصول عليها عن طريق السلسلة العظمى للحيوات السابقة.

وهكذا إستنتج دكتور «جوستاف جيلى» إنه يمكن لنا أن نتفهم تمامًا التطور الفردى من خلال هذا التفسير، وإنه يمكننا أن نحل جميع المشكلات الطبيعية والفلسفية المتعلقة بالفرد. ولاريب أنه من وجهة نظر علماء «ما وراء الطبيعة» فإن فكرتنا تجد مكانًا متسعًا لها، لكن من وجهة نظر علم النفس فإنها لا تترك لغزًا بغير حل له. ثم يأتينا «جيلى» بماهية مصير الإنسان مستندًا إلى إستنتاج رئيسى، وهو إن إندماج الشعور فى اللاشعور سيؤدى إلى إضاءة جوانب هذا الأخير شيئًا فشيئًا، وسيأتى وقت لا يعد فيه ثمة شىء غامض عن اللاشعور. وعندما يصل الإنسان إلى ما نطلق عليه «قمة التطور الروحى» بمقدار ما يمكننا أن نتصور هذه القمة، فإن الإنفصال الظاهر، أو الحاجز الوقتى بين الشعور واللاشعور سيختفى. وكل ما يكون الكائن مثل الملكات والمواهب والمعارف، وكل ما حازه خلال ماضيه الهائل من خبرات يصبح فى متناول يده، كلية، ومباشرة، وبإنتظام، وبصورة طبيعية. حتى الملكات فوق المألوفة والغير معتادة ستكون رهن إشارة إرادتة الواعية.

هذه هى بعض جوانب فلسفة «جوستاف جيلى» عن التطور الروحى من اللاشعور إلى الشعور، وهى فلسفة أصلية وتعتمد على حقائق وصفية كثيرة وتفسر العديد من الغاز الوجود التى صادفها جيلى فى حياته العادية، كما صادفها فى بحوثة الروحية بكافة أنواعها الفيزيقية والعقلية والتى كان يجريها داخل «المعهد الدولى لما وراء الروح» بباريس. وهى إلى ذلك تعطينا تعليلًا يتعذر تمامًا الحصول على أفضل منه عن مصدر الإدراك خارج الحواس، وتحديدًا يتعذر الحصول على أنسب منه لحقيقة الصلة بين اللاشعور والشعور، ولموضوع كل منهما من تطور ملكات الإنسان، ولصلة ذلك كله بالعودة المحتملة للتجسد الأرضى مرات ومرات.

وثمة نقطة فى هذه الفلسفة لا تثير الآن أى نقاش فى دوائر الباحثين، وهى أن الإنسان الراهن لا يمثل تجسدًا تامًا لكل عناصر وعيه، أى لكل عناصر تكوينه الشعورى واللاشعورى، بل أنه يمثل فحسب تجسدًا عارضًا لجانب يتفاوت فى مداه من هذا الوعى الذى يعمل خلال المخ، حين يظل باقية ـ إلى مدى أو إلى آخر ـ خامدًا خارج إطار المخ والجهاز العصبى للإنسان.

وخلاصة القول عند المقتنعين بدوام حياة الإنسان بعد الموت كنتيجة تفرض نفسها فرضًا تأسيسًا على بينات لا تحصى توصل إليها أسلوب التحقيق الوضعى، إن الإنسان يكون بعد تخليه عن جسده الترابى بفترة تتفاوت فى مداها أفضل مما كان قبل هذا التخلى، من الناحيتين العقلى والوجدانية. وهذا التحول نحو الأفضل يجئ نتيجة زوال الحاجز القديم بين الشعور واللاشعور، والذى كان من صنع الجسد المادى الخاضع لهيمنة المخ والجهاز العصبى، وهما جهازان بالغا الضعف بالمقارنة بالعقل والجهاز الأثيرى، وهذا حتى إذا صرفنا النظر عن الأمراض الجسمانية التى قد تصيب المخ والجهاز العصبى من شتى المصادر وأولها الشيخوخة، وكل أمراض الدورة الدموية أيضًا، بالإضافة إلى الأمراض التى تصيب المخ والأعصاب بصفة مباشرة. ولذا نجد أن بعض الباحثين فى الدراسات الروحانية يتحدثون كثيرًا عما يسمونه «ذواتنا العظمى» التى نحصل عليها عن طريق «عملية الموت» أو بالأدق عن طريق عملية التحول عن طريق الموت أى مغادرة السجن الرهيب الذى يعتقل جانبًا هامًا من وعينا وبالتالى يعطل الأستخدام الكامل لحواسنا وملكاتنا الفطرية، ألا وهو الجسد المادى بكل ما يتحكم فيه من عناصر الضعف المتوازنة أو المكتسبة.

و«ذواتنا العظمى»، أو بالأدق ذواتنا التى تسير سيرًا حثيثًا وإن كان بطيئًا نحو النمو والثراء فى العقل والوجدان، عن طريق العلم الصادق والخلق النقى، هى موضوع فلسفة النقى فى علم الروح الحديث، كما هى موضوع فلسفة الروح فلسفة النفس فى علم الحديث. إن علم الروح الحديث ويشاركه فى ذلك بعض علماء علم النفس الحديث يعتبرون الموت مرحلة لا تمثل فناء للإنسان، أو بالأدق للعنصر الخالد فيه وهو مبدؤه الذاتى Ego Principle، أو فرديته الروحية

Psychical Individuality بحسب تعبير العالم «وليام مكدوجال»، بل يمثل «تحولًا من الحالة العضوية إلى تلك الحالة اللاعضوية التى جاء منها»، وذلك بحسب تعبير العالم النفسى» سيجموند فرويد «فى آخر طبعة له من كتابه «معالم التحليل النفسى». وذلك عندما اقتنع فى أواخر حياته وبعد طول مكابرة وعناد بدوام حياة الإنسان بعد الموت. وهذه المكابرة الطويلة تضفى على إقتناعه المتأخر قيمة خاصة نظرًا لمكانته العلمية الكبرى فى تاريخ علم النفس.

وثمة تساؤل أخر فى هذا الفصل، وهو أنه إذا كان تفسير كل هذه الظواهر المتلاحقة التى تنتمى إلى نوعية الظواهر فوق المألوفة والتى حللها بناء على نظريات التطور الروحى والعلوم الروحية فى هذا الفصل، فينبغى للقارئ الميل إلى قبول مبدأ العودة للتجسد كمبدأ طبيعى، لإنه ما من سبب آخر يدعونا فى النهاية إلى تجاهل هذا التفسير المناسب.

كان من الممكن أن يتجه العلم الموضعى إلى غير هذا الإتجاه ويحاول بكل السبل الوصول إلى تعليل آخر، لو كان التعليل بالعودة للتجسد لا يتواءم مع ما حصل الإنسان عليه من معطيات أخرى متنوعة عن حقائق الوجود المختلفة المتصلة بالوعى الإنسانى، وبالتطور وبالمادة وبوجه عام بالمبادئ العامة فى الطبيعة الإنسانية وفى البيولوجيا والسيكولوجى. ولكننا رأينا أن التعليل بالعودة للتجسد يبدو إلى الآن أكثرهما توافقًا مع هذه المعطيات فى حالتها الراهنة، ناهيك بمبادئ الفلسفة العامة، والعقائد المقارنة منذ أقدم العصور إلى الآن.

ومع ذلك فقد تردد بعض العلماء فى قبول التعليل بالعودة للتجسد، ولا يزال يتردد بسبب الإرتباط المسبق برفض هذا التعليل، وإن كان العدد الأكبر منهم أخذ يتحول تدريجيًا إليه بسبب توافقها الصارخ من جهة أخرى مع المعطيات العلمية المتنوعة التى سبق التعرض لها إلى حد إننا نتوقع أنه لن يمضى وقت طويل إلا ويكون الإعتقاد بالعودة للتجسد قد أدرج نهائيًا بين هذه المعطيات نفسها.

الفصل الخامس

مرحلة ما بعد الموت

وماذا يحدث للروح قبل التجسد؟

(الروح فى المجال الفلكى)

obeikandl.com

obeikandl.com

دراسات الباراسيكولوجى الحديثة
فى مجال ما وراء الروح بعد الموت

لقد حاولت جميع فروع الطب والسيكولوجى والباراسيكولوجى الحديثة دراسة وتحليل التركيبة الروحية، وعن ماذا يحدث لها بعد إنفصالها عن الجسد، أى بعد ما يسمى بالموت الجسدى الكامل، وهو ما تسميه ابحاث الباراسيكولوجى بحياة الروح فى المجال الفلكى. لقد قام الباحثين فى مجال الباراسيكولوجى مؤخرًا بالتركيز على مرحلة هامة للكينونة الروحية خارج الجسد البشرى وهى مرحلة الحياة فى المجال الفلكى بعد إنفصالها عن الجسد بعد الموت. وبما إننا ناقشنا فى الفصول السابقة ظاهرة التجسد أى حلول الروح مرة أخرى وعودتها للجسد الإنسانى، فيتبقى السؤال الهام وهو ماذا يحدث للروح فى المرحلة الإنتقالية بين تركها جسد وحلولها فى جسد جديد. وهذه المرحلة الهامة هى حتى الآن مرحلة للروح يلفها الغموض، ولذلك فسوف أبرز فى هذا الفصل أحدث ما توصل إليه علماء الباراسيكولوجى فى دراسة هذه المرحلة وهى نظرية «السبعة أجساد الروحانية للإنسان».

نظرية السبعة أجساد الإنسانية

وفقًا لمؤسسى هذه النظرية من علماء الباراسيكولوجى وعلوم الدراسات الروحية، فإن جسم الإنسان يتألف من سبعة أجساد تختلف بينها بتواتر الإهتزاز وكثافتها المادية، أى بدرجة كثافة المادة الجسدية ودرجة المادية ذاتها. وهذه

الأجساد كأنها تتداخل فى بعضها البعض، ولكنها وبسبب إختلاف تواترها، تتواجد فى مستويات مختلفة للكينونة. وهذه الأجساد هى:

الجسد الأول: وهو الجسد الفيزيائى الملموس.

الجسد الثانى: وهو الجسد الأثيرى.

الجسد الثالث: وهو جسد الرغبات (الفلكى).

الجسد الرابع: وهو ذهنى (جسد الأفكار).

الجسد الخامس والسادس والسابع: فتنتسب مباشرة «للأنا» الخاصة العليا وهى جزئية وجزء من المطلق.

ونبدأ بشرح هذه الأجساد كل على حدة تبعًا لتفصيلات النظرية:

الجسد الفيزيائى

يرى الناس ويلاحظون الجسد الفيزيائى الذى يتألف من عدد هائل من الخلايا. ومجموعات الخلايا المتماثلة تكون النسيج الداخلى والخارجى للجسم والأعضاء التى تعود لها وظائف الجسم المختلفة مثل الوظائف التنفسية والهضمية وغيرها. ولهذا الجسد فترة حياة محددة ومن ثم يهلك، وكذلك خلاياه ذات محدودية حياتية معينة، فهى إما تهلك أو تنقسم.

الجسد الأثيرى

نسخة طبق الأصل من الجسد الفيزيائى ووظيفته الحفاظ على شكل الجسد الفيزيائى وحمايته ومساندته. وهذا الجسد هو إضافة لذلك يعتبر همزة الوصل بين الجسد الفيزيائى والفلكى، لونه بنفسجى سماوى مضئ ويتلقى الجسد الفيزيائى الطاقة من خلاله. وعندما يضعف أو يتقلص جزء من الجسد الفيزيائى ولنفرض اليد أو القدم نتيجة لتباطؤ جريان الدم أو لمرض معين، فإن جزءًا من الجسم يتوقف عن العمل. إن قدرة الجسد الأثيرى على شحن الجسم أو العضو الفيزيائى بالطاقة تتناقص تدريجيًا بعد سن الثلاثين.

إن القوانين المستنبطة من الدراسات الروحانية الحديثة تشير إلى أن ظواهر تجسد الروح أو التقمص الجسدى التى تحدث فى بعض الأوقات أثناء دراسة التجسد الروحانى مرتبطة معظمها بالجسد الأثيرى.

الجسد الفلكى

وهو الجسد الذى تنبع وتجرى فيه عملية العواطف والرغبة، وهو رباعى المقاييس، متحرك غير منظور لحواس الرؤيا وأجهزة الرصد المرئى، ولا يمكن إثبات وجوده حتى الآن أو نفية من خلال الوسائط والوسائل والأجهزة الفيزيائية، لكن يمكن للأشخاص المتمتعين بقدرات معينة مراقبته. وخلال حياة الإنسان المادية يتخذ الجسد الفلكى طبقًا للدراسات التى أجريت شكلًا بيضاويًا يحيط بالجسد الفيزيائى، وهو أكبر قليلًا منه، وربما يبعد عنه بمقدار عدة سنتيمترات، وحول الرأس تتربع ما يشبه الهالة التى يميل لونها إلى الأصفر وهى تمثل النشاط الذهنى والعقلى، بينما يمثل اللون الأحمر الغامق النشاط الحياتى القوى، ويتجدد ويلتصق حول البطن السفلى ومنطقة الأعضاء التناسلية. والكائنات البدائية روحيًا تتمتع بألوان كثيرة وعدم تحديد فى محيطات الجسد الفلكى، بينما الكائنات عالية التطور لديها جسد فلكى محدد يترك بصماته على مختلف أطياف الضوء ووفقًا للوضع النفسى لها. ويعتبر الخيط الفضى الذى ذكرته بعض الأديان والأساطير، وهو أداة الأرتباط بين الجسد الفلكى والأثيرى والفيزيائى وهو يقع فى محيط القلب وينقطع لحظات الموت.

إن ما يسمى بالجسد الفلكى يخرج من الجسد الفيزيائى فى وقت النوم الذى يسميه القدماء (الموت الصغير)، ويبدأ تجواله فى المكان بصورة غير مرئية محققًا تلك الرغبات التى لم تتحقق فى أثناء الوعى النهارى وبذلك يتحرر من التوتر الداخلى. ويشاهد الناس غالبًا أحداث مرتبطة بحياتها الأرضية، والبعض الآخر من الناس يتحكمون بأحلامهم ويستطيعون من خلالها التنبؤ ورؤية ما سيحدث لاحقًا.

الجسد الذهنى

هو هذا الجسد الذى يخطط لأعمالنا وتصرفاتنا، أى ما يسمى ببنية السلوك العقلى، وحين يستغرق الإنسان فى النوم بعمق، يكون قد فصل الجسد الذهنى عن ذاته. إن الأجساد الفيزيائية والأثيرية والفلكية والذهنية هى أجساد مؤقته ولا تشكل جزءًا متممًا أو مؤلفًا للنفس والروح الخالدة.

يعيش الإنسان ويظهر نشاطه فى ثلاث مستويات:

فى المستوى الفيزيائى: من خلال أفعاله وسلوكه.

فى المستوى الفلكى: من خلال رغباته.

فى المستوى الذهنى: بأفكاره.

وللتعامل مع كل هذه المستويات، يتمتع الإنسان بجسد أو موصل للوعى من مادة هذا المستوى أو ذاك، ويعمل كأداة للتعرف، ومعرفة العالم وكيفية التعامل معه. يستخدم الإنسان هذه الموصلات خلال زمن يطول أو يقصر ويرميها عندما لا يعود بحاجة إليها.

ومحصلة الأجسام الباقية ـ الخامس والسادس والسابع ـ تشكل الجزء الخالد من الإنسان، أى النفس ـ الروح. والجسد الأكثر رقيًا هو عبارة عن جزء من المطلق، وهذا الجزء هو «الأنا» الخاصة بنا مباشرة، وتسمى عند الهندوس «أتمان». تقبع «الأنا» فى جسد العقل الروحى، أى ما فوق الوعى، وهى تعطى الإنسان القدرة على التنبؤ والرؤية والعبور لجوهر الأشياء من خلال التكشف اللحظى. والأنا إضافة لجسد العقل تشكل الروح الخالدة الأبدية والمتماثلة لدى جميع البشر، وهى الأساس لنفس وروح كل إنسان دون أن يعى ذلك. يتركز الوعى الذاتى حول «الأنا» وجسد العقل الروحى، مع التفكير المجرد وكذلك مشاعر وميول العقل. وهذا الجسد يعتبر بمثابة الحاضن والحافظ لنتائج تجارب الحياة ومعاناتها، ويحفظ أيضًا ما تم إكتسابه من خصائص ومواصفات ذهنية وأخلاقية.

المستوى الفلكى ومجالاته المطابقة لأجساد الإنسان الشفافة

يسميه الباحثين الثيوصوفيين الجدد المستوى الفلكى «محصلة مستويات الكينونة والوجود لمختلف أجساد الإنسان» التى ذكرتها عدا المستوى الفيزيائى الذى يوجد فيه المستوى الفلكى. وكل جسد من هذه الأجساد للإنسان غير مرئى ـ ما عدا الجسد الفيزيائى ـ الذى يقوم بوظائفه فى مجال محدد له. ويجب أن يفهم أن المقصود من مجالات المستوى الفلكى المختلفة هو مختلف تواترات الوجود والكينونة فى الفضاء. وبمقدار ما يكون تواتر وتردد الإهتزاز أعلى، بمقدار ما يكون الجسد أكثر دقة وشفافية.

يقع المستوى الفلكى فى حقل إهتزاز ذى تواتر وتردد عالى لا يمكن تحديده بواسطة الوسائل الفيزيائية ذات المحدودية. وكى يتخلل الجسد الفلكى جسد الإنسان الفيزيائى، فإن هذا الجسد الفلكى يخترق الفضاء المحيط بالكرة الأرضية ويتجه إلى الأرض نفسها، (كما فى الإنسان، هى جهاز وعضو حى، وتتمتع بجسد فلكى. ودراسة هذا الجسد ـ الذى هو عبارة عن الضوء الفلكى ـ يعنى دراسة الهالة الخاصة بالكرة الأرضية. يقول الباحثون فى مجال الدراسات الروحانية أنه يمكن لمن توضحت وتكشفت له الرؤى مثل الأنبياء والأولياء أن يروا ويستقبلوا هذا الضوء الفلكى لهالة الأرض. وأولئك الذين لديهم القدرة على ذلك يتمتعون بإمكانية إعادة تكوين وإسترجاع أحداث الماضى.

ماذا يحدث لحظة الموت تبعًا للتحليل الباراسيكولوجى

تبعًا للتحليلات والدراسات الباراسيكولوجية، وللثيوصوفيين أيضًا، فإنه عندما تغادر «الأنا» الجسد الفيزيائى ـ أو فى تلك اللحظة المسماة بلحظة الموت، فإنها تترك خلفها جميع الأغطية والحواجز والأغشية والأنسجة والأجساد. وتخرج الروح من الجسد الفيزيائى، وبذلك تحرم مجموعات خلايا الجسد الفيزيائى من التحكم بالوعى الباطنى (ما تحت الوعى) وبذلك، فما ينتج لاحقًا هو هلاك هذه الخلايا الجسدية واحدة تلو الأخرى، وتبدأ عملية تفكك الخلايا

إلى عناصرها المكونة لها فى الأصل، والتى تتحد لاحقًا فى مجموعات مختلفة ذات شكل طبيعى، نباتى كان أو حيوانى.

وتسير هذه العملية بشكل متطابق مع ما قاله أحد الحكماء القدماء: «الموت هو مجرد شكل من أشكال الحياة. وتحطم شكل مادى هو عبارة عن بداية تشكل وبناء شكل آخر..» وبحكم أن الجسد الفيزيائى قد إنفصل عن الإنسان لحظة الموت، فإن الجسد الأثيرى يتحول لغلاف خارجى ويصبح الإنسان ـ بعد موته الفيزيائى ـ غير مرئى لمن يتابع العيش فى جسده الفيزيائى.

لقد تمت دراسة عملية الموت والإحتضار ـ أى عملية خروج «الأنا» من الجسد الفيزيائى ـ والعمليات اللاحقة لها خلال زمن محدد مساو لزمن الموت الأكلينيكى من قبل العالم الأمريكى الشهير «مودى» مؤلف كتاب «الحياة بعد الحياة ـ البحث فى محتوى إستمرار الحياة بعد موت التجسد». وقد بحث دكتور «مودى» فى عملية الموت والإحتضار بطريقة تتشبه مع أبحاث الموت الأكلينيكى وتجارب العودة من الموت التى سبق أن استعرضتها فى كتابى السابق عن «الروح ـ اسرار وحقائق»، ولكنه فى هذه المرة، يستعرضها من وجهة التحليل الباراسيكولوجى والعلمى.

لقد بحث الدكتور «مودى» خلال خمس سنوات أكثر من مائة حادثة موت إكلينيكى ثم إعادة الحياة لمعظم من تعرض لها. وجمع شهادات هؤلاء الذين مروا بتجربة الوت وعادوا. يقول هذا الباحث فى الملاحظات بحثة القيم إنه بعد أن يترك الإنسان جسده الفيزيائى، يبقى قادرًا على سماع الموجودين بالقرب منه لحظة الموت والمتحلقين حول جسده الفيزيائى. وهو يسمع الطبيب الذى يدون شهادة وفاته، ويمتلئ فى لحظة الموت أو قبله مباشرة على وجه التحديد بأحاسيس وحواس سمعية غير عادية، ويسمع صوت دق الأجراس أو موسيقى رائعة، وقد تكون أصوات طنانة مزعجة، أو صوتًا مشابهًا للريح، ويبدأ بعد ذلك بالأحساس بالإنتقال السريع أو الحركة من خلال قنال ما، أو النفق المعتاد ذكره فى معظم حالات العودة من تجربة الموت، ولكن تلوح له عندئذ فى نهاية هذا

النفق أضواء كثيرة، وبمقدار الإقتراب من الضوء، بمقدار ما يصبح براقًا وأكثر وهجًا. ويكون الضوء الأبيض تبعًا لمعظمهم (أو أبيض مشوب ببعض الصفرة) مصاحب بوهج غير عادى ولكنه لا يغشى الأبصار ويسمح برؤية كل شىء وكل ما هو موجود حوله. ومن مر بتجربة الموت الإكلينيكى لم يشك من ذلك الضوء بل يؤكد أنه ليس مجرد ضوء بل يؤكد أنه ليس مجرد ضوء بل يكون مثل كائن محدد، نير، مضئ.

ويسرد الذين إشتركوا فى بحث الدكتور «مودى» أن الكائن المنير يدخل بعلاقة مباشرة مع الإنسان لحظة ظهوره من النفق. إن الإنسان حتمًا لا يسمع صوتًا ولا نداء، وتتم عملية نقل الأفكار مباشرة وبشكل واضح ولحظى ودون الحاجة لوسيلة أو واسطة، وبعد أن يظهر الكائن المنير، ينقل للإنسان بعض الأفكار المحددة وهى على شكل أسئلة والتى فى حال نقلها للغة الكلمات كما قالوا يمكن أن تعنى الآتى: (هل أنت جاهز ومستعد للموت؟)، (وماذا فعلت بحياتك؟)، (ماذا بإمكانك أن توضح لى؟). وخلال هذا الزمن اللحظى يشعر الإنسان بالحب ويتحسس المساعدة المقدمة له من الكائن المنير الذى لا يتوقف عن أجوبة الإنسان مهما كان إحتمالها. ولا تطرح الأسئلة بهدف الحصول على معلومات بل لمساعدة الإنسان وإرشاده لطريق الحقيقة عن ذاته.

ويعتبر ظهور الكائن الذى يشع نورًا أكثر اللحظات توترًا بالنسبة لجميع الأشخاص الذين مروا بتجربة العودة من الموت، ويقدم النور للإنسان لوحة حياته كاملة ونمط معيشته وأفعاله. ومن مر بتجربة الموت الإكلينيكى يعرف هذه اللحظات ويقر بأن لوحة الحياة الماضية توالت أمام ناظريه بتتابعها الزمنى. بعضهم شاهد حياته لحظيًا ومر شريط حياته أمامه دفعة واحدة. كانت اللوحة ملونة كما ذكر بعضهم وثلاثية الأبعاد، لا بل متعددة الأبعاد ومتحركة أيضًا. ويتذكر هؤلاء كيف أن شريط حياتهم إستدعى لحظيًا المشاعر ذاتها والإنفعالات ذاتها التى تولدت فيهم حين حدوث تلك الأحداث العابرة.

ويرى من مر بهذه التجارب بأن ذلك هو مجرد محاولة من الكائن المضئ

نورًا لإعطاء الإنسان درسًا خلاصته: فى الحياة شيئان مهمان جدًا، أولهما تعلم حب الآخرين، وثانيهما إمتلاك المعرفة. والمهم فى هذه اللحظات أن الإنسان يقف أمام مغزى حياته السابقة ويرى ذاته على حقيقتها، وهى لحظات هامة جدًا له. ومن الهام جدًا والمفيد أن يحافظ المحيطون بالمتوفى على صمتهم وهدوئهم. إن البكاء والنحيب والحزن حول الجسد الفيزيائى المنتهى حياته الأرضية. فإن ذلك إستنادًا للباحثين فى مجال الباراسيكولوجى يمكن أن يلحق بعض الطاقات السلبية بروح الإنسان المتوفى بعد مغادرته جسده المادى، ذلك لأنه من وجهة نظرهم سوف يولد لديه أحاسيس وطاقات مرتبطة بالشفقة والرغبة بالعودة للأقارب والأصدقاء. وتلك الأحاسيس والمشاعر والطاقات فى حال تكونها وتراكمها فى وعى الروح المنتقلة يمكن لها أن تؤخر ولزمن طويل عملية إنتقاله إلى مجال أكثر دقة فى المستوى الفلكى، أى إنتقاله لوضعية متحررة أكثر للروح.

مرحلة خروج الجسد الأثيرى من الجسد الفيزيائى

بعد أن تعبر روح المحتضر النفق المظلم، ومع بداية لقائه للكائن النير المشع، تأخذ ذاته بالخروج الفعلى من الجسد الفيزيائى، ويبدأ الموت الفيزيائى بالحلول بالجسد، ويكتشف الإنسان أنه أصبح خارج جسده وينظر إليه وكأنه مراقب محايد لأمر ما يجرى أمامه. وما ذكرناه هو نتيجة لخروج الجسد الأثيرى مع بقية الأغلفة ومغادرته الجسد الفيزيائى ويخرج الجسد الأثيرى من قمة رأس الجسد الفيزيائى، ومعظم من مروا بتجربة الموت الأكلينيكى تكشف لهم الرؤيا بوضعية الجسد الأثيرى مباشرة بعد الإنتهاء من إستعراض الحياة الماضية الأرضية من خلال نور الكائن المضئ.

لقد أورد دكتور «مودى» فى كتابه السالف الذكر حديث إمرأة عانت هذا النوع من الموت حيث تقول: (أخذت أرتفع تدريجيًا للأعلى وخلال زمن حركتى شاهدت الممرضات يجرين فى الحجرة. ها هو ذا طبيبى قادم. شاهدته عندما دخل وفكرت: «ماذا يفعل هنا؟ ولماذا أتى؟»، كنت أنظر من جانب المصباح

المعلق فى السقف. كنت هناك وكأنى طبق من ورق. تابعت النظر إليهم وهم يحاولون إعادتى للحياة. كان جسدى ملقى على سرير أمام ناظرى وكان الجميع واقفين حول جسدى، سمعت كيف شهقت إحدى الممرضات قائلة: «يا إلهى لقد إنتهت!» وكيف إنحنت أخرى فوقى لتقوم بعمل تنفس إصطناعى لى عن طريق الفم مباشرة ومن ثم حاولوا عن طريق إستخدام الصدمات الكهربائية على صدرى، وسمعت طقطقة عظامى. كان ذلك مرعبًا حقًا. نظرت إليهم وهم يدلكون صدرى وقدمى، وفكرت لماذا يزعجون أنفسهم؟ أنا مرتاحة تمامًا، والوضع الحالى يناسبنى...)

وقص أحد الرجال الذين مروا بتجربة الموت تلك: «غادرت جسدى. كان لدى إحساس وكأنى أحلق فى الهواء. عندما عرفت أنى خرجت من جسدى نظرت للخلف وشاهدت جسدى على السرير فى الأسفل.. لم أخف. أحسست بهدوء وسكينة، لم أكن مشدوهًا وكان السكون سالمًا وآمنًا، وإنتابنى شعور بالطمأنينة، كلا لم يكن ما خشيته أبدًا...» ويمكن إيجاد تأكيدات على خروج الجسد الأثيرى من الجسد الفيزيائى فى كتاب «التبت للأموات» الذى وصفه حكماء التبت خلال قرون عديدة وتمت كتابته فى القرن الثامن لعصرنا.

يصف كتاب «التبت للأموات» اللحظات الأولى لخروج الجسد الأثيرى من الفيزيائى وإنفصاله عنه، ويصف النور الواضح والنقى الطاهر الذى يشع حبًا ويظلل الإنسان بمشاعر التعاطف والمساعدة. ويتحدث عن مرآة ينعكس فيها كل ما قام به الإنسان فى حياته العابرة. ويتابع الكتاب وصفه لهذه اللحظات بأن المتوفى وبعد أن يمر فى جو مظلم وضبابى، يشعر بأنه ينفصل عن جسده، ويندهش لأنه خارج جسده الفيزيائى يراقب أصدقاؤه وأقاربه وهم ينعونه وكيف يجهزون جثمانه للدفن. وعندما يحاول أن يتحدث إليهم فلا يسمعه أو يراه أحد منهم. لم يعى الإنسان هذه الوضعية بعد الوفاة، الأمر الذى يزعجه ويجعله يتساءل: هل أنا حى أم ميت؟ وعندما يعى أخيرًا أنه ميت فلا يفكر إلى أين سيذهب وما سيفعله لاحقًا. لا يبقى الإنسان حينها طويلًا فى نفس المكان حيث عاش جسده الفيزيائى. ويلاحظ لاحقًا أنه وكالعادة لديه جسد،

جسد نورانى مشع مؤلف من هيكلية غير مادية. بإمكانه أن يرتفع فى الهواء، أن يعبر الجدران دون أية عقبات. حركته تصبح حرة تمامًا. وحيثما أراد أن يكون فهو هناك وفى نفس اللحظة. أفكاره وأحاسيسه غير محدودة ومشاعره عجيبة وفريدة من نوعها يواجهها لأول مرة. وإذا كان المتوفى صاحب عاهة سمعية أو بصرية فى حياته الفيزيائية العابرة، فهو هنا يمتلئ بالقوة، وتزول عاهته تمامًا.

لقد قدم الباحث الطبيب والفيلسوف السويدى «سفيندنبرج» الكثير، وبذل جهودًا مضنية فى أواسط القرن الثامن عشر لحل لغز جوهر ومحتوى الحياة، وفى مؤلفه «فى ذلك الجانب من العالم»، إنعكست محاولاته فى تفسير جوهر ومعنى الحياة على تأسيسه عام ١٧٤٥م نظامًا معقدًا للعلوم الروحية، وإستمر فى تطبيقاته وأبحاثه المبنية على هذا النظام حتى نهاية حياته. وقد تابع أعماله وأبحاثه الكاتب الروسى «أندرييف» مؤلف كتاب «زهرة العالم». وقد قدمت أعماله شرحًا حيًا لما تمثله الحياه بعد الموت وهى متطابقة تمامًا مع شهادات من مر بتجربة الموت الأكلينيكى.

لقد قام هذا الطبيب بإجراء التجارب على ذاته وإستطاع إيقاف تنفسه ودوران الدم فى جسده، وكتب على أثرها هذه المقولة فى كتابه: «الإنسان لا يموت، وهو بكل بساطة يتخلص من جسده الفيزيائى الذى كان ضروريًا له عندما تواجد فى هذا العالم». ويتابع واصف الدرجات الأولى للموت وشعوره أنه خارج جسده قائلًا: «كنت فى حالة من عدم الإحساس بالنسبة لحواسى الجسدية، أى أننى كنت ميت تقريبًا، ولكن الحياة الداخلية والوعى بقيا سليمين، ولذلك فإننى أتذكر بوضوح خاص إحساس خروج وعيى من الجسد»...

ويضيف «سفيندنبرج» فى أقواله ومشاهداته عن النور الذى يحيط الإنسان ويشحنه وهو نور حقيقى، نور وشعاع الفهم الكامل والحقيقة. ويكتب أيضًا بأن الحياة العابرة يمكن أن تظهر للمحتضر وكأنها رؤية وهو يستعيد كل تفاصيل حياته، وهنا يتعهد أيضًا بأنه لن يخفى أى شىء من تفاصيل ما رآه فى هذه التجربة، ويتابع: «إن الذاكرة الداخلية هى كذلك بحيث سجل فيها أدق

التفاصيل لما قاله فى وقت ما أو فعله أو فكر به الإنسان، منذ طفولته المبكرة حتى وفاته. كل شىء يحفظ فى ذاكرة الإنسان. وكل ذلك يمر أمامه بالتتابع، ولا يبقى شيئًا سريًا مهما كان فى حياته الفانية. كل ذلك يمر وكأنه لوحات فى حضور هذا النور المبهر المحيط بروح المتوفى.

بعد عدة أيام من الوفاة، يغادر روح الإنسان المكان الذى توفى فيه ويخرج من الجسد الأثيرى الذى يبقى معلقًا لوقت ما فوق قبر الجسد الفيزيائى الذى توفى فيه، وبعد عدة أسابيع ينحل ويتفكك الجسد الأثيرى ويذوب فى الهواء، وتتابع روح الإنسان رحلتها فى الجسد الفلكى. وفى بعض الأحيان يتمكن بعض الوسطاء الروحانيين وخبراء التواصل مع الأرواح من تبيان وإكتشاف الجسد الأثيرى وهو معلق فوق قبر الجسد الفيزيائى.

مرحلة خروج الجسد الفلكى من الجسد الأثيرى

بعد أن تغادر روح الإنسان الجسد الأثيرى، تتواجد مباشرة فى الجسد الفلكى، وتقبع فى هذه الحالة فى الأفق الأول للسطح الفلكى (المستوى الأول كما يطلق عليه من جانب علماء الروحانيات)، أى فى ما يسمى «العالم الدقيق الشفاف». يضم هذا العالم سبع طبقات أو مجالات يرتحل إليها روح متوفى تبعًا لدرجة تطوره الروحى الفردى الشخصى ووفقًا لوصفه النفس العام فى لحظات الموت والإحتضار.

الطبقة الأولى من هذا العالم هى ما يسمى فى بعض المعتقدات «المطهر» وعلى سبيل المثال كما تروى هذه المعتقدات الروحانية أن حالة المجرمين وأمثالهم فى هذه الطبقة من العالم الفلكى قاسية جدًا، هذه النوعية المنحرفة من البشر مثل اللصوص والأشرار والقتله، وهم الذين عاشوا اللذة وجعلوها هدفهم، يعانون لعدم إستطاعتهم ممارسة شرورهم وغواياتهم. ففى هذا العالم تنقصهم الأرادة التى كانت تخدم أغراضهم أى الجسد الفيزيائى. إنهم يحترقون فى لهيب رغباتهم غير المحققة. وهنا تخضع كل طاقاتهم لتلك الأفكار

والمشاعر التابعة من ذاتهم. هنا يلتقى الإنسان بصفاته الحقيقية ولا شيء يؤثر عليه من خارجه أو المحيط به، ويأتى التأثير من ذاته فقط.

إذا الطبقة الأولى عبارة عن المجال الذاتى مع ما يرافقه من حالات ومعاناة، ويأتى لهذا المجال من عانى من مشاعر الخوف والرهبة فى لحظات الإحتضار والموت. ومن يغادر الأرض بسكينة روحية لا يعانى تقريبًا من أثر مستوى «المطهر». بينما الناس الذين يخافون الموت ويخشون إنتظاره، هؤلاء لم يكتشفوا ذاتهم ولم يفهموا بأن الموت الفيزيائى محتم، كما سقوط الأوراق فى الخريف، وهو يعتبر من الناحية النظرية مجرد هلوسة مؤقتة لأنه علميًا لا يقطع حياة الإنسان ولا وعيه. ذلك لأن الحياة الأرضية هى مجرد حلقة واحدة فى السلسلة اللانهائية لآلية التقمص والتجسد، وإعادتها مجددًا.

إن الطفل الذى توفى مبكرًا لا يصطدم مع أثر المستوى الأول «المطهر» وينتقل إلى المجال الروحى الأوسع للعالم وهو مازال يحتفظ فى ذاكرته تفاصيل الحياة الأرضية والحياة السابقة للأرض. وما بين سن ١٤ عام و ٢١ عامًا، يأخذ الوعى بالإلتصاق أكثر بالشروط والظروف الأرضية الحالية. وبعد هذا السن حتى ٢٨ سنة، يلتصق الوعى أكثر، حيث القيود المكبلة بالحياة الأرضية كالعائلة، الملكية، المنصب، ويصبح المستوى الأول «المطهر» أكثر إحتمالًا.

ويبقى الكائن الروحى للإنسان فى هذا المجال تبعًا للعديد من المدارس الروحانية حتى تبدأ مشاعره الدينية آليا وبشكل ذاتى بالتدخل طالبة المساعدة. وعندها تتدخل نفوس أخرى، نفوذ الأقارب والأصدقاء ونفوس القادة الروحيين الذين تركوا غلافهم الفيزيائى حديثًا، مساعدة إياه على الإنتقال وإيجاد مكان له فى مجالات العالم المتعدده. وهذا العالم هو مكان ومنبع الضوء المنير.

ويبقى الإنسان فى ذلك العالم كما كان قبل وفاته بإختلاف واحد وهو أن جسده أضحى الأن جسدًا فلكيًا حاملًا وموصلًا للرغبات والأمانى والمشاعر، وهو فى هذا الجسد يمكنه أن يشارك فى حياة ذلك العالم. والإنسان فى عالمنا

الفيزيائى يمتلك جسدًا فلكيًا ولكنه غير مرئى، قابع تحت الجسد الفيزيائى الخشن، وكان من خلاله يتمنى ويرغب.

وإذا كان بإمكان الإنسان فى العالم الأرضى إخفاء الحقيقة وفعل ما يريده، لإخفاء جوهره الحقيقى، فلا يمكن فعل ذلك هنا، وكل إنسان يقبع فى مجال مطابق لتطوره الروحى. فلا يمكن هنا تغطية الأخطاء الإنسانية وإخفاءها، ولا يمكن للإنسان أن يكون كاذبًا. وكما هو الإنسان فى حقيقته، كذلك يكون غلافه الخارجى، وإذا كانت نفسه نبيلة فإنه يشع جمالًا.

ومجالات ذلك العالم الفلكى الخاص بالأرواح تختلف بإختلاف الكثافة والإهتزازات وتواترها، لذلك تبقى كائنات إحدى الطبقات دومًا معزولة عن الطبقات الأخرى، ويمكن للقابعين فى إحدى المجالات التواصل فيما بينهم فقط. والقابعون فى مختلف المجالات عدا الأولى يمكنهم زيارة المجالات الأخرى، الأدنى، وذلك لتقديم المساعدة فى تقدمهم الروحى الذى يعتبر شرط للإنتقال لمجال أعلى كما أجمع على ذلك علماء الثيوصوفية والروحانيات.

وتبعًا للمبادئ الأساسية فى العلوم الروحانية، يسود الظلام المجال الأول وأصحابه هم من حملة الأفكار السوداء. إن مصدر الضوء هو الأفكار النيرة. والقابعون هناك يعتبرون بذاتهم منبعًا للضوء، وهم ينشرونه بذاتهم لإنارة ذواتهم وحيث يوجدون فى الخلاء. إن درجة ناقلية الضوء توصيله لدى كل كائن ترتبط بمقدار حصوله على درجة الكمال الروحى. وتنفذ الوعود هناك ذهنيًا ولا حاجة فى سبيل ذلك للصوت أو الكلمات أو اللسان. ويمكن للإنسان أن يفكر بلغته الأم وأن يكون مفهومًا من الآخرين الذين يجهلون لغته. وفى ذلك العالم يمكنك أن تبدع فكريًا وذهنيًا كل ما تريده مستخدمًا المادة الدقيقة الشفافة.

وبمقدار ما تكون مخيلة الإنسان غنية بمقدار ما تتنوع إبداعاته، وبمقدار ما يكون مهذبًا تكون رائعة، وهنا مجال لإبداع الفنانين والرسامين التواقين للإبداع الفنى.

إن روح الإنسان بتخلصها من الجسد الفيزيائى يشعر إنه غير مقيد بواجب أو أهتمام كالغذاء والملابس والحاجة للراحة. وهذا العالم هو عالم كامل مع كافة مقدراته وعوائقه. أن قوانين وشروط ذاك العالم تختلف عما هو أرضى وفيزيائى، ويتم فهم المكان والزمان هناك بصورة مغايرة لما هو متعارف عليه فى الأرض. ولا توجد مثلًا مفاهيم القريب أو البعيد، ذلك لأنه يمكن الوصول لكافه الأشياء والظواهر من خلال الرؤيا وبغض النظر عن بعدها وتمركزها للمراقب لها. والطيران من مكان لمكان الذى يستغرق على الأرض الآف الكيلومترات يتم هناك بلمح البصر وفى أقل من ثانية، كل كائن وكل شىء فى ذلك العالم واضح ومشاهد وتحت الإبصار من أى نقطة كانت من الفراغ أو المكان.

وتغادر روح الإنسان هذا العالم مع تطوره الروحى وبمساعدة النفوس الأكثر رقيًا والمتطورة روحيًا، ويخلع الجسد الفلكى عنه والذى يبقى محافظًا على ذاته ويتابع وجوده المستقل عن الإنسان لفترة تطول أو تقصر وفى حالة اللاتبعية المطلقة. وهذه التبعية الفلكية للإنسان هى بمثابة الجثمان الروحى له ولكنها بدون عقل. ويمكن لهذا الجثمان الروحى أن يغير فعل ما كان يقوم به صاحبه فى حياته الأخيرة فى المجال الفيزيائى ويمكن لهذا الجثمان الروحى أن ينشأ ويصبح ماديًا مرة أخرى من خلال عملية العودة للتجسد.

مرحلة الجسد الذهنى بعد الخروج من الجسد الفلكى

مازلنا مستمرين سويًا فى إستعراض مفهوم مراحل إنتقال الروح للعالم الفلكى من منظور المفهوم البحثى الروحانى. فعندما تصل الكينونة أو القالب الروحانى للمجال الذهنى المصاحب للمستوى الفلكى النجمى، تكون قد إنتقلت من مرحلة إلى مرحلة إخرى أرقى.

وبعد فترة من مرور الكائن الروحى بمرحلة اللاوعى، يأخذ الكائن فى الصحو والإحساس بشعور عارم من السعادة والسكينة والهدوء، حيث لا توجد

ظلال وكل أجزاء هذا العالم نيرة ووضاءة. إنه إذا عالم الفكر، عالم العقل، وهو يعمل حرًا فى عالمه الخاص، دون أن يجابه المعوقات التى وجدها فى المادة الفيزيائية. أن الجسد الذهنى للإنسان فى هذا العالم مجرد موصل وحامل للأفكار. كان الإنسان يمتلك هذا الجسد فى حياته الأرضية ولكنه كان مخفيًا وراء الجسد الفيزيائى والفلكى. وهنا يصبح هذا الجسد واضحًا دون أغلفة وذو طبيعة خارجية. ويتألف هذا الجسد من عالم الأفكار والحكمة ولديه إمكانية تقبل هائلة، ودرجة تطوره مرتبطة بدرجة التطور الروحى والثقافى للإنسان. وأفكار الإنسان فى هذا العالم الذهنى يتم تحقيقها مباشرة وإعادة إنتاجها فورًا بصيغ محددة.

كل إنسان يصنع بذاته رؤية للمحيط وبمقدار ما يطور الإنسان قواه الروحية، فإن رؤيته للمحيط تصل حتى اللانهاية، وتتضاعف قواه وطاقة أفكاره. كل الحدود والحواجز والنهائيات لرؤية العالم ذهنيًا يصنعها الإنسان ذاته ولذلك فإن العالم المحيط يتوسع ويتمدد ويأخذ أفقًا أبعد وأوسع بمقدار تطور الإنسان ومعه تعمق روحه وصقلها. كل روح بإمكانها الدخول فى علاقة وإتصال مع روح ثانية بمجرد توجيه الإنتباه لتلك الروح. وهذا يحدث ليس بقوة وسرعة الأفكار فقط، بل وبشكل كامل وتام إذا كانت كلا الروحين على مستوى واحد من التطور. إن كل الأفكار تنتقل كالبرق فى سرعتها فى العالم الذهنى، إنه العالم الذى يمتلئ بالفرح النير، وهو أيضًا العالم الذى تخلو منه كل المنغصات ومسببات الإزعاج والحزن والآلم، بل هو أيضًا عالم يتابع فيه الإنسان تطوره، تطور عقله وأخلاقه. وكل ما كان قيمًا وثمينًا وعقلانيًا وأخلاقيًا فى حياة الإنسان الأرضية الأخيرة يتم هنا تعميقه وتطويره، وتتم معالجته وتحويله تدريجيًا لبؤر فكرية يتسم بها لاحقًا ذلك الإنسان فى تجسده القادم...

مرحلة الغلاف الأخير للروح والوصول إلى الموطن النهائى لها

عندما تخلع روح الإنسان آخر غلاف مؤقت لها وهو الجسد الأخير المسمى الجسد الذهنى، فإنه علميًا ينتقل بذلك إلى طيف آخر فى المجال الفلكى الذى يعتبر

ومن حيث الجوهر «منزلة النهائى». وهو يعود إلى هذا المنزل بعد تنقله وترحاله فى العالم الأرضى، حيث أرسل كما يبعث الطفل إلى المدرسة للتعليم وإكتساب التجارب. هنا يعيش الإنسان ذاته جوهره الأبدى الخالد غير مقيد بحاجة أو شىء آخر، يعيش حياته بكل أبعادها وبكامل وعيه الذاتى ورؤياه التى إكتسبها.

وهذا الطيف حيث مكان تواجد الإنسان الأبدى والخالد يمكن تسميته بعالم التفكير المجرد أو عالم السببية، وهو يقسم لثلاث مجالات، وفى كل منها توجد نفوس بمقدار تطورها الروحى. تمر لفترة قصيرة فى المجال الأول كما يقول علماء الروحانيات، كامل البشرية التى يبلغ تعدادها حتى الآن تقريبًا منذ بدء الخليقة البشرية ستون مليار كائن بشرى، والغالبية منها وبعد خلع غلافها المؤقت تنتقل لحظيًا إلى هذا المجال حيث يحدث التذكر المفاجئ واللحظى الذى ينير كامل الحياة العابرة ويوضح أسباب وآلية الحركة على طريق التقدم الروحى. وتمر هذه الغالبية بتجربة الرؤيا الكاشفة لمستقبلهم وتتوضح لهم مختلف الطرق الممكنة لإستكمال تقدمهم وتطورهم.

تبعًا لهذا التصور، تبقى بعض الأرواح فى هذا العالم الفكرى المجرد فترة طويلة بحكم أفكارها النبيلة وحصيلة حياتها الأرضية الإيجابية، أى إنهم يحصدون هنا ما زرعوه هناك فى الحياة الأرضية. هنا يشعر الإنسان بالحياة الحقيقية ويعيش حياته المناسبة لوجود النفس ذاتها دون أن تخجل من أغلفتها والتى تعود للعوالم الدنيا. هنا يتعرف الإنسان على ماضيه والأسباب التى أدت به للحياة ويأخذ العبر للمستقبل.

فى المجال الثانى تقبع النفوس ذات المستوى العالى فى التطور الروحى، والتى كرست خلال وجودها الأرضى كل طاقتها للحياة الأخلاقية والذهنية الرائعة وتتمتع بذاكرة متواصلة ولا توجد لها حواجز تخفى الماضى، وتقبع هذه النفوس هنا لفترة طويلة. وفى المجال الثالث تعيش أرواح عظمى ذات تطور روحى عالى جدًا وإستثنائى، وهى تبقى هناك لفترة طويلة جدًا من الزمن، ومن هذه الأرواح، أرواح الحكماء والأنبياء وعباقرة وفلاسفة عظام.

احتمالات عودة الروح إلى جسد فيزيائى جديد تبعًا لنظرية الأجساد الروحية السبعة والدراسات البارسيكولوجية

إن إمتداد زمن بقاء الإنسان بعد الوفاة فى المجال الفلكى مرتبط بدرجه تطوره الروحى. والأرواح البدائية والبسيطة تمر سريعًا عبر أطياف ومجالات العالم الفلكى ويستغرق ذلك من عدة شهور لعدة سنوات، ومن ثم يتجسدون مجددًا، ويحلون فى جسد فيزيائى، بينما المتطورون جدًا يظلون فى ذلك العالم لفترة طويلة، وهم خلال هذه الفترة يقومون بمعالجة حصيلة غنية للحياة الأرضية المعاشة سابقًا. ولذلك مثلًا، العظماء أمثال تولستوى وموزارت يتجسدون على الأرض كل فترة ١٠٠ إلى ٢٠٠ عام مرة واحدة فقط، أما تلك النفوس العظيمة أمثال الأنبياء والرسل، فتظهر بالمنظومة الروحية والتى وصفها علماء الدراسات الروحانية فى المائتى سنة الأخيرة.

وعملية التجسد طبقًا لنتائج دراسات المتابعة التى أجريت بواسطة علماء الباراسيكولوجى، التى تحدث فى الجسد الفيزيائى بواسطة الروح هى بالنسبة إليهم عملية آلية، تجرى لمعظم الناس، ولا يشاركون فيها بصورة واعية. ووفقًا لنظرية التطور الروحى التى ناقشناها فى فصل سابق، وقوانين التطور الروحى والتى يكمن فى محتواها وجوهرها الإرادة الإبداعية للمطلق، فإن النفس البشرية يجب أن تجتاز مقاطع صعبة فى طريق التطور، وأن تواجه معوقات ومشاكل معقدة، وذلك لكى يتم إمتحان وعيها، ولتحصل على دفعة جديدة للحركة فى طريق التطور الروحى. ومثال لهذا الجزء الصعب فى طريق تطور الروح هو الحياة فى جسد فيزيائى.

إن تلك الآلية المقننة لزمن بقاء الإنسان فى جميع مستويات العالم الفلكى تقع فى الجسد السادس للإنسان. وتحدد الشروط والظروف والعائلة التى يجب أن يولد فيها الإنسان وذلك طبقًا لنوعية ال «كارما» الخاصة به فى مرحلة زمنية محددة. ويتم الأمر تدريجيًا، ويبدو وكأن الانسان ينخفض من طيف ومجال لآخر بمساعدة هذه الآلية والنفوس العالية التطور، مكونًا الأغلفة المناسبة

فى كل مجال بما فيها الجسد الفلكى. وعند الإنتقال من مجال لآخر يكون الوعى محايدًا وكأن الإنسان فى غفوه نوم. ولذلك فإن النفس لا تنتبه مباشرة بعد ولادة الطفل أى خلال التجسد الدورى فى جسد فيزيائى جديد، وهى فى أعوام الطفولة تتواجد كأنها فى حالة نصف نائمة وتنتبة فى سن الثلاثين تقريبًا، ومن أمثله ذلك أن الكثير من الرسل والأنبياء قد حصلوا معظمهم على وعيهم الكونى بحدود الثلاثين من العمر.

يذكر علماء الروحانيات أنه مثلًا أثناء التواصل الجنسى بين البشر، تتحرر طاقة ذات طول موجة محددة بمشاركة جينات البويضة التى تؤثر إيجابيًا وجذبًا على روح الكائن الذى أصبح جاهزًا للتجسد، والتابع فى المجال الفلكى بإهتزازات وترددات لها طول موجة معادلة للطاقة المتحررة خلال هذا الإتصال الجنسى. ويحدث نتيجة لذلك كله الإخصاب والتلقيح والحمل الرحمى.

وتبعًا لهذه النظرية أيضًا، فإن الأب يعطى لأبنه جسده الفيزيائى، حيث يرث فقط القدرات المميزة لبيئته، وهى الوراثة الوحيدة التى يحصل عليها الإنسان من أهله وكل ما يتبقى يحصل عليه بذاته فى حياته الأرضية الجدية. لا تنتقل الخصائص الذهنية والعقلية والأخلاقية من الأهل للأولاد. وهكذا، فالعبقرية لا تنتقل وراثيًا.

الفصل السادس

الموت نهاية أم بداية

obeikandl.com

obeikandl.com

وبعد عزيزى القارئ، وبعد إستعراض بحثى المتواضع فى هذا الكتاب عن معتقد التجسد والتقمص، وإن كان لى من وجهة نظر ورأى أختم به هذا الكتاب، فهى إنه ينبغى أن أؤكد أولًا من وجهة نظرى كباحث طبى ومفكر أن التجسد والعودة للحياة الأرضية هو حقيقة لا تقبل الجدل، ولم أصل لهذا الرأى من خلال البحث العلمى أو الدراسات الموثقة فقط، ولكن أيضًا من خلال المنطق الواقعى. وينبغى أن أقول أيضًا إن أية محاولة للتأصيل العلمى لمثل هذه الظاهرة الهامة ينبغى أن تحيط أولًا بجميع الحقائق التى تكشف عنها دراسة الظواهر والآحداث الغير مألوفة، مثل التجسدات التامة والجزئية، وأبحاث العلاج الروحى والتنويم المغناطيسى، والتصوير الغير منظور الحديث، وروايات الأطفال عن الحيوات السابقة، وغيرها من الظواهر التى لا تقل عنها أهمية. وإن أى محاولة للتأصل العلمى الدقيق ينبغى أن ينطوى على إعطاء تفسير منطقى جامع لكل هذه الظواهر برمتها، حتى يمكن أن يوصف بأنه تأصيل له وزنه من الناحيتين العلمية والفلسفية.

ودعونا نبدأ من البداية أولًا، حقيقة مبدئية لهذا التفاصيل والتى تكاد تنحصر فى حقيقة واحدة وهى، الطبيعة الروحية للإنسان وللحياة بوجه عام. وهذه الحقيقة لا ينبغى التهوين منها، لإنها أصل الحقائق، كما هى أصل العقائد كلها، وأصل الفلسفات الراقية منذ فجر التاريخ حتى الآن. وعن طريقها يمكن أن نقول أن العلم الرسمى قد أقدم فعلًا على إحداث ثورة عارمة كفيلة بأن تطيح تدريجيًا بعدد هائل من الأخطاء الفادحة التى طالما ضللت الفكر والبحث عن الحقيقة لعقود وقرون طويلة، وقد آن لها أن تتوقف، وأن نتجه للبحث العلمى المنطقى المحايد لتأكيد وجود هذه الكينونة الروحانية المعجزة، وأن نأصل كل الظواهر المرتبطة بها من تجسد وتقمص وسمو عن المستوى المادى.

إن معطيات هذه الحقيقة الكلية لها أثار خطيرة على الفكرة والمعتقد الإنسانى. ولعل أخطرها كلها هو ثبوت خلود الإنسان عن طريق خلود روحه على وجه ما، وإنتفاء المعنى الحقيقى للفناء الروحى الإنسانى. إن هذه الحقيقة لطالما تطلع أمل الإنسان إلى محاولة إثباتها من قديم، لكنه لم يصل إلى هذا الهدف إلا عندما عرف كيف يتبع مقتضيات المنهج العلمى فى دراسة جميع ظواهر الإنسان بغير إستثناء، بما يتطلبه هذا المنهج من مثابرة، ومن حياء ومن تحليل ناقد لا يرحم (كما فى حالة ابحاث د. ايان ستيفينسون التى سبق أن إستعرضناها فى الفصل الثانى من هذا الكتاب)، ومن روح منقبة لا تتراجع.

يقول الباحث القدير د. رؤوف عبيد فى كتابه عن التجسد: «إذا كان إكتشاف قانون الجاذبية، أو الكهرباء، أو الميكروبات، أو المضادات الحيوية، أو الأتصال اللاسلكى، أو الطيران، أو الإنشطار الذرى، أو الوصول إلى القمر والكواكب الأخرى فى الفضاء، يعد من معالم الطريق فى تطور الإنسانية الشاق الطويل ـ وكلها من ثمار إتباع المنهج العلمى بكل تبعاته القاسية وتضحياته الجسام ـ فإن اثبات الخلود وتجسد الروح الإنسانية فى عدد غير محدود من الحيوات هو أخطر المعالم لها».

إن العودة للتجسد عقيدة مفرطة فى أهميتها، وفى عمق آثارها التى لا تنتهى عند حد فى تفسير الكثير من الغاز الكون، وأسرار الإنسان. ومن حقنا أن نقول أنه ينبغى متابعة دراستها وتمحيصها بلا توقف مع الإحتفاظ بها كمبدأ أولى عام إلى أن نعثر على تأصيل علمى أفضل منها لكل هذه النتائج المتدفقة فى بحوث العلماء الجادين فى القرنين الآخيرين.

وقد عرض الكثير من الكتاب المتخصصين فى متابعة ابحاث ظاهرة التجسد، تقرير فى غاية الأهمية أصدرته «لجنه الخبراء الدوليين» ـ وهى أكبر هيئة علمية فى الولايات المتحدة الأمريكية ـ والتى أقرت بعد دراسة هادئة وإحاطة شاملة بعناصر هذا الموضوع أن العودة للتجسد يمكن إعتبارها حقيقة ثابتة علميًا. مع الوضع فى الإعتبار إنه مما يزيد فى خطورة هذا الإعلان

التاريخى وآثاره المحتومة فى تطور المعارف الطبيعية والإنسانية، أن العودة للتجسد هى أم القضايا الروحية كلها. بل تقع فى القلب من العديد من القضايا العلمية التى تعالج تكوين الذات الإنسانية، وماضيها، ومستقبلها، وحقيقة موضعها من الوجود المحدود والغير محدود. وكلها تكشف عن حقيقة صلاتها بالنواميس الطبيعية للكون، هذه الصلات التى تقع فى الأساس من علم المنطق.

أما بالنسبة للأراء المعارضة والمناقضة للتجسد، فإن حتى مبادئ الإعتقاد الدينى نفسه لم تقف أبدًا موقف النقيض أو العداء من هذه القضية الكبرى كما سبق أن أوضحت فى الفصل الأول. لكن بالعكس لقد جاءت النصوص فى كثير من المواضع صريحة، واضحة لا تحتمل تأويلًا ولا إجتهاد مخالفًا طبقًا للقاعدة المأثورة التى تقضى «لا إجتهاد مع وضوح النص»!! وفى نفس الوقت، فإنه من الصعب أن يصادف الإنسان نصًا واحدًا ينفى «الوجود السبقى» أو «العودة للتجسد» فى الحياة العضوية بصورة واضحة، وذلك فى أى من الأديان السماوية التى سادت فى هذه المنطقة المتوسطة من العالم.

ويتساءل الدكتور رؤوف عبيد فى نفس كتابه السابق سؤالًا آخر فى هذا المجال وهو: هل نجحت الفلسفة النظرية عن الروح والوجود فى تعليل مفارقات الدهر التى لا تحصى، ومظالمه التى لا تنتهى؟ هل وجدت الفلسفة النظرية حلًا مقنعًا لمشكلات العدل الإلهى، والآلم، والشر، والتخيير، والمصير..؟ أو ـ هل قدمت للعقل حلولًا أو أشباه حلول ـ فى هذه الأمور يطمئن إليها حقًا العقل الباحث عن الإقتناع، والقلب الباحث عن الإطمئنان؟

لقد قال الفيلسوف العظيم «هنرى برجسون»: (لو إنصرف العلم إلى شئون الروح أول ما إنصرف، لظل غير يقينى ولا دقيق مهما تقدم. ولعله ما كان يميز عندئذ بين ما هو ممكن فحسب، وبين ما ينبغى أن يقبل قبولًا نهائيًا).. أما اليوم، فقد أصبحنا بفضل دراستنا العلمية الدقيقة نحس هذا التمييز، وإننا نستطيع أن نغامر بدون أن نتخوف من هذه الجزئية التى لم تستكشف بعد، جزئية الوقائع

الروحية. ويقينى أن علم الروح سيؤدى إلى نتائج تفوق كل ما نرجوه من آمال. هذا ما توقعه فيلسوف كبير مثل «هنرى برجسون». وها هى الأيام تمضى منذ قال برجسون هذه الكلمات ذات المغزى العميق. وها هو كل يوم يمضى يثبت أنه كان على حق عندما دعا إلى التخلى عن أسلوب «ما وراء الطبيعة» إلى أسلوب إستكشاف الوقائع الروحية فى جرأة عاقلة وصلت إلى نتائج كثيرة تحف بها الخطورة فى جميع جوانبها مع تغلغلها إلى كل مناحى المعرفة التى يملكها الإنسان المعاصر.

لقد أعلن العالم النفسى الأشهر «كارل جوستاف يونج Karl G.Jung» وهو أبرز إسم فى علم النفس فى القرن الماضى، والذى تبوأت فلسفته النفسية مكانًا مرموقًا فى العلوم المعاصرة، أعلن بصيغة مطلقة أن الروح حقيقة واقعة لأنها تعمل بنشاط جم. ولأنها بذاتها حقيقة طبيعية لها قوانينها، وطاقاتها، وأسبابها، وأهدافها، وتطورها، ومسالكها الخاصة المتميزة تمامًا عن سائر الحقائق الطبيعية الأخرى. كما راح يعلن مرارًا وتكرارًا إنه عندما يتحدث عن أمر روحى فهو يتحدث فى نفس الوقت عن أمر حقيقى، رفيع، موجود من قبل. أو بالأدق رفيع من قبل أن يوجد..

فالروح من وجهة نظر «يونج» تحمل الحياة فى بنيانها العلمى، أى تمثل تسلسلًا حيًا، أو واقعة حية. ولذا فلا نعثر عليها أبدًا فى هذا البنيان بوصفها شيئًا منتهيًا أو منسيًا، ولا بوصفها شيئًا مستقرًا ولا ثابتًا، بل هى دائمًا حية وحاضرة. ولذا ركز «كارل يونج» كثيرًا على حيوية الذات بمفهوم واسع، مع الإشارة كثيرًا إلى إنها تعيش فى تسلسل حيوى وفى حركة وفى تطور، وإن هذا كله يجرى لها دومًا وبلا توقف. وبنفس المقدار ركز يونج على دور اللاشعور، وعلى القول بأن اللاشعور يصوغ الحياة. وأنه حتى بعد الوفاة فإن بمقدوره أن يواصل مهمته الثمينة، ألا وهى صياغة الحياة. فليس اللاشعور عنده مجرد ركيزة أو قاعدة للشعور أو للعقل الواعى، بل هو المصدر الأساسى الذى عنه يستمد الشعور طاقته اللازمة لوجوده المتواصل. وهكذا عثر على أمور عديدة هامة عن الحياة اللاشعورية، وقال إنه من المنتظر إستكشاف ما هو أهم منها مستقبلًا.

وهذا الإستكشاف كما يقول «يونج» هو الآن مهمة علم نفس الأعماق، أى علم الروح ـ فى الوقت الحاضر. وهو يسير فيها قدمًا بغير أن يتراجع أو يحيد عنها. وهو ما يلتئم مع الميول الراسخة، عند الشرقيين والتى تدفعهم دومًا إلى الإيمان نحو الروح وعالم الروح لإستلهام المزيد من المعرفة ومن الحكمة أيضًا فى تفهم المسيرة الإنسانية. ولمحاولة التعرف على حقيقة خطاها عندما تسير بين رحيل وعودة. ولهذه الإعتبارات محتمة راح «يونج» يعلن ـ فى وضوح وإصرار أن التضامن الإنسانى أصبح يفرض نفسه الآن بصورة متزايدة بوصفة الوسيلة الوحيدة لمجابهة الخطر الذى يتهدد المجتمع الدولى من التمزق إلى جماعات متعددة.

وكل جماعة منها تجرى وراء مصلحتها الخاصة، مع أن روابط من بنى البشر كان يلزم أن يقوم أساسًا على نمو الحب المتحرر الواعى فى مشاعر كل فرد ازاء الآخرين. كما يلزم أن تقوم على رفض كل صور التعصب المذهبى التى قد تحاصر مشاعرهم. وهكذا إمتلأت فلسفة «يونج» بالعديد من الخواطر عن العقل، والروح، والإنسان، والحب بين بنى البشر. وهى خواطر جميلة مؤسسة على نظرته الروحية الفاحصة إلى الوجود الإنسانى برمته، والتى أقام عليها مبادئ مدرسته «فى علم النفس التحليلى» لكى تخلف «مدرسة التحليل النفسى» التى شيدها زميلة السابق فى البحث والممارسة «سيجموند فرويد».

الموت نهاية أم بداية؟

أنقل هنا عن الحكيم الهندى «برمهنسا يوغانندا» أحد أعظم الحكماء الهنود هذه الكلمات ذات المغزى العميق: «على مدى السنين، بحثت بحثًا دقيقًا متواصلًا إلى أن توصلت إلى معرفة أحد أسرار الحياة والموت، وما إذا كانت النفوس تعود إلى التجسد بعد مفارقتها أجسادها البالية. بالنسبة لمعظم الناس، تلك تبدو فكرة ليس أكثر، أو محض إعتقاد لإنعدام البرهان كما يقولون. لكننى لا أتحدث من منطلق الإعتقاد وحسب، إذ وجدت الدليل على الحياة بعد الموت وعلى العودة إلى التجسد. ولذلك أستطيع أن أؤكد هذه الحقيقة

من تجربتى الشخصية. فمع أن الإنسان ينظر إلى الموت برعب وحزن، فإن الذين سبقونا إلى تلك العوالم السعيدة يعتبرون الموت تجربة رائعة من الفرح والسلام والحرية. ما أروع الحياة بعد الموت! إذ لا ضرورة لحمل هذه الحزمة الثقيلة من العظام مع كل ما يرتبط بها من الآم ومشاكل. النفوس فى العالم الأثيرى تحتفظ بوعيها وتسعد بتحررها من كل العوائق الفيزيقية عند الموت ينسى الإنسان محدوديات الجسد المادى ويدرك كم هو حر طليق. يوجد هناك إحساس بالخوف لبضعة ثوان، وهو ناتج عن الخوف من المجهول. الخوف من شيء غير مألوف بالنسبة لوعى الإنسان. لكن بعد ذلك تختبر النفس معرفة عظيمة وتحس بفرح غامر للإنعتاق من كل القيود، لاسيما الإحساس بالوجود خارج القفص الجسدى.

ليس هناك ما يدعو إلى الخوف، لإنه ما لم يمت الإنسان فهو مازال حيًا، وعندما يموت تكون النهاية ولن يبقى عندئذ من شيء يستحق الخوف. فالموت تجربة عامة، تغيير يمر به كل إنسان، فلنعز أنفسنا بأن الموت يحدث للجميع، وأنه بمثابة فترة إستراحة من أعباء الحياة وهمومها. الموت إذن تجربة ممتعة، ولكن يجب ألا يتمنى الإنسان الموت هربًا من دروس الحياة القاسية فى مدرسة الحياة هذه فالهروب خطأ. ومهما كانت ظروف الإنسان على هذه الأرض يجب أن يواجهها بجرأة وشجاعة. وعندما ينجح فى مواجهة الحياة، هنا يكون الموت بمثابة جائزة مستحقة عن جدارة. إذن الموت ليس نهاية، بل تحرر وقتى يمنحه قانون العدل الإلهى (الكارما) للنفوس عند ادائها وظائفها خير اداء، أو عندما ينهك الألم قواها فلا تقوى على تحمل العيش ومواصلة السير.

إن الموت بالنسبة للتألمين (والمتأملين) هو بمثابة بعث جديد من عذابات الجسم الأليمة إلى حالة من السكينة واليقظة والسلام. إنه بمثابة مرحلة تقاعد مستحق بعد عمل دؤوب وكفاح متواصل للإنسان على مدى سنين طويلة. وبالنسبة لكل البشر، فهو بمثابة راحة منتظرة ومرحب بها. لكن اثناء تلك الراحة تستيقظ اثناءها الرغبات العميقة والدفينة للروح، والتى لم يتم تحقيقها اثناء الوجود الأرضى، فتشعر النفس بضرورة تحقيقها. وعندما تصبح تلك الرغبات

قوية بما فيه الكفاية، تنجذب الروح مرة أخرى إلى الأرض، فتتجسد بالولادة من جديد وهذه هى مرحلة العودة للتجسد.

إن ذاتنا الحقة أو روحنا هى خالدة فى جوهرها. فقد يحدث سكون لأرواحنا لفترة ما بفعل ذلك التغيير الذى يدعى موتًا، ولكن مستحيل أن تفنى هويتنا الذاتية. إننا موجودون، ووجودنا هذا أبدى. أننا كالموجة تأتى إلى الشاطئ ثم تعود إلى البحر دون أن تفقد جوهرها، بل تتوحد مع المحيط الكونى، وسيتلاشى، لكن جوهر الروح الذى يقطن الجسد لن ينعدم طوال الأبدية. لأن فناء ذلك الجوهر الإلهى لهو أمر مستحيل.

إن الموت يأتى للإنسان بعد حياة طويلة مليئة بالكفاح والجد والأجتهاد كترقية إلى حالة ومرتبة أعلى. وبالنسبة للفاشلين، يأتى أيضًا لمنحهم فرصة جديدة فى بيئة جديدة لإعادة الكرة وإحراز النجاح. إن الموت غير المستنيرين من البشر يجدون فى الموت جدارًا سميكًا يوارى للأبد أصدقاءهم وأغراءهم وراءه. أما المتحررون من التعلقات فى الحياة الأرضية والرغبات الأنانية، الذين يحبون الآخرين كتعبيرات بشرية لله، يدركون أنه فى الموت يعود أحباؤهم إلى الله ليتنفسوا فى فضائه الرحب أنسام الحرية والسعادة النقية. إن هذه الحياة البشرية ليست كل ما فى الوجود بل هى مجرد حلقة فى سلسلة العلاقة الأبدية التى لا تنقطع.

نظرية العودة إلى التجسد يمكن إثباتها علمياً

يقول الفيلسوف والحكيم الهندى «برمهنسا يوغانندا» أيضًا إنه إن كان الإنسان يؤمن بوجود رب عادل فى الكون، فإنه سيصبح من السهل عليه تقبل فكرة العودة إلى التجسد لأن كلا المفهومين يعتمد أحدهما على الآخر. بالطبع هناك متشككين وملحدين، هل يمكن برهنه حقيقة العودة إلى التجسد عمومًا بأسلوب علمى على نحو يرضيهم؟ وهل يمكن إخضاع نظرية العودة للتجسد إلى التحليل العلمى المنطقى الدقيق، ليس لإعطاء الأمل وحسب بل لتقديم البرهان أيضًا على حقيقتها.

إن معظم العلماء الماديون يزعمون كما سبق أن إستعرضت فى الفصول السابقة إنهم لم يعثروا بعد على أى برهان مادى فعلى على وجود ظاهرة التجسد، ولهذا لا يمكنهم تقديم أية بينة عن وجود قانون يحكم التجسد. إن الآم الأطفال الأبرياء والظلم وإجحاف الحياة كلها تبدو لمثل أولئك العلماء أمورًا مبهمة لا يمكن تعليلها، وتشير بالنسبة إليهم، إلى غياب قانون عادل يحكم هذه المتغيرات فى الحياة الأرضية.

من ناحية أخرى، فإن معظم الذين يؤمنون فى إله عادل منصف يؤسسون قناعتهم على الإعتقاد وحسب، وليس لديهم إثبات لتقديمه إلى غير المؤمنين. إنهم لا يجروؤن فى معظم الأحيان على تمحيص إيمانهم أو إخضاعة للإستجواب المنطقى خوفًا من فقدانه أو خلق بلبلة إجتماعية هم فى غنى عنها. وبعبارة أخرى، فهم ليسوا على معرفة بوجود ناموس روحى علمى يمكن أن يثبت صدق معتقدهم. ولكن السؤال الهام الذى يبرز هنا على بساط البحث بنفس الطريقة التى توضع فيها أساليب التجريب المستعملة من قبل علماء المادة لغرض الكشف عن الحقائق الطبيعية؟ هذا السؤال تم طرحه منذ قرون من قبل علماء الهند الروحيين، فتطوعوا للإجابة علية. ونتيجة لذلك فقد أسفرت تجاربهم عن أساليب علمية يمكن إستخدامها من قبل أى إنسان لإماطة اللثام عن القانون والناموس الروحى. وبالتالى عن العودة إلى التجسد، وعن كل حقيقة كونية عظمى. ومادامت وسائل الإثبات موجودة، فليس لأحد الحق بالقول أن العودة إلى التجسد والقوانين الروحية الأخرى هى غير صحيحة ما لم يكن قد جرب الأساليب ورأى الحقائق والنتائج بعينه. إن لعالم الطبيعة المتشكك الحق فى الإعراب عن رأيه، لكنه يبقى مجرد رأى وليس حقيقة.

إن العلوم الطبيعية تحتاج إلى إعتماد وإتباع إجراءات محددة من أجل البرهنة على أية نظرية يتم طرحها على بساط البحث. إن الجراثيم مثلًا غير منظورة للعين المجردة، ولذلك يتوجب على الإنسان إستخدام المجهر كى يتمكن من معاينتها. أما إن رفض أحدهم النظر خلال المجهر فلا يمكن القول بأنه فحص وبحث النظرية القائلة بوجود الجراثيم. وبناء عليه، فإن رأيه يعتبر لا وزن له

لأنه لم يتبع القواعد التى ينصح بإستخدامها من أجل التوصل إلى إثبات حقيقة النظرية.

ونفس الشيء ينطبق على الروحانيات. فالأساليب تم إستنباطها، والقواعد تم وضعها، والنتائج معروضة أمام كل من يمتلك الرغبة الكافية للتجريب. ففى العالم الغربى مثلًا، ونظرًا لعدم توفر الطريقة العلمية لبحث القوانين الروحية، فقد تضاءلت قيمة الدين كثيرًا بصفته عاملًا حيويًا فى حياة الإنسان. فالمذاهب الروحية يتم إعتناقها أو رفضها بما يتناسب مع الإعتقاد الفردى بدلًا من إعتبارها محصلة أكيدة للدراسة العميقة والبحث الروحى المنهجى.

والسؤال هنا، كيف تسنى لحكماء الهند القدامى الكشف عن هذه القوانين والنواميس الكونية الغير خاضعة للتغير أو التبديل؟ لقد تم ذلك من خلال إجراء التجارب على حياة وفكر الإنسان فى مختبرات صوامعهم. لكى نقف على ماهية الأشياء الطبيعية، يجب أن نجرب بالمواد الطبيعية. وبالمثل، للعثور على حقيقة العودة إلى التجسد أو مرور وعبور الروح، نفس الروح، فى أجساد عديدة، فإنه يصبح من الضرورى إجراء التجارب على وعى الإنسان.

هؤلاء العلماء القدامى وجدوا أن الذات البشرية تظل هى نفسها طوال عمر الإنسان، دون أن يطرأ عليها أى تغيير بالرغم من التجارب المختلفة وتقلبات الفكر إبان حالات اليقظة والحلم والنوم غير الحالم. لقد إكتشفوا أن الإنطباعات الحسية تغيرت، والبيئة والأفكار والحالات الجسدية كلها تغيرت، لكن الشعور بالذات أو (الأنا) لم يتغير إطلاقًا من الولادة حتى الموت. إن علماء الهند التجريبيون أكدوا إنه بالتركيز الدقيق على الذات من خلال مراقبتها مراقبة متواصلة وواعية ومستقلة عن الحالات المتغيرة لليقظة والأحلام والنوم غير الحالم، يستطيع الشخص أن يدرك الطبيعة الثابتة والأزلية للذات. إن الإنسان غالبًا ما يكون على دراية بحالة من تلك الحالات. يكون على دراية واعية اثناء اليقظة، وأحيانا قد يكون أيضًا على دراية بحالته الحالمة. وليس من غير المألوف أن يشعر اثناء الحلم بأنه يحلم.

وبواسطة بعض الأساليب والممارسات يستطيع أن يحتفظ الشخص بإدراك واعى لكل حالة من الحالات المذكورة أعلاه. بل وقد يتمكن أيضًا من إدراك الحالة الرابعة، وهى حالة الوعى السامى للفرحة.

اثناء النوم يحدث إسترخاء لا إرادى حيث يتحلل النشاط بين الأعصاب والحواس. وبالممارسة يستطيع الشخص أن يستحدث هذا الإسترخاء اثناء حالة اليقظة وبالإرادة. فى النوم الأكبر أو الموت يحدث إسترخاء كلى حيث تنسحب طاقة الحياة من القلب والمحاور الفقرية للجسد. وبالتأمل العميق يمكن إحداث هذا الإسترخاء التام بصورة واعية فى حالة اليقظة. وبعبارة أخرى فإن كل وظيفة جسدية لا إرادية يمكن التحكم بها بصورة إرادية وواعية بواسطة تمرينات تأملية خاصة.

لقد إستنتج حكماء الهند القديمة كما يذكر «يوغانندا»، إن الموت هو إنسحاب كهرباء الحياة من مصباح الجسد البشرى بما فيه من أعصاب وإحساسات وقنوات لا تحصى لقوة الحياة. وكما أن الكهرباء لا تموت لدى إنسحابها من مصباح كهرباء محطم، هكذا لا تفنى قوة الحياة عند إنسحابها من الأعصاب اللاإرادية. مستحيل أن تفنى الطاقة. إنها تنسحب من الجسد عند الموت وتعود إلى الطاقة الكونية. إن العقل الحسى يتوقف اثناء النوم عن العمل حيث ينسحب التيار مؤقتًا من الأعصاب. وعند الموت يتوقف الوعى البشرى تمامًا عن الإعراب عن ذاته من خلال الجسد الذى يشبه عندئذ ذراعًا مشلولة يشعر صاحبها بوجودها لكنه يعجز عن التحكم بها أو العمل من خلالها. إن هناك سجلات طبية موثقة تصف حالة رجل دين دخل حالة غيبوبة، وقد ذكرت بعد ذلك، أى بعد أن أفاق من هذه الغيبوبة، أنه سمع الجميع من حولة يندبون موته الظاهر لكنه لم يقو على الإعراب عن شعوره من خلال أعضاء الجسد. فآلته الجسدية كانت قد توقفت فجأة ورفضت الإستجابة لأوامره العقلية. وبعد أن أمضى أربعًا وعشرين ساعة فى تلك الحالة، وكان على وشك أن ينقل للدفن بذل مجهودًا جبارًا وتمكن من الحركة وفتح عينيه. هذه الحادثة وغيرها توضح إستمرارية الشعور بالأنا مع أن الجسد يبدو فاقد للحياة.

يقول الحكماء دائمًا أنه ينبغى للشخص أن يفصل النشاط والوعى عن الجسد بصورة واعية وأن يراقب حالة النوم بصورة واعية أيضًا، ويمارس إنسحاب النشاط الواعى الإرادى من القلب والمراكز الفقرية. وبذلك يتعلم القيام بكيفية واعية بما سيفرضه عليه الموت بغير وعى منه ولا إرادة. إن النشاط الحيوى يدخل الجسم البشرى عن طريق النخاع المستطيل ويتم تخزينه فى مستوى الدماغ. بعد ذلك ينحدر إلى خمسة مراكز أخرى للحياة والوعى فى العمود الفقرى حيث يتم توزيعه على أعضاء الإدراك الحسى وباقى أعضاء الجسد الأخرى.

عند حدوث الموت، ينسحب النشاط الحيوى إنسحابًا تامًا ونهائيًا إلى العمود الفقرى ويغادر الجسد عن طريق النخاع المستطيل. إن ممارس اليوجا الخبير بوسائلها وتقنياتها يستطيع سحب النشاط الحيوى بإرادة ووعى من الجسد والحواس إلى العمود الفقرى وإرساله إلى أعلى مراكز المدركات المتطورة، حيث يشعر بسرور أنه فى حكم «الميت» علميًا، أى يتحرر تمامًا من الأوهام الحسية الناجمة عن الإرتباط بالوعى الجسدى المحدود.

إن هناك حالة موثقة طبيًا فى سجلات أطباء فرنسيين وأوروبيين آخرين عن رجل يدعى «سادهو هاريداس» وهو هندى، وكان يعمل فى بلاط الأمبراطور الهندى «راجنيب سنغ»، تثبت أن «سادهو هارنيداس» تمكن من فصل نشاطه الحيوى ووعيه عن الجسد ثم وصل الأثنين ثانية بعد بضعة أشهر. لقد دفن جسده تحت الأرض، ووضعت مراقبة صارمة على المنطقة لعدة شهور على مدار الساعة. وبإنتهاء تلك المدة، تم نبش قبره وإخراج جسده وفحصه من قبل الأطباء الأوروبيين الذين أعلنوا أنه ميت. لكن بعد بضع دقائق من ذلك الإعلان، فتح عينيه وإستعاد السيطرة على كل وظائف جسده، وعاش سنينًا عديدة بعدها.

لقد تعلم هذا الرجل بالممارسة كيفية التحكم بكل الوظائف اللإرادية بجسمه وعقله. لقد كان عالمًا روحيًا أجرى تجارب روحية موصى بها من قبل الحكماء لمعرفة حقيقة الناموس الكونى. ونتيجة لذلك فقد تمكن من إثبات إستمرارية ذاتية الإنسان بعد الموت وعدم فناء جوهره كروح خالد. الذين يرغبون فى

البرهنه لأنفسهم عن الحقيقة العلمية لمذهب العودة إلى التجسد يجب أن يثبتوا أولًا إستمرارية الوعى بعد الموت وعن طريقة فصل الجسد عن الروح بكيفية واعية. هذا يمكن فعلة بإتباع القواعد التى وضعها علماء الروحانيات منذ عصور. عندما يتعلم الإنسان كيف يكون يقظًا اثناء النوم وأن يجذب الأحلام بالإرادة ويفصل الحواس الخمس فصلًا واعيًا لا سلبيًا كما يحدث اثناء النوم، وعندما يتعلم كيفية الحكم بوظيفة القلب، هندها سيتمكن من إختبار الموت الواعى أو غيبوبة الجسد وليس غيبوبة الوعى.

يقول حكماء الهند أن الذات هى على دراية واعية بنفسها فى كافة أطوار ومراحل الطفولة والشباب والشيخوخة. فالنفس المتجسده هى دائمة الوعى بكل الحالات المتعاقبة التى يختبرها الإنسان، بما فى ذلك الحصول على جسد آخر بعد الموت والتنقل ما بين العالمين المادى والأثيرى. هذه الحقيقة لا يختلف عليها الراسخون فى علم الروح. وبممارسة الطرق المؤدية إلى الحالات الأربع السابق ذكرها، يمكننا تعقب الذات فى حالات وجودها، ونستطيع تتبعها بصورة واعية اثناء الموت وفى تجوالها فى الفضاء الكونى وعودتها إلى الحياة فى جسد جديد. الذين لا يعلمون هذه الأمور لا يقدرون على الإحتفاظ بوعيهم خلال النوم الأكبر: الموت. وهكذا لا يستطيعون تذكر أى حالة سابقة حدث لهم، ولا حتى حالات النوم العميق اثناء حياة واحدة.

وبتبنى أساليب علماء الهند القدامى الذين إختبروا تلك القوانين وأثبتوا صحتها، وأهدوا للعالم معرفة نفيسة قابلة للأثبات، يستطيع المرء أن يطلع على مبادئ الحقيقة العلمية للعودة إلى التجسد وعلى الكثير من الحقائق الأزلية الأخرى المرتبطة بها.

الموت والحياة ودور التجسد

لقد لخصت وجهة النظر العلمية فى الموت والحياة على أساس سنوات من البحث النفسى العلمى الدقيق فى الإستنتاجات التالية:

أن البشر هم أساسًا كينونات غير مادية ملتحمة بأجساد مادية وهم جزء من الطبيعة، وإن جوهر البشرية هو الوعى الذاتى، وهذا الجوهر هو الذى ينجو من الموت الجسدى.

إن وحدات الروح البشرية تتواجد بعد الموت على المستويات المتفاوتة للوعى فى أبعاد تتجاوز طيف الضوء المادى وبعيدًا عن متناول الإدراك الحسى المادى.

أن الإتصال مع النفوس والأرواح التى غادرت أجسادها ممكن تحت شروط وظرو معينة.

أن الروح البشرية فى سبيلها للتطور تتجسد بشكل دورى فى دورات حياتية متتالية.

أن الروح البشرية تدخل فى دورات التجسد المتتالية هذه وفقًا لقانون السببية أو رغبة الروح.

وفقًا لمختلف التقاليد والخبرات الميتافيزيقية والإكتشافات العلمية الحديثة، فإن الروح البشرية لا تفنى، والخبرات التى تشكلت فى إطار الحياة الأرضية المادية لا تتوقف عند إنتهاء التجسد كما يعتقد عامة الناس، وإن التطلعات والأهداف والطموحات الإنسانية لا تنتهى بإنتهاء الحياة القصيرة نسبيًا للإنسان. ولكل ذلك فقد بدأ الكثير من العلماء النفسيين البدء فى تنمية إستراتيجية نفسية تساهم فى إزدهار الروح الإنسانية فى تجسداتها المستقبلية. إن أول مبادئ هذه الإستراتيجية هو عدم التمسك بالشكل المادى والحياة الدنيوية المادية بشكل كامل، بل محاولة الإستفادة والإستزادة من الخبرات المكتسبة اثناء هذه الحياة وذلك لغلق عملية انتقال سلمى وسهل للدورات الحياتية المستقبلية.

إن البشر قد يخشون الموت، وهذا خطأ فادح يرتكبه الإنسان فى حق نفسه. يجب علينا تثقيف الإنسان فى حياته الأرضية وتدريبه على معرفة المعنى الحقيقى للموت وإنه يجب أن يكون على علم بأهم مبدأ من مبادئ وحدة الكيان الذاتى

للروح اثناء وبعد الموت وهى حالة وعى الموت. وهذا يتم عن طريق تحويل مفهوم الموت عند الإنسان العادى من المفهوم والمستوى الغيبى إلى مستوى أعلى من إيقاظ الوعى بالموت، وتنقية الروح من الشوائب النفسية المتعلقة بهذه المرحلة داخل العقل الباطن الإنسانى. إننا يجب أن نشكل منهج نفسى تثقيفى جديد يدخل مكونات معرفية وإدراكية أكثر للروح الإنسانية وهى على قيد الحياة الأرضية بحيث تصبح أكثر إقترابًا ومعرفة بالجانب الروحى لها وليس الجانب المادى السائد الآن. إن الإنسان عندما يخشى الموت إنما هو يصبح مقيد الوعى، غارقًا فى المجهول، وهو جهل مصدره خوفه. إن تحديد معنى وهوية الموت وشرح معنى التجسد وإرتباطة بمرحلة الموت، يعتبر خطوة أولى هامة ومثالية لإزاحة القيد الفكرى والنفسى لوعى الإنسان عن الموت ومرحلة ما بعد الحياة الأرضية. إن معرفة مفهوم عدم فناء الروح الإنسانية، والوعى به، يتطلب تغيير عدد من المفاهيم البشرية والمعتقدات والمواقف والمشاعر التى ترسخت فى وعينا لفترات طويلة من عمر الإنسانية. وهذا النوع من التغيير يتطلب الكثير من العمل النفسى والروحى والذى يجب أن يتم تدريجيًا مراعيًا البناء الروحى الحالى للإنسان وصراعه بين الإرتباطات بالمبادئ الدنيا والعليا وذلك لضمان إستمرارية الوعى الإنسانى فى الإتجاه الصحيح، ويتطلب أيضًا محاولة التخلص من الوعى البشرى فى الوقت الحالى، وإبادة أى مفهوم زائف مرتبط بمرحلة الموت وما بعده، وذلك لمحاولة تصحيح الفكر والوعى الإنسانى ومحاولة إعادته للمسار الصحيح وليصبح أكثر قابلية للحياة الصحيحة من الناحية الروحية وليست المادية. إن ما نسميه الموت هو الوهم بعينه، أو كما قال الشاعر الطاوى العظيم: «شوانج تزو»: «الولادة ليست بداية، والموت ليس غاية».

وأنا من وجهة نظرى كباحث ومفكر أن خوف الإنسان من الموت يسرق ببساطة طاقاته الجسدية والعاطفية والعقلية والروحية، الطاقات التى يمكن أن تستخدم لأغراض بناءة وخلاقة أكثر عند الروح الإنسانية المستنيرة. عند المعرفة الحقيقية للإنسان المستنير لطبيعة الموت وحقيقة، مثل سقراط، سوف لا يخشاه، وهذه المعرفة والفهم والتنوير لسوف تساعد الإنسانية فى العيش حياة

وفيرة زاخرة متفائلة بالتغيير والتطور الإيجابى. إن إبقاء وترك عاطفة الخوف من الموت الحالية المتأصلة فى الإنسان له أثر مدمر للنفسية الإنسانية، ولوعى الروح اثناء الحياة وبعد الموت. لقد لخص علماء الطب النفسى المتهمين بدراسة الوعى الذاتى الإنسانى الخاص بالموت العديد من المبادئ التى تساعد المرء أن يموت دون خوف، مثل:

عدم التركيز على الشكل المادى للحياة وفك الإرتباط بين الإنسان وممتلكاته وعلاقاته الدنيوية.

فهم أن الموت أمر طبيعى، وأنه لا ينهى طموحات المرء.

فهم وإدراك لحقيقة الطبيعة الإلهية الخالدة.

الإعداد المكثف للنفس والروح من خلال الممارسات الروحية مثل التأمل، وتنقية النفس، وإكتساب الرحمة والعطف من خلال الخدمات الإنسانية وعمل الخير.

الإندماج الكامل فى ثنائى الخير الإنسانى: الحب والرحمة.

إن معنى الموت تبعًا للمفهوم الصوفى: «الموت صديق وليس عدو»، يمنح للإنسان فترة من الرحة نحن فى أمس الحاجة إليها، حتى يمكن التحاور مع أنفسنا فى معركة الحياة عن طريق تجسد آخر جديد محملًا بالخبرات القديمة. إن الجزء الهام من مفهوم التجسد لمرات ومرات هو كيفية إستعياب التجارب، وهل تعلمنا الدروس الكامنة فى كل تجربة من تجارب التجسد. إن الحياة قد تشكلت على القالب الأرضى الذى نعيش فيه لغرض تشجيع الروح لإكتشاف الغرض الحقيقى من وجودها وكينونتها.

إذن، فالدروس المستفادة من الوصول إلى مفهوم دورات التجسد الإنسانى هو إنه يجب علينا أن نطور من مفهومنا عن الحياة والموت وأن نكون أكثر علمًا ووعيًا لمستويات اللاوعى العقلى، حتى نتجاوز مستويات التدنى النفسى والفكرى عن مفهوم الحياة والموت. ولكى نلخص النقاط الأساسية التى يجب أن نحاول أن نتعمق فى فهمها وتغيير مفاهيمنا عنها، وهى:

تنمية وتقوية الوعى الشخص الذاتى للإنسان اثناء حياته.

الوعى الكامل بعملية إنتقال الروح من مرحلة الحياة الأرضية إلى حياة البرزخ ثم التجسد مرة أخرى.

الوعى الناضج بطبيعة الحياة بعد ما يسمى بالموت.

إن الكثير من الحقائق المرتبطة بهذه المفاهيم الهامة قد تم تشويهها عن طريق الأساطير والتقاليد الغير صحيحة والتى شوهت الحقائق الروحية تمامًا وخلقت حالة جمعية من الجهل والخوف المرتبط بعملية الإنتقال الروحى فى دوراته التجسدية الطبيعية. ولكننى فى النهاية، أثق تمامًا بأن الإستمرار فى البحث فى موضوع التجسد، وطبيعة الموت، والحياة الروحية بعد الموت، سوف يصحح كل المفاهيم العقلية والنفسية والروحية للإنسان، وسوف يتحول الموت إلى مناسبة ووقت للإحتفال وليس وقتًا للحداد كما كان الحال وما يزال.

أننى آمل فى النهاية أن أكون قد نجحت فى شرح مفهوم التجسد، والإقتراب من مفهوم الموت الغامض، ومحاولة إزالة مخزون الخوف من الموت الذى يسحق المجتمع الإنسانى، وزيادة وعيه عن التقدم العلمى والنفسى الذى تم تحقيقه حديثًا فى هذا المجال الهام، إننى واثق أن جهدًا علميًا وفلسفيًا مستمر من جانب الباحثين الجادين فى هذا المجال سوف يزيل كل ما هو خفى وغامض بشأن جوهرنا الروحى وسوف يقدم تفسيرات أكثر دقة وإجابات أكثر وضوحًا لمعظم الأسئلة الخاصة ببداية ونهاية الإنسان، وبسر وجوده، وبإكتشاف كل ما هو خفى فى نفس وعقل وروح الإنسان، وهذا ما سوف نبحث فيه إن شاء الله بكتابى القادم والذى أعتبره الجزء الثالث والمكمل والآخير فى ساسلة كتاباتى عن: الروح ـ التجسد ـ سر الوجود. آملًا أن أجيب عن بعض الأسئلة التى غابت عن دراستى عن الروح الإنسانية، وأننى اتطلع بإذن الله فى كتابى القادم: «لغز الإنسان وسر الوجود» إستكمال بحثى المتعمق فى الروح وطبيعتها ومسارها اللانهائى وسبر أغوارها بإذن الله.

والله الموفق

خـاتمة

لن أجد أعظم ولا أفضل ولا أعمق ولا أجمل من كلمات الشاعر والكاتب الملهم العظيم «جبران خليل جبران» عن التجسد لجعلها خير ختام لكتابى هذا، فجبران كان من أشد المؤمنين بتجسد الإنسان، وكتاباته الروحانية العميقة الجميلة ـ كانت وستظل مليئة بالمعانى السامية الجميلة التى تعبر عن حقيقة روح الإنسان وماهيتها وتجسدها من جديد فى حياة جديدة فى سبيل تطورها للأفضل والأعظم فى طريق إقترابها من الروح الأعظم والحب اللانهائى، من العظمة الإلهية ونور الحقيقة.

السابق (جبران خليل جبران)

أننى ذاتك سابق لذاتك، والأبراج التى بنيتها ليست من ذاتك العملاقة سوى الأساس.

أنا وذاتى سابق لذاتى، ذلك أن الظل يمتد أمامى عند الشروق، سيلتم تحت قدمى عند الظهيرة. وإن شروقًا لاحقًا فوق ذلك، سيلقى أمامى بظل آخر لتعود ظهيرة أخرى فتلمه من جديد.

نحن دائمًا كنا سابقين أنفسنا، وسنبقى أبدًا كذلك فجميع الذى جمعناه

أو سنجمعه، لن يكون سوى بذور لحقول بعد لم تحرث. وإنا نحن الحقول والحارثون، ونحن المجمعون والجامعون.

عندما كنت أنت رغبة تائهة فى الضباب، كنت أنا أيضًا هنالك رغبة تائهة. وكان أن سعينا واحدنا إلى الآخر فتولدت لدينا من شوقنا أحلام. وكانت الأحلام زمنا بلا حدود، وكانت الأحلام مدى بغير قياس.

وعندما كنت كلمة خرساء على شفتى الحياة المرتعشتين، كنت أنا أيضًا هناك كلمة خرساء. ثم تلفظت بنا الحياة، فكررنا خلال السنين ونحن ننبض بذكريات الأمس وأشواق القد، ذلك أن الأمس كان رهين الموت وأن الغد كان طريد الولادة.

وها الله الآن يرفعنا على راحتيه. أنت شمس فى يمينه وأنا أرض بيسراه. إلا إنك مشعًا، لست أفضل منى متلقيًا الشعاع.

ونحن، شمسًا وأرضًا، لسنا غير البداية لشمس أعظم وأرض أهم. وإنا ابدًا سنكون البداية.

أنت، أيها الغريب العابر قدام باب حديقتى، أنت سابق ذاتك. وأنا نفسى أيضًا سابق ذاتى، مع أنى متكئ فى ظل أشجارى وأبدو من دون حراك.

جبران خليل جبران